

د. البشير أحمد محي الدين

المَنسِيُّ والمحكِيُّ

من تاريخ السودان

المنسي والمحكي من تاريخ السودان

معلومات وفهرسة النشر

اسم الكتاب:المنسي والمحكي من تاريخ السودان
نوع المؤلَف: رواية
اسم الكاتب: دكتور: البشير أحمد محي الدين موسى القاضي
حجم الكتاب:17× 24 سم
عدد الصفحات: 374 صفحة
رقم الإيداع: ؟؟؟؟/2020

المنسي والمحكي
من تاريخ السودان

المنسي والمحكي من تاريخ السودان

د. البشير أحمد محي الدين موسى القاضي


بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الي زوجتي ايناس عبد المنعم الدمياطي واولادي احمد وسام وئام وسارة واخواتي سمية وكوثر واقبال وصفية واخواني من مضي منهم ومن بقي واصدقائي ومعارفي اهدي هذا الجهد

العازة بت إدريس

حكامة بي ألف فارس

العازة بت إدريس
حكامة بي ألف فارس

عـاوز أحكـي ليكـم يـا جماعةعـن المنسي في تاريـخ السـودان قالها عبـد الواحـد وواصـل: تاريخنـا الـلي مـلان فظائـع وقصـص ماليهـا حـد، في قصـص تقطـع القلـب وتسـد النفـس وفي قصـص فيهـا شـجاعة ومواقـف.

بحكيهـا عشـان الذكـرى بتنفـع المؤمنينفـي كتـاب هـو ذاتـو منسي ومـا أظـن في نـاس كتـار قروهـو ذاتـو اسـمو (في شـان الله أو تاريـخ السـودان كـما يرويـه أهلـه)، ودا كتبـو كاتـب مصري اسـمو محمـد أحمـد الجابـري الكتـاب دا طلـع سـنة 1947م في زمـن حكـم الإنجليزوالكتـاب جايـب قصـص منسـية برضوبحكـي ليكـم منـو قصـة نسـوان جيـش سـليمان ود الزبـير مـن بنـات البحـر، الـلي فجـأة لقـن نفسـهن في موقـف عصيـب، القصـة بتحكـي عـن نهايـة ملـك وسـطوة سـليمان ود الزبـير.

(2)

قـال عبـد الواحـد:بعـد مـا الزبيرباشـا ود رحمـة مشـى مصـر خـلى ولـدو سـليمان في العقـاب وبقـى وكيلـو في كل حاجـة.. ومعـاه أقاربـه ورابـح الزبـير وعـدد مـن نـاس شـورته، وكان لسـة البازنقـر قاعديـن، والبازنقـر ديـل جيـش الزبـير ود رحمـة.

حـاج الماحـي دنيـا والله وسـمحة خايلـة فـوق الزبـير الملـك والجـاه يسـتاهل الباشـا وعليهـو ماشـة.

واصل عبد الواحد:لمن الزبير باشاجاتو خبرية إنو سليمان اتمرد كتب لي ولدوإنو ما يتمرد على الحكومة والزبير باشا ما مطلع على النية السودة بتاعت أولاد الخديوي والإنقليز وعايزين ينهوا قصة الزبير باشا نهائي،أولاً مسكوهو ونفوهو هو ذاتوووو لي جبل طارق.

عبد البين:الحصل دا كان واضح ليه الزبير ما قام عليهم قبال ما يتعشو بيهو.

حاج الماحي: العارفو الزبير ما كان طمعان في ملك كان تاجر وبس...

عبد البين: كلامك صاح آ درويش وضحكوا كلهم.

عبد الواحد واصل وقال: وكتلو ناسو والفضل اتفرتق بين البوادي ما طلع منهم لا رابح ود الزبير اللي رفض يهادن الحكومة وطلع بي جماعتو غرباً وفتح وادي..في الوكت داككان الحكمدارغردون باشا الإنقليزي الغتيت، واستمر بيحكي وقال: غردون عمل حاجتين كعبات لسة بنعاني من آثارها، هن أول بي التبادي قال أي جلابي ولا بحاري يلقوهو في بحر الغزال ولا جنوب دارفور يكتلوهو، ومالو حلال أو يسلمو الحكومة.

الكلام دا قالو لي شيوخ القبائل والعمد والمديرين وناس حكومتو.. وكان قصد غردون إنو ماعايز اختلاط بين السودانيين ولمن في فترة الحكم البريطاني عملوا سياسة المناطق المقفولةوكلام كتير بي اسم محاربة تجارة العبيد والغرض الصراع الديني ونشر المسيحية وقطع سيرة الإسلام واللغة العربية في الجهات ديك.

عبد البين: ما علينا نرجع لي حكوتنا.

عبد الواحد: أهااا وقعت حوادث رهيبة، ماتوا ناس كتار نتيجة لتغرير غردون للأهالي في دارفور، عرب وزرقة ضد البحارةودي استغلوها النهّابة

وقطاع الطرق وارتكبوا فظائع رهيبة ما بتتحكي، ودي واحدة من أسباب الجفوة بين المكون السوداني تاريخياً، لكن شايف اتجاوزها الزمن.

حاج الماحي: ودي جابت غباين كتيرة وأثرها كبير والعرب والزرقة أهل ونسابة وبلمهم الدين والبلد وأي روابط حلوة بس زي ما قلت الاستعمار والنهّابة والحرامية والانتهازيين هم السبب.

عبد الواحد: هو اللي جاب الفرقة بين ناس البلد وطبعاً دي برضو منسية. غردون ملعون واستحق مصيرو الأسود، وهو أول من دق إسفين في نفوس الناس لأنو انتهازي، وجاب انتهازيين زي ناس شواطين باشا وجسي وليبتون وأمين باشا وإبراهيم فوزي، كلهم حرامية، كانت بتهمهم مصالحهم واليحرق يحرق.

واصل عبد الواحد وقال: لكن بالرغم من البشاعات كانوا في ناس عاقلين لموا أخوانهم وأهلهم، وما غلطوا فيالبحارة أو الجلابة واحترموهم،والحرامي والعايز ينهب نهب، العايز يكتل كتل،أصلو كانت فترة صعبة في تاريخ السودان.

أصحاب عبد الواحد كلهم مندهشين ويتحوقلوا ويلعنوا في قرارات غردون اللعينة اللي خربت البلد وما قدمتها أصلو.

عبد البين: يستاهل على الرغم من أني ما بحب المهدية وخبرها،أهاا في القعدة ديك في ناس عارضوا غردون وحاربوه، لكن الثابت إنو غردون كان زي الهمبول لا بجيب لا وبودي، وبقت حجوتو حجوة لمن كتلوهو.

عمك عبد الواحد قاطعهم بصوتو الحاسم، وقال: ياخ أي حاجة عندنا في البلد دي هلال مريخ شنو القصة، خلونا نحكي الأحداث بدون تأثير مننا ونخلي البقروا والبسمعوا يطلعوا بي رأيهم براهم.

(3)

واصل عبد الواحد، وقال: غردون الحماقة التانية اللي عملها رسل جيش بقيادة جسي ودا واحد من قوادو المكارين عشان يحارب سليمان ود الزبير، وفي الوكت داك كان سليمان بك ود الزبير باشا سلم ليهو ومعاهو حسن ولد زقل ومنصور ود الحاج وأحمد ود إدريس وإبراهيم ود الحسن وديل قرائب الزبير من الجعليين الجميعاب ناس الجيلي.

واصل وقال: ومعاهم الأرباب محمد ود دياب ودا من الجعليين السعداب وعبد القادر ود إمام وبرنجي الأسود، ودا من قادة الزبير الشجعان يعني الموضوع بتاع حرابتهم انتهى زي ما جاء في كلام الزبير ود رحمة ليهم، وقرروا يرجعوا لي تجارتهم وحالهم القديم.

كلام زين ياحاج عبد الواحد المعنيإنو دي نهاية ملك ود الزبير وسلم المشكلة وين قالها حاج الماحي.

رد عبد الواحد: المشكلة في حقد الخواجات ولعبهم بي ضيلهم خلينا نواصل.

قال عبد الواحد: أهاااا جا سليمان بك ود الزبير وناسو الكبار وديل القوادجوا لي جسي وبعد الأكل عزمهم قهوة وقعد معاهم شوية، وهو ناوي الشر، وطلع منهم براًجواً العساكربي وراهو طوالي قبضوهم ووقفوهم صف في خور وأعدموهم فوراً في عملية غدر بأمر من الغردون شخصياً ماقلتليكم الزول دا قلبو أسود.

عبد البين: وباقي رجال سليمان شن بقى عليهم.

عبد الواحد: باقي القواد اللي ما جوا لي جسي الغدار اتفرقوا في الفرقان عرب دارفور قبضوا فيهم مجموعة وسلموهم لي الإيطالي مسيداليه حاكم داره وطوالي الطلياني نفذ فيهم إعدام سريع سريع.

حاج الماحي: لا حول ولا قوة إلا بالله الزول دا غدار فعلاً، الله يلعنو ويرحم الميتين من المسلمين.

واصل الحاج عبد الواحد: وما مرق منهم إلا رابح ود الزبيروعاهو جماعتو اللي أبو يسلموا للحكومة وديل مشوا غرب عديل وعملوا دولة أزعجت الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا في تشاد.

والطريف بعد إعدام سليمان ود الزبير بي فترة جاء وفد من الضباط الفرنسيين القاهرة، وقالوا لي الزبير تكتب جواب لي رابح الزبير يسلم لينا. طبعاً ضحك وما اشتغل بيهم لأنو تكرار لما حصل مع ولدو بالكربون وطبعاًإلا يكون الباشا عوير عشان يقول لي رابح سلم نفسك ومغصة نصيحتو لي ولدو ما بردت لسع.

حاج الماحي: إت يا الحاج عبد الواحدالخواجات ديل مرات بفكروا كيف ما تعرف غايتو.

عبد البين: دا بيكون من مريسة الجن اللي بشربوها.

رد عليهو الحاج عبد الواحد مؤكد مؤكد والجميع قدام الدكان أخدوا ليهم ضحكة بصوت مرتفع.

أها يا جماعة جيتكم في المربوطة ومحل ما عايز أقص القصةقالها عبد الواحد.

عبد البين: وانت يا حاج عبد الواحد المعنى لسع ما حكيت بعد الفظايع دي والكلام اللي بيجنن ياخ والله حكاية.

حاج الماحي: خلوهخلوه يواصل ورانا شنو لسع الصلاة عليها زمن.

(4)

أرجع بيكم حبة..قادة جيش سليمان كان معاهم حريمهم وشفعهم وماكان عددهم حبة، وهن بنات العز وزوجات الطبقة الحاكمة ذاتها في الوكت داكومنو الكان زيهم.

أهااا النسوان اللي أعدموا رجالن أو اللي كتلوا رجالن بالغدر جيش جسي باشا ومديري المديريات الغربية والوشاة والنهابين، فجاة لقن نفسن بقن براهن لا حامي ولا راجل قدامن دنيا واتفرقت في راسن ملك وزال.

جزء منهن بقن يبكن ويكتحن التراب فوق راسن وحار بيهن الدليل المعني إنو البهجم عليهن بسوقن ولا بكتلن، وضلمت الدنيا في عيونن رجلان كانوا الملوك وكانوا بي سيوفهم درقة ليهن في وش الزمان الشين والليلة هن براهن والكل قاصدن..وأتمها عبد الواحد وقال: بالأخص جيش جسي وراهن وبفتشوا عليهن عشان ياخدوهن سراري.

حاج الماحي: لاحولا ولا قولة ياخ كلام يوجع المصارين ماف زول مع الحريم.

(5)

استمر عبد الواحد بيحكي لي أصحابو، وقال: في الوكت داك كانت العازة بت إدريسحكامة جيش سليمان ود الزبير، وهي الفصيحة الغناية بتغني للرجال اللي كتلوهم غيلة وغدر.

ولو كان جسي باشا أعلنها حرب ما أظن تكون نهاية سلطان سليمان ود الزبير بالطريقة دي كان حاربوا الحكومة ووروها الويل وسهر الليل، لكن الغدر ما من شيم الرجال أصلو غايتوأمر الله وحصل.

واصل عبد الواحد وقال: أهاااا العازة قرت الموقف سريع وجمعت قوتها ووقفت في نص النسوان وكربت توبا في نصها واتحزمت ومسكت سيفها، وقالت بي صوت ملان حماس..هوي يا بنوت الدنيا قضت غرضا وأنحن بنات رجال ما بنقعد نرجا العدو يسوقونا زي البهايم، نتدرع بي سيوفنا وحرابنا ونبطل البكاء الما بحل ولا بقدم، الموت حق قومن يا بنات وبقت تغني.

حاج الماحي: هيييع أبشري والله فارسة عديل رد واحد من الحضور وتبسم الجماعة القاعدين في ضل الدكان وقال واحد والله يا الحاج حكاويك بالجد منسية وما مروية كلو كلو.

عبد الواحد قال العازة بت إدريس قالت للحريم: نقوم نمش سوا جماعة، ونخت الشفع في النص، والبلاقينا نموت معاهو موتةفي حرابة.

واصلت العازة بتتكلم مع الحريم وقالت: مافينا اللي بتنساق أسيرة ولا سرية ونمش سراع سراع وندقش الخلا والصي ماف واحدة تتأخر دا درب السلامة.

النسوان طاوعن كلاما وماكان في حل غير كلاما...العازة وهي بتغني ليهن لحدي ما ثبتت قلوبن وبقن ماشات داقشات الخلا على وين ما عارفات، لكن على دار صباح سراع سراع.. رافعات الحراب وماسكات سيوفن وشفعن معاهن ماشات في موكب حزين.

حاج الماحي: إت يا الحاج البلد ديك مالم ناسا ما بيقيفو مع الحروم، ولّا حكوتك فيها بواقي.

ضحك عبد الواحد وقاليهو: البلد فيها رجال وخير إلا جيش جسي كان سايط الواطة ومخوف الناس، وفي ناس كتار أكرموهن يا الحاج وقدموا ليهن الكتير.

(6)

لمن يصلن فريق من فرقان العرب في كردفان بيقفن النسوان بعيد يعانن ليها يشوفن بي حرقة، وبتمش العازة بت إدريس وتكشف راسها، وتغني لي رجال الفريق بي صوتها الجهور، أبشري أبشري حرم أمان.

وتحمس لحدي ما يجيبوا ليهن الموية والأكل ويطلعوا الشباب يقدموهن للفريق التاني،وتتقدم العازة برضو لأنها الفارسة،وهي تراقب الطريق وتعاين للحريم تنشط الفترانة وتلحظ للشفع برضو ما تفقد منهم واحد.

كلام عجيب وغريب يا الحاج ماسمعنا بيهو كلو كلو، واصل واصل يا الحاج عبد الواحد والله دي محن.

واصل عبد الواحد وقال: من غنا العازة بت إدريس،وهي مصبحة على ديار أهلها في السافل في الجيلي.

يا عمار الوادي وسادة البوادي

يا مجير الطنيب من بطش الأعادي

ياسادة الأمة وقادة الأئمة

يا حماة الدار وستارين العار

يا موئل الخايفين وحماة المستضعفين

بحرمة داركم وموقد ناركم تأوونا

ونحنا الداخلين عليكم من السيف والحيف

نستحلفكم بالعرض وحرمتو والدين وغيرتو

وطالبات منكم الحماية من عدو ديننا ودينكم

كان تسمع الشيوخ والشباب والنسوان ابشرن ابشرن ابشرن، وترجع تتقدم مع النسوان.. ويقوموا ناس الفريق يوقدوا النار ويعملوا الأكل ويعالجوا الجريحة منهن ويدخلوهن مع الحريم وياخدن راحتن.

هييع فارسة وبت رجال والله وناس الحلال ما قصروا معاهن تب، تم آاالحاج قول قول عليك الله قالها عبد البين.

واستمر عبد الواحد وقال: العازة بت إدريس رابطة سيفا في نصها وكاربة حزاما تعاين لي الحريموترفع من روحن المعنوية لا خايفة ولا مكسورة فارسة وبت رجال وحكامة، إلا الظروف ختتا في الصعب والأصعب منو.

قال عبد الواحد: من غناها برضو.

نحن بنات عرب عزاز وبنات قبايل ليكم فينا

الأمات والعمات والخالات وانتو عرب

تحموا الخايف والطريد الطاشي

والعدو إن جاكم تحموه

جيناكم طالبات حماية

كتلوا رجالنا غدر وجناية

ارفعوا عنا الظلم والعوادي

(7)

كانت تغني بصوت حزين، لكنو قوي وواضح يستفز الكل ويخليهو عايز يقدم ليهن أي خدمة.

كانت العازة بتغني ويدها في مقبض السيف البشوفها يحن عليها،وعلى النسوان المعاها، ويخاف منها، روحها كاره وكرهانة أي حاجة، وممكن تداوس عادي في سبيل النسوان والشفع المعاها.

لحدي ما قطعت دار حمر ومسيرية وبلاد دار حامد أكرموهن كرم جد وحموهن عرب وزرقة..ياهم أهل السودان رجال وفراسة وبيحموا الضعيف وبيقيفوا في رأس الضيف.

من غنا العازة أيام كان الزبير ود رحمة وبعدو ولدو سليمان بتغني بتقول:

قوم يا محمد شدوا ليك العاتي

قوم يا محمد اعدل الخاطئ

قوم يا محمد قول يا فاطنة هاتي

كانت بي غناها تخلي الما بحارب يفور في الواطة، وكانت النسوان المعاها آمنات ومطمئنات..الليلة خايفات من جيش جسي وراهن بيكوس فيهن وهن ماشات لي دار صباح، وهي ماشة تغني:

ولد حدباي كريم ما كرم بلاصة

كريم برحم العدمان الايدو يابسة

كريم يدي المسكين مخلوفتوا كابسة

كريم يدخل العوجة الفرسانه لابسة

ما نام ما مسك الحرص في بالو

ما كضاب بيسمع حديث من قالوا

يتبسم وكت العدميصفالوا

ايدو مساعداه للعطا البستر حالو

كم يا سليمان شدولك على المبتور

ويدك يا اب نفل تفعل قدر ما تدور

كم كمل عيال الميري والمأمور

كم كمل عيالا فوقا الحربة تدور

كم كمل عيال مصر واستطمبول

(8)

وقال عبد الواحد: تبقى العازة واحدة من الأعلامالسودانيات اللي ما خافن من العدو وجيش جسي ولا ضلام الليل ولا مرافعين الخلا لحدي ما وصلن الجيلي حلة الزبير ود رحمة ما عليهن إلا التعب وغبار الطريق وحزن السنين.

في الوكت داك كل السودان كان بيعني ضد الترك،وبيقولوا:

حالي حال العدو المسكين

حالي حال البهم اتكوو للسكين

حالي حال الملسوع جرب سموم التعابين

وحالي حال البنية لمن جناها يبين

في الوكت داك كان كوركت مرة عبد الواحد الحاج وين الصلصة والبصل والزيت أنا ما منتظراك لي زمن شوفو الراجل بيحكي في الضللة.

عبد الواحد نطَّ فوق وقام على حيلوأي جايي يا الحاجة جاااايي.. عمك عبد البين: قاليهوا أقعد احكي.

عبد الواحد رد سريع: إت عوير جيش جسي كبس ولبس مركوبه وشال أكياسه ولا خلي بالو للرجال البضحكو وراهو.

هييع الأسد مرسل.

***

سرقة كنوز الكنداكة أماني شاخيتي

جوزيف فرليني

سرقة كنوز الكنداكة أماني شاخيتي
جوزيف فرليني

عبد الواحد قال في بحَّاثة سوداني اسمو الطيب أحمد محي الدين كتب كتاب مهم ومنظم عن تاريخ مروي القديمة في السودان، وأهمية العمل أنو جاء بي كلام ما مسبوق مع مراجعتو لي كتير من النظريات والآراء حول أصول الملوك والكنداكات والعادات والأديان والصناعات المحلية في مملكة مروي.

عبد البين أضاف لي كلام عبد الواحدبأنو تاريخ مروي ونبتة وعلوة وقصص خراب سوبا والعنج لسع فيهو علات كتير ما اتحدد بالتفصيل لسع، وعايز جهود كتيرة ودا كلام كويس.

لسع ياحاج وضح والله أنا بتلخبط في التاريخ القديم إلا النضمي بتاع الترك والأنصار بعرفو من حكاويك، لكن كراكة دي شنو سامعها كترت أياها الكراكة سيدي الأراكاالـلي في الغنية ولا الكان داكا سامع بيها ورينا قالها حاج الماحي، وهو ببتسم وعيونو بقن صغار.

ضحك الحضور على حاج الماحي لمن قال كنداكة ولا كراكة.

عبد الواحد: الكنداكة صفة للملكة في السودان القديم وزي ما تقول اسم احترام في كنداكات كتار حكمن زي أماني ريناس وأماني شاخيتي وعيبيك، وكانن حاكمات، وماف راجل ود مرا بعارض، ولّا بقول بغم، ضحكوا تاني.

الحاج الماحي من جوة دكانو قاليهم: هوي أتاريهن حريمنا كراكات أعادوا الضحكة بي قهقهة شديدة.

عبد البين قاليهو: خليك انت مع كراكتك دي قول كنداكات يا راجل يا مخرف.

عبد الواحد قال: زي ماقلت يا عبد البين وأنتبتقول المهدية خراب والترك كانوا أحسن الليلة، وأنا بقلب في كتاب مروي القديمة بتاع الباحث الطيب أحمد محي الدين قريت كلام عجيب وغريب وخلي بطني تطم من ناسك ديل البتشكر فيهم ومن عمايلهم السودة.

قريت شنو يا حاج عبد الواحد رد عليهو عبد البين.

بينما كان حاج الماحي بابيع في الزباين بقى بيكورك ليهم: هوي يا ناس أصبروا وأخدوا جمة الموضوع دا شكلو خطير خلوني النخلِّص الزباين، علياالحرام الدكان دا إن كسر إلا بي سبب حكاويكم الحلوة دي جاي طوالي عليكم الجماعة.

ضحكوا وقالوا أصلو دكانك كاسر وشغلة معاشات سااااي إن ربحت مافيها حلاوة وإن كسرت ولدك الفي الكويت برسل الدينارات، ويعدل حال الدكان،أصلو كراكتك ما عايزاك قاعد في بطن البيت من كترة نضميك وهلاويسك دي وأخدوا ليهم ضحكة.

عبد البين قال: النكورك لي كراكتيأقصد كنداكتي تعملنا شاي منعنع عشان الموضوع بتاع الطيب دا عايز مخمخة.

(2)

الطيب بيحكي لي قمبيز وحسين عبد المولى في بيت العزابة بتاعهم، والبيت عبارة عن صالون جالوص متهالك وأغلب السراير متكلة بي حجار.

الطيب أحمد وهو شايل نسخة منكتابو مروي القديمة، وقال: زي ما عارفين إنتو السودان هو أرض الذهب وكانت مروي من غناها بتقيد المساجين بي سلاسل الدهب، ودا معناهو إنو الملكات الكنداكات كانت عندهن كنوز كبيرة من الدهب والماس والجواهر والنفايس،وزي ما عارفين أنو الملوك والكنداكات كان عندهم اعتقاد في العالم الآخر عشان كدا بيدفنو معاهم حاجاتم اللي ممكن يمشو بيها الآخرةومنها النفايس دي والجرار والفخار والخيول والعبيد والعربات والمجوهرات اللي ما بتقدر بي تمن وكل حاجاتو.

سألو حسين عبد المولى وهو من أصحابو المثقفين وتاجر متجول في كتير من المرات ورسام وقاص وكاتب وهلمجراوصاحبو قال ليهو: طيب الكنوز والدهب اللي بيندفن مع الملوك ما بيكون عرضة للنهب بتنجو كيف من السرقة.

قمبيز دخل خشمو وقال: أصبر ياخ والله انت لو اشتغلته نهاب قبور أثرية كان خليت تجارتك الفظيعة دي.. وضحكوا في سعادة.

الطيب قال: فعلاً بتحدث عمليات نهب كتير وكبيرة من ناس بسموهم حرامية الآثار ونهابي القبور، وديل بيقوموا بي البحث عن المواقع الأثرية، وبطلعوا حاجات قيمة عشان يبيعوها والمصيبة إنو الآثار دي ما بتتسجل علمياً، عشان كدة حضارتنا ما مياخدة سمعة الحضارة في مصر.

قمبيز: كدي خلي الكلام الكتير عارف ليك حالة بتاعت سرقة عدييل كدا.

حسين عبد المولى: أي الزول دا إن خليتو بتكلم براهو بحلج أحسن ناخد قصة محددة ولّا ذاتوو ورانا إيه مش فتة البرقاوي دي بناكلها أحكي يأخ.

(3)

عبد الواحد قال: الطيب في كتابو كتب إنو في منطقة النقعة والمصورات اللي بتقع في مروي القديمة جنوب شندي في أهرامات بيقولوا عليها الطرابيل بي عاميتنا، ودي في فترة الغزو الخديوي المصري المسمنو كضب سااااي بالتركية السابقة كان في جيش اسماعين باشا ود الخديوي عدد من الأجانب الخواجات الحرامية،جو معاهم كمستشارين للحملة في السودان.

الحاج مصطفى جاب كرسيهو وقعد، وقال: الشيء شنو أولاد محمد عليباشا جنهم تلقط للأجانب براهم ما بيعرفوا لي شغلتهم.

ياخ أسكت ديل البشوات والأغوات مش زي ناسك ناس المرقع والجهادية قالها عبد البين.

عبد الواحد: خليك معاي وتكمل الموضوع وبعدين نشوف الكلام شنو.

واصل عبد الواحد: كان ضمن حملة إسماعين ود الخديوي محمد عليباشا عين عدد من الأجانب، عايز أركز على اتنين حرامية أولاد كلب عملو عملة ما كويسة، وإن ما جيش إسماعين جاء السودان ما كان بيعملوها خالص خالص.

حاج الماحي: قاليهو عملو شنو أولاد أم زقدة، ما لمت فيهم حراب الأنصار تنجمم وتلحقن أمات طه.

عبد الواحد: الناس ديل جو مؤجرين عشان يساعدوا في احتلال البلد ويورو إسماعين ود الخديوي كيف يقهر شعب السودان ويدعي إنو جايي فاتح باسم الخلافة الإسلامية لي بلد مسلمين زيو وديل مجرد مرتزقة في الأصل عشان كدا ممكن تتوقع منهم أي حاجة ياخ.

(4)

قمبيز كان سأل عن حادث مشهور وقع في البلد وعن نهب الكنوز السودانية، وقال بي صوت عالي ومتغير: شوفوا أصلو الكنوز دي بتحرسها الشواطين.

رد عليهو الطيب: شوف الجماعة العملو الكلام البقولو معروفين هم الدكتور فرليني الإيطالي وبيقولو ليهو فريني وصاحبو ومعاونو إستيفاني وديل جو مع الحملة بتاعت إسماعيل باشا معاونين.

حسين عبد المولى قاليو: أهاا بتذكر كتبت في المسودة بتاعت كتابك دا كلام جا فيهو الآتي (الطبيب الإيطالي الذي سطأ على كنوز أماني شيختو، جوزيف فرليني، ولد في يولونا. رافق فيرليني كطبيب حملة محمد علي باشا إلى السودان سنة 1821م. كان فرليني مطلعاً على كتابات المؤرخين اليونانيين القدامى، الذين أشاروا إلى الثراء الهائل لمروي. ذكر هيرودت «كان الأسرى في مروي يربطون بقيود من الذهب. الحديد هنا أغلى من الذهب». في عام 1838مأخذ فيرليني إذناً من الحاكم المصري للسماح له بتنقيبأثار مروي، اختار فيرليني الموقع الأثري لمدينة ودبانقا الكوشية، حيث يوجد بها قصر مروي مع العديد من الصروح الأخرى. إلاأن أعماله لم تكن موفقة هناك. ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينتي النقعة والمصورات الصفراء. وصل فيرليني ورفيقه وستيفاني إلى النقعة من ودبانقا، في مسيرة على الأقدام استغرقت ثماني ساعات) ما ياهو القاصدو يا الطيب دا قريتو ياخ خش في الموضوع.

قمبيز رد عليهو: والله بقيت مثقف تجيبها بالنص كمان ياخ ماكان تورينا عملتوها والله وضحكوا.

واصل الطيب وقال: كانت الكنداكة أماني شاخيتي واحدة من حكام مروي وكانت قوية ملانة قروش ودهب إضافة إلى أنها مهابة وشخصيتها متفردة.

بنت القصور والمعابد اللي بقت خرابات في منطقة ود بانقا. ولامن ماتت دفنوها في هرمها الكبير في مروي القديمة اللي هسع بنسميها نحن البجراوية ودا واحد من أكبر الأهرامات اللي بنيت عموماً. تظهر الملكة وهي ملانة بي عدد كبير من الحلي والمجوهرات، وشايلة سلاحها تكاتل في أعداء مملكتها كان في الشمال أوالجنوب قالها الطيب وبعدها سأل أها العشاء كيف يا ناس؟

(5)

قال طيب قال لي جماعتو حسين وقمبيز وهم متحلقين حول العشاء بعد يوم مضنٍ من العمل قال الطيب: كانت ود بانقا الهسي دي الجنب شندي كانت في قمة ازدهارها وكانت من أهم الموانئ النيلية بعد ميناء مروي يعني مشرع من مشارع نهر النيل.

قمبيز قاليهو: أهااا واصل القصة أصلك لمن تلقى موضوع تتجدع فينا والعجب صاحبك حسين شاعر ومغني وممثل وخطاط وكهربجي وعاشق وكمان بائع متجول.. ضحكوا من كلامقمبيز.

حسين قاليهو خلاص يا بنشرجي الطيارات انت واستغرقوا في الضحك.

رد عليهو الطيب وهو يمضمغ مافي خشمو بهمهمة غريبة زادت من ضحكهم.

وقال بعدها: موقع ود بانقا أساساً كان ميناء مهم لأنو بتميز بي موقعو الرابط بين البطانة والنقعة والمصورات والبجراوية وكمان بإطلالته على ولايات وطرق تجارة مروي الجنوبية.

واصل وقال: أهمية الموقع أيضاً كميناء يمكن استنتاجها بقربها الوثيق بمدن النقعة والمصورات أعلاها مباشرة في البطانة المروية. يمكن تصور ود بانقاباعتبارها موقع إقامة ملكية تاني بعد مروي طالما أن مروي وودبانقا فيهن وحدهنأكبر القصور الملكية في مملكة مروي القديمة.

(6)

الطيب بدا يتكلم عن مناطق النقعة والمصورات وود بانقا وإقليم شندي، وقال موجه كلامو لي قمبيز: منطقة إقليم شندي كانت عبارة عن غابات في الوكت داك ما كانت صحراوية زي هسة، وفيها أنواع كتيرة من الحياة البرية والدليل إنو في النقوش والرسومات الجدارية والتماثيل في أشكال للعديد من الحيوانات البرية زي الأسود والنمور والأفيال والثعالب والغزال وغيرها.

قمبيرز رد عليهو قاليهو: صاح في الإله الأسد أبادماك وغيرها من التماثيل بتاعت الحياة البرية بتدل على إنو المنطقة كانت غابية والبي بتمثل رمز قوة مروي في متفق معاك يا حبوبة عجوز والله بي كترت نضمك إلا جابداك حبوبتك بت بجوك.

حسين قال: وطيب يا إنشتاين لو في أسود ونمور وبعاعيت زي دا الحرامية أقصد فريني واستيفاني حرامية الآثار الجو مع الباشا كيف بتحركوا في المنطقة دي.

الطيب قال وهو بشرب في الموية وبعد ما قعد: ويذكر فيرليني إستيفاني عملو احتياطاتهم من الأسود اللي كانت كتيرة، وتتجول في إقليم شندي، وكمان قالوإنهم لقوامعبدجميل مغطى من برة بالنقوش الواضحة وأعجبوا بيهو.

فريني قال إستيفاني: بس هنا بنلقى الدهب في المعابد والأهرامات، وإن لقيناهو ياهو الغنى لي جنا الجنا.

إستيفاني: المعبد دا شكلو حق ملك عظيم لكن عايز أقوليك العرب ديل لازم ما يحسو أنحن عايزين نشيل الدهب والمجوهرات لازم يقولو لي أهلهم دا شغل الباشا.

فريني: أيوة خليك حريص خالص.

فريني قال: لقينا المعبد مغطى لي نصو بي رملة وأنحن زحينا الرمال من جهة الشرق، وحاولت أشوف الباب بي وين مدخل لكن أصلو ما لمينا فيهو

استيفاني المعاي قالي: ياخ إلا نتلب من فوق لكن برضو كان قرار صعب لأنو الحر والعطش والمرض وسط العمال وقلت أحسن نرجع لي حلة ود بانقا.

(7)

بعد رجوع فريني وإستيفاني لي حلة ود بانقا بعد تعب شديد من الرمل والحر اضطروا إنو يغيروا العمال ويقوموا بي عمل جديد وهو مداهمة الأهرامات واختاروا أكبر هرم هو هرم أماني شاخيتي كنداكة مروي القديمة قالها عبد الواحد.

الحاج الماحي: المعني الدهب جوة الطرابيل.

عبد البين: اسم طرابيل دا حق ناس شندي اسمها أهرامات مروي القديمة من قبيل الناس دي بتنضم في شنو يا حاج الماحي.

واصل عبد الواحد وقال الطيب في كتابو قال: (انتقل فيرليني إلى موقع مدينة مروي العاصمة، هناك اختار تفكيك هرم الكنداكة أماني شاخيتي في الجبانة الشمالية. بلغ ارتفاع هرم شاخيتي ما ينوف عل الثمانية وعشرين متراً، بأربع وستين درجة. استأجر فرلينيأربعة عمال محليين، شرعوا في تفكيك الهرم من أعلى إلى أسفل).

فريني قال وهو بيحكي عن القصة: في روايته التي نشرها بالايطالية إنو استيفاني ناداه فقام بي سراع وتسلق الهرم، وهنالك وجد واحد من العمال العرب بتاعين ود بانقا فوق في راس الهرم ونايم على بطنو.

قمبيز قال للطيب: أها يا أنشتاين واصل.

الطيب ضحك وواصل كأنو ما سمع قمبيز، وقال: من فوق سطح الهرم انكشف عن فتحة بتودي لي جوة الهرم. كان العمال في اللحظة دي يحاولوا جر زميلهم العامل عشان يخش جوة الهرم.

أهاا الخواجات ديل لمن شافوا الكلام طوالي طلعوا مسدساتهموبقي فرليني واستيفاني بهمهموا وعيونهم زي الكديس اللقى حلة لبن وعايز يهجم عليها، وقالو للعمال انزلوا من فوق الهرم واتخارجوا ودي قروشكم كاش حسب الاتفاق. كتب فيرليني(بمجرد إزاحة الكتل الحجرية، ظهر مشهد لغرفة مستطيلة الشكل، تتكون جدرانها من كتل صخرية مشذبة، توازي درجات الهرم الخارجية. ارتفاع هذه الغرفة يبلغ نحو خمسة أقدام مربعة).

ودي كانت اللحظة المنتظرنها الحرامية ديل وما كانوا عايزين العرب يعرفوها كلو كلو، ولا يحسو بي حاجة على الرغم من أنهم كانوا مرتبكين خالص.. قالها عبد الواحد بي حرقة وأسى.

وواصل، وقال: العمال العرب طالبوهم بي قروش شغلهم وأدوهم قروشهم طوالي والعمال خلوهم في الخلا ومشوا في اتجاه حلة ود بانقا قالها الطيب أحمد لي حسين عبد المولى ومتعجب من تصرف العمال.

حسين عبد المولى: دايما الناس البسيطين بفكروا بي طريقة بسيطة ياخ، يكون قالوا الخواجات ديل إن حفروا لي السنة الجاية ما يلموا في حاجة خلوهم ياخ.

قمبيز: شوفوا الطيبة والعوارة ما بتنفع ود الخلت تاريخنا لسع مجهول أنحن شغالين حكي وقصص شوفوا المصريين بيرجعوا أي قطعة أثرية يعرفوا مكانها.

حسين عبد المولى: دا شغل الدولة والجامعات أول حاجة يورونا الحرامية ومكان عرض الآثار السودانية وين معروضة ياخ.

الطيب قال: اللفي الزمن البعيد خلو منو النهب كنز الخليفة عبد الله التعايشي بعد كرري واسع وين ومنو النهب كنوزعليدينار بعد استشهادو المسروق مننا كتيرواالله، ودا عايز مبادرات شبابية وحكومية.

قمبيز: والله الراح من دهب حبوباتنا كنوز كتيرة.. واستغرقوا في الضحك بي حماس.

(8)

الطيب قال لأصحابه في بيت العزابة: كانت الغرفة الجنائزية المقر الدايم لأماني شاخيتي كانت فيها كل حاجاتها الدفنت معاها في داخل الهرم الخاص بيها.

فرليني لحظة دخوله لي هذه الغرفة قال: (أول ما رأيت سرير عليه شيء مغطى بثوب من الحرير أو القطن. كان هذا كفن الملكة تحول القماش إلى هشيم بمجرد لمسه، وكان جثمان الملكة ممدد على سرير أو نعش خشبي، بأربع أرجل مشذبةملساء أسطوانية الشكل. بجانب سرير الملكة عدد كبير من القطع الخشبية، المنحوتة بأشكال مختلفة، مع إناء برونزي سلطانية أو فازة احتوت على قطع أخرى ربطت بنفس نوعية قماش الكفن).

واصل فرليني وقال (الغرفة احتوت على عدد كبير من التمائم والتعاويذ ومجوهرات زجاجية ومن أحجار كريمة وأشياء أخرى كثيرة، تماثيل صغيرة وصناديق وعلبة معدنية وغيرها. إلا أن كمية كبيرة من الحلي الذهبية المشغولة بشكل رائع من الخواتم، وأساور والحجول، كانت مصنوعة كلها من الذهب الخالص).

قال الطيب: طوالي أعلن فيرليني وإستيفاني تأجيل العمل للصباح، ولمن دخل الليلقاموا بفحص كنز أعظم ملكات مروي. سجل فيرليني في مذكراته

كان (الفرح يغمرني، عندما أخرجنا المواد الذهبية من الحقائب لنعيد فحصها. ووجدت أن لا شيء يماثلها في روعتها، وقيمتها العالية في كل متاحف أوروبا.. كذلك فإن المنحوتات الحجرية تفوق أعمال النحت اليوناني المعروفة بشدة جمالها).

حسين عبد المولى: ديشاااك والله لكن الحرامية لقو كنز، ديل ما شالوا كنز شالوا تاريخنا، وما سرقوا أماني سرقونا كلنا لا حول ولا قوة إلا بالله.

قمبيز: أها والباشا الدلوكة وين ما جايب خبر؟ مش جاء السودان عشان الدهب بتاع السودان؟ كان بفتش في العبيد وبس؟

الطيب قال: الباشا كان خاشي في معارك هوائية وقايل الدهب في السودان زي الحجار في الواطة، وما عارف قصة الخواجة فريني، لو عرفو كان علقو من كرعينو، والحمد لله إسماعيل باشا ما خطرت في بالو الآثار في السودان على الرغم من إنو فريني وصاحبو كسروا ريسين الأهرامات في النقعة والمصورات عشان يسرقوا وخربوها، لكن لو كان الباشا كان خلاها كوم تراب،الباشا ذاتووو حرامي وضحك وواصل وقال: بلد وهاملة آثارها من زمان بتنسرق وتتنهب سمبلا.

قمبيز قال محيرني موقف العمال خلوهم سااي طبقوا قريشاتهم ومشوا خلوهم؟

حسين عبد المولى: هم ذاتهم ما جايبين خبر لي نية الخواجات الطليان فريني وإستيفاني.

واصل الطيب وقال: جشع فرليني خلاهو يواصل في العمل بي شكل تخريبي، أملوفي الحصول على المزيد من الكنوز، قام فرلينى ورفيقه إستيفانيما خلو هرم ما خربوهو ونجحوا في تدمير أربعة أهرامات خلوها كوم تراب، لكن ما لقوا شيء تاني قيم، وبعدها هربوا بالغنيمة الثمينة. وخلى فرليني وراهو دمار شديد

في الذاكرة الوطنية وأهرامات بلا رؤوس عشان هو يبقى غني ومشهور. تاني في أي زول بيشكر الاحتلال ماعاقلوبيخلي الحرامي يدخل دارو،المحتلين ديل نهبوا تاريخنا وعرضنا كلو الله يلعنهم.

قمبيز: لاحول ولاقوة إلا بالله الشيء الناس ديل ماعندهم ضمير ولا أخلاق مفروض إيطاليا تعتذر رسمياً عن فعلتهم الشينة وترمم الأهرامات وتساعد في إرجاع كنز أماني شاخيتي لو عندهم أخلاق أو قيم.

(9)

قال عبد الواحد أنا قريت عن حملة فريني في كتاب الطيب وبتذكر إنو قال عن الخواجات في الوكت داك إنو بمجرد وصول الكنز إلى أوروبا، انتشر خبر فرليني وعثورو على الكنوز الهائلة للملكة أماني شاخيتي. طوالي ظهروا ناس من الأوروبيين خططوا يجوا السودان ويتموا الباقي ويدمروا باقي الأهرامات عشان الكنوز على الرغم من إنو في ناس كضبوا كلام فريني، واعتبروا كنز مغشوش عشان أصلاً معروف إنو كضاب كبير.

قمبيز قال: أكيد بيكون في مغامرين تانيين أحسن بيفكروا للاندفاع ليأهرامات مدينة مروي، أملين بتحقيق مكاسب هائلة وأكيد الترك وقواد جيش إسماعيل باشا برضو بيكونوا سمعوا بي القصة وبيكونوا فكروا في الموضوع، بلد وسايبة.

الطيب رد على قمبيز وقال: فعلاً فعلاً أي زول سمع بي القصة بقى بيفكر في الكنوز بتاعت الممالك السودانية القديمة.

وواصل لا وقال كان في واحد من القادة في جيش إسماعيل باشا اسمو عثمان بيك كان معسكرو ملان بالجيوش، وكان قريب من منطقة الأهرامات المروية وطوالي جهز جيشو عشان يكسر الأهرامات ويطلع الدهب الباقي بتاع الحضارة السودانية.

لكنلحسـن الحـظ كان في عـالم آثـار بريطـاني قـرا كلام فرينـي عـن الكنـوز في الأهرامات اسمو ريشارد ليبسوس، ولمن كان في لندن قرأ عن ما نساه وخلاهو فرينيمن دهب وكنوز في الأهرامات واعتبروا فريني مجنون وكضاب ودا هبط همم المغامرين الأوروبيين والباشوات والاغوات في جيش محمد علياشا في السودان وكان أخطرهم، عثمان بيك اللي خلى فكرةتدمير ما تبقى من الأهرامات.

واصل الطيب وقال: وبعدها جاء ليبسوس يقود أول بعثة تنقيب بطريقة علمية منظمة. يذكر ريتشارد ليبسوس الآتي: (شاعت أخبار عثور فرليني على الكنوز. إن العديد من الأوربيين، دون ذكر الباشا بدأوا يفكرون بوجود كنوز هناك. حاولت جاهداً أن أقنعهم، بأن ما عثر عليه فرليني من خواتم ذهبية، كانت بين ركام فجوة الهرم، وليست في غرفة دفن الكنداكة أماني شيختي نفسها. كان عثمان بيه قد عرض على قيادة عملية تفكيك الأهرامات، إلا إنني رفضت هذا وتمكنت من إقناعه بعدم جدوى دا. بالتالي انسحب الجنود دون الهجوم على الأهرامات).

(10)

حاج الماحي قالي عبد الواحد: والله يا عبد الواحد دا الكلام المفروض ما يتنسي كلو كلو ومفروض نضغط على إيطاليا وألمانيا وفرنسا وأمريكا وأي خواجة إنو يعتذروا ويخجلوا من فعالهم، والله فريني وإستيفاني سرقوا جيوبنا عدييل حكومتنا حكومة الهناء سوت شنو في الكلام دا؟

عبد البين: ها حاج انتأكل رغيف حاف ولا كب ليك جالونين بنزين ولا جاز، حكومتنا ههه.

عبد الواحد: كلام حاج الماحي صاح دا من المنسي والآن ذكرتكم بيهو والتحف دي قاعدة الآن أسمع في كلامي وكلامكم في المتحف الألماني فقدت

منها المجموعة الرابعة في الحرب العالمية التانية لمن الحلفاء دخلوا برلين أما الباقي قاعد وممكن استردادها لأنها مسجلة باسم السودان الكلام دا بقى ما منسي ياناس سمعتو.

***

کایو فی جبل کلقو

كايو في جبل كلقو

(1)

الخواجات أبان برنيطة جو السودان رحالة ومغامرين ومعاونين للاستعمار أو باحثين عن الثراء والشهرة والغرائب في السودانفي القرن التامن والتاسع عشر وطمعانين في خيرات بلدنا قالها عبد الواحد وعليهوآثار انبساطة، كان عبد الواحد بيحكي وهو مستمع بي القعدة مع أصحابو.

واحد من قرايبو في الحافلة: ياخ ديل وثقوا لينا وعن الحياة السودانية

عبد الواحد: ديل في النهاية انتهازيين ومحتلين وطبعاً ديل كتار خالص، وفي ناس عملوا كتب وشهرة كبيرة وكانوا بيحكوا عن بلدنا بي الشافوهو ولا السمعوهو ولا من مقابلاتم ولا من راسم ساي لي سودانيين في الوكت داك.

عبد البين قال وهو بيصلح في عمتو الكبيرة: شوف ياحاج عبد الواحد أنحن من طلعوا الخواجات ما مشينا متر.

عبد الواحد: العيب فينا ما هم كويسين، هم حرامية وقتلة وأولاد سفلة.

كانت أوروبا داخلة في عصر النهضة والمعرفة بعد نوم وجهل وحروبات واصل عبد الواحد في الحكاوي واعتبرواأنو العالم بتاعنا ما مستكشف على الرغم من أنو في حضارات أقدم وأرسخ زي الفراعنة والنوبة والحبش والصينيين وغيرهم، كانوا متطورين خالص خالص وعندهم منجزات كبيرة، جزء منها لي يوم الليلة ما اتعرف سرو ولا فكو طلاسمو.

إت يـا عبـد الواحـد الرحالـة ديـل مـا قاعديـن مبسـوطين مـالم بحبـوا الشـقاوة هههـه، ضحـك صاحبـو عبـد البـين.

شـوف يـا عبـد البـين الرحالـة ديـل كانـوا بورطـوا نفسـهم في متاعـب ومصاعـب كتـيرة وكانـوا بغامـروا عشـان الواحـد يرجـع ويحكـي قصـص زي ماقـال الطيـب صالـح لمـن مصطفـى سـعيد بيحكـي للبـت الخواجيـة الحلـوة عـن النيـل والسـودان في موسـم الهجـرة للشـمال قاليهـا تكـون نايـم في عنقريبـك تداعـب مويـة النيـل بي يـدك تهبـش التمساحوتمسـح ليـه ضهـرو غايتـو جنـس محـن والأسـود والأفيـال في الشـوارع والغابـات والمطـر وضحكـوا كلهـم دي فكـرة كتـير مـن الخواجـات عـن بلدنـا وكان داردو عـلى سـؤال صاحبـو عبـد البـين.

واصـل وقـال: الرحالـة الجـو هنـا نقلـوا صـور ومشـاهد بقـت راسـخة عـن بلدنـا، فيهـم ناسـآمينين، كتبـوا الشـافوهوا ونـاس كضابـين قالـوا نحـن مـن أكلـة لحـوم البشر ومتوحشـين ومتعطشـين للدمـاء وأولادأم زقـدة ذاتـوووو.. قالهـا معاهـا ضحكـة.

لكـن والله قصـص يـا حـاج عبـد الواحـد مـالم علينـا النـاس ديـل عشـان يقولـوا علينـا كـدا.

(2)

قالـت الحاجـة وهـي بتقطـع في البصـل وبتجهـز في حلتـا كـدي أدينـا واحـد منهـم ويكـون زول حقـاني وعنـدو قصـة عليـك الله يـا المـبروك.

كويـس بحكـي ليكـم عـن واحـد وصـل لحـدي ديـار الفونـج في النيـل الأزرق. اسـمو فردريـك كايـوا احفظـوا الاسـم دا كويـس.

أهـا ود كايـو دا فرنسـاوي أبيـض طويـل مهووسـوكان عـالم بكتـب في الآثـار والتاريـخ وجـاء مـصر لقـى الخديـوي عايـز يحـرك جيشـو للسـودان،وما صـدق طوالي طلبإنـو يمـش مـع الأمـير إسـماعيل باشـا للسـودان.

على أساس إنو رحالة وعايز يزور المناطق الآثرية ويكتب عنها، ويسجل كمان خبر الجيش ومقاومة الأهالي ويوصف بلد للفرنسيين اللي معلوماتهم عن السودان ضعيفة خالص خالص في الوكت داك وأهو فسحة وفرجة وشهرة وضحك ضحكة مدوية وضحكت معاهو مرتو وحفيدو.

أهاا بقى بكتب عن آثار النوبة في الشمال ويوصف الأرض والمواشي والمحصولات والمنقولات والناس والكنائس القديمة كلو كان بكتب عنومفكراتو، وكان مستمتع بي صحبة الباشاوالخدمات والاحترام اللاقيهو من جيش الباشا.

لحدي ما دخل دار الشايقية وحكى عنهم وعن بلدهم وأسباب مقاومتهم ووحشية جيش إسماعين باشا اللي كانوا بيقطعوا اضنين الأهالي ويجمعوها في سلوك من النحاس ويرسلوها القاهرة للباشا دلالة على نصرهم المؤزروقمعهم لأهل السودان، وكان الخواجة فردريك كايو قرفان لكن فرصة الحماية والبحث اللي بتوفرها الحملة كانت حلوة وفرصة ما بتتعوض خالص.

(3)

عبد الواحد قال لي أصحابو في قدام دكان حاج الماحي: كايو كتب عن معركة كورتي ضد الشايقية وتسليم الملك نصر الدين الميرفابي ودخول شندي وتسليم الملك نمر والملك مساعد ودخول الباشا قري وتسليم مك العبدلاب ناصر اللي كان عجوز ووصف قري.

حاج الماحي: المعنى الفرنساوي ما خلّى حاجة ما كتبها.

عبد البين: يا حاج الماحي الزول رحالة ومغامر ما بفوت شاردة لكن بعجبني شغلانية الخواجات بنجضوها تمام التمام.

عبد الواحد: صدقت الزول دا دقيق في الوصف وكتب عن النقعة والمصورات ومناطق الآثار لحدي دخول الحلفايا، والوكت داك الخرطوم غابة ساي، الساكنين كانوا في مناطق محددة، ومشى مع الباشا لحدي مدني وسنار واستسلام الملك الأخير في سنار للباشا واحتلال السودان ودخلوا في طاعة الباشا.

استمر عبد الواحد يحكي والجميع منصتين ليهو: أهااا لأنو الباشا جايي عشان الدهب اللي في بني شنقول ودار الفونج اللي الآن النيل الأزرق وداير العبيد والرجال حسب فهمهم.

كان عليهو أنو يسير حملات ووصل أخوهو الباشا إبراهيم ود الخديوي محمد عليودا ساق حملة وصلت لي جبل موية واتجاوز لي القرابين ودي قرية صغيرة غرب مدينة الدمازين الحالية، وطبعاً الدمازين كان اسمها في الوكت داك أبو رماد الغربي، واطة دلجة بزرعوها ناس الروصيرص.

واصل وقال عبد الواحد: لمت في الأمير إبراهيم الدوسنتارياتعب تعب الموت وما بهمنا كان مات ولا إتعالج لأنهم حقارين وظلمة، عذبوا الناس، وبعدها رجع لي مصر مستعجل وبقيإسماعين باشا متحكم، وكان لازم يتم مراد أبوهو الخديوي ويجيب العبيد والدهب بي سراع.

حاج الماحي: ديل الترك اللي بتشكر فيهم يا عبد البين.

عبد الواحد قال: قول ياسيد الامنتي ليكالباشا ساق حملة فيها مدافع وجيش وقال ماش دار الفونج ودي قصتنا هنا.

عبد البين: والله كلام، هو الباشا حصل دار الفونج كمان؟

عبدالواحد: بالحيل حصلا ود مربط العجيل الجاي ليهو وحتت الحكوة المنسية ذاتووو.

واصل عبد الواحد كلامو: كان قاصد فازوغلي عديل وفازوغلي واحدة من المشيخات القوية من مشيخات بني شنقول المعروفة وفيها جبل أصم كبير في الضفة الغربية للنيل الأزرق والجبل دا بتشاف من بعيد خالص.

الشارع كان ملان بي الشدر الكبار من الهجليج والهشاب والتبلدي والقفل والقش المرات بيكونأطول من الزول، ومافي طرق معروفة يمكن المشي فيها ولأنو الجيش كبير وكتير كانت حركتو بطيئة جداً بسبب العوائق زي الخيران والأودية والجبال والشدر وغيرها،إضافة لي الحيوانات المفترسة يا حاج الماحي.

حاج الماحي: وين يلقى الدرب البلد ديك بعيدة وشجرا شابك ودربا صعب خلاص والما بعرفا بجهلا أسالوني أنا مشيتا.

عبد الواحد قال: الأخطر من دا كلو كان الأهالي غير متعاونين مع الحملة، وكان الجيش بيهاجم القرى والحلال ويقتل وينهب ويأخد الشباب رقيق ويقتل النسوان والشفع والبنات الصغار، وكان بجمعوا الاضنين في وحشية ماليها مثيل في أي مكان في الدنيا.

في أثناء الحديث جاء الحاج مصطفى وقعد يسمع في الونسة وبدون ما يقاطعو، لكن قصص الوحشية خلتو يفتح خشمو، وقال مقاطع لي عبد الواحد.

مصطفى: لا حول ولا قوة ماقالوا ديل اللي بنوا السودان ووحدوهو؟ كلامك دا في المدارس مافي دووت يا عبد الواحد.

رد عليهو عبد الواحد وقال ليهو: يا حاج مصطفى البحكي فيهو كتبوا فردريك كايو نفسوا في كتابو المشهور (رحلة إلى مروي والنيل الأبيض وما وراء فازوغلي وسط مملكة سنار وإلى سيوة وفي خمس واحات أخرى) كتبوا بالفرنسية واترجم للإنجليزية والعربيةوترجمو الدكتور فضل الله إسماعيل ودا دكتور ليهو وزن وشنة ورنة وطلع لينا وفيهو منسية كتيرة عن الفترة ديك.

عبد البين: على اعتبار أنو كايو شاهد عيان على الحملة وعارف أهدافها الخبيثة برضووكان عايز يبقى مشهور ويقول للخواجات أنا مشيت شقيت إفريقيا.

(4)

نخلي كايو يحكي شوية واستمتع بي الشاي والقصة أصلوإنتو يوم واحد ماعصرتوا لي أي حاجة بلا اللبن والشاي مالقيت منكم عمار، وضحك عبد الواحد وأصحابو بي قهقهة عجيبة وغريبة.

كايو قال: وصلت أنا في معية الأمير إسماعيل باشا وجيشنا بعد ما سمعنا بي مرض إبراهيم ود الخديوي اللي مسكتو الدوسنتاريا، وكانت حالتو صعبة المسكين، كان راقد رز ومرضو زاد عليهو وما لاقي علاج.

سأل كايو واحد من أصحابو، وقال ليهو: يا كايو الباشا دا ما معاهو دكاترة كلو كلو؟

كايو: الدكاترة المعاهو بعملوا في المستحيل عشان ينقذوهو وكانت أمورو ملكلكة،وأنا بقيت أستطلع في الأحوال من قادةالجيش والخدم والزنوج، وأهل البلد اللي مسكوهم عشان يرسلوهم مصر كعبيد أو جنود في جيش محمد على العايز يعمل بيهو إمبراطورية توسعية في قلب أفريقية.

واصل كايو وقال: الزنوج بقوا يحكوا قصص تقطع القلب والترك ما عندهم رحمة ولا شفقانين على الزنوج كأنهم بتعاملوامع بهائم مش بشر، وأنا كنت متضايق من تصرفاتهم دي خالص خالص.

وبعدها اتحركنا لي فازوغلي والطريق كانت فيهو قرى متفرقة للزنوج وعرب كنانة اللي كانوا بيحفروا الحفائر عشان قطعانهم تشرب منها.

يعني يا شيخ عبد الواحد عرب كنانة برضو كانوا مستهدفين من الباشا؟

سألو عبد البين: الباشا شال من قطعانهم برضو وضرب فرقانهم لكن النفع ناس كنانة إنهم كانوا بعاد من مسار الحملة واللقوهو نهبوهو زيو وزي الزنوج.

رد عبد الواحد: نرجع نكمل باجماعة.

أها كان الباشا أجبرعدد من زعماء القبايل يرافقوهو لأنو كان خايف لو خلاهم وراهو يتمردوا ضدو، ومن ضمن الساقهم معاهو كان مك الشايقية صبير وكان مرافق للحملة.

الباشا قال للمك صبير: يا صبير أمش إتكلم مع الزنوج يستسلموا ويدفعوا الجزية من الذرةأو مواشي ولا قروش.

صبير: يا باشا الناس ديل ما بعرفو القروش.

الباشا: المهم لازم يفهمو إنهم حايدفعوا الجزية.

صبير قال للباشا: سمعا وطاعة.

وماكان عندو حل غير يقول كدا للباشا لأنو المك صبير معاهو عدد من الأعيان بتاعين القبائل، الباشا كان عاملم زي الرهائن في حملتو دي،مرق المك صبير ومعاهو عدد من رجالو، واتكلموا مع الأهالي.

وجاء راجع قال للباشا: أنا مشيت يا سعادتو، واتكلمت مع الأهالي، وقالوا ماعندهم ذرة وعيش أكتر من حلوقم ولا عندهم بهائم والعايز يعملوا الباشا يسويه.

الباشا إسماعين ود الخديوي غضب وكورك وقال لي قوادو سوقوا الجيش ووروهم أنا منو وود منو يقولوا لي كدا العبيد ديل والله أنتقم منهم،اتحركوا سراع سراع.

أهااا دي كانت الطامة وبداية عذاب الأهالي، سكان القرى دخلوا في الغابات ولا طلعوا الجبال، واتحصنوا بيها، وجيش الباشا ماش عليهم.

أول هجوم على أقرب قرية دخانها طار فوق وبقى بتشاف من بعيد وكتل تلتمية من الزنوج، ونهبوا أي حاجة ممكن يشيلوها وحرقوا الباقي.

الحلة التانية ساقوا منها 170 أسير من النسوان والرجال وحرقوها وساقوا العايزنو من المواشي وكتلوا الباقي بالأخص الخنازير كانت كتيرة وربطوا الشعبة في رقاب الزنوج والأهالي المساكين.

حاج الماحي: الكلام دا كلو كتبوا منو ياهو زولك الفرنساوي؟

عبد الواحد: أياهو فريدرك ود كايو اللي كان مرافق للباشا.

وواصل عبد الواحد وقال: كايو بحكي لي صاحبو الخواجة المعاهوا، وقال ليهوا: دا كلوا وأنا بعاين لي وحشية الأتراك ديل لكن ما بقدر أتكلم لأنو الباشا راجيني لمن أرجع أوروبا أكتب عنو كلام يعجبو، وماعارف أنا بسجل أي حاجة فظيعة ولا كويسة بتحصل قدامي وكنت بنافق فيهو عشان أكتشف العالم دا، وكان الباشا كريم معاي عشان راجي مشكاري ليهو، وتطير شهرتو في الآفاق.

الباشا مبسوط إنو حقق نصر على المساكين ديل اللي عندهم حراب وكان بضربهم بي المدافع والرصاص، والكلام دا كان يوم 22/ 1821/ 12م.

قريب لي جبل كلقو الشهير وجبل كلقو بيقع شمال جبال الأنقسنا وغرب الدمازين والي بتكون من سلاسل جبلية شاهقة الارتفاع.

(5)

قال كايو: قبال ما نصل الجبل لقينا وادي كبير فيهو شدر كبار وقش طويل والواطة فيها تربة حمراء فيها أوكسيد الحديد، وفيها صخور الكلام دا آخر حركتنا خصوصا الجمال المحملة بي الموية والأكل والذخائر والجارا المدافع وكان اجتيازو صعب للغاية، الوادي والغابة دخلناهم الصباح طلعنا منهم الضهر عديل كدا.

سأل كايو واحد صاحبو، وقال ليهو: مع الباشا دليل يوريكم الشارع؟

كايو: أيوة كان في دللاء من الأهالي ماشينمعانا.

واصل كايو وقال: وأنحن ماشين فجأة ظهرت قدامنا مزارعالعيش من نوعبراهو ما زي حق باقي السودان والباشا قال الجيش يتقدم ويهجم على حلة وجبلكلقو.

وكلقو دي عبارة عن قطاطي مفرقة وناسا ما كتار ولا عندهم بنادق ولا خبر بي الحملة، لكن الخبر وصلهم لمن الجيش قرب عليهم، أظن في ناس هاربين من القرى المحروقة كلموهم، وماكان عندهم فرصة غير يطلعوا الجبال، ويحتموا بيها من غدر جيش إسماعين باشا.

كايو قال: قبال ما الأهالي يهربوا داهموهم الجنود بي سرعة كبيرة،وشالوا منهم أسرى كتار، وربطوهم في الشعب.

القوة المهاجمة الأولى من جيش الترك قايدا واحد اسمو الحاج حامد،وديل التفوا وجوا بي جنوب الجبل،وقوة عمر كاشف باشا هجمت من الناحية الشمالية، وحاصروا الجبل، وعينك ما تشوف إلا النور والنار، ولعت في قطاطي الزنوج المساكين والمغلوب على أمرهم.

جزء من الزنوج طلع الجبل وديل الشباب والقادرين يجروا، وكانوا ماهرين في التسلق بي صورة غريبة خالص.

(6)

القـوة المتقدمـة مـن جيش الباشـا أعاقتهـا الصخـور مـن دخـول القريـة، ولمـن خشـوا جـوا لقـوا النسـوان والعجائـز وحاولـوا يسـوقوهن بالقـوة، وجـزء كبـير رفضـن يمشـن معاهـم طـوالي كتلوهـن بـلا رحمـة في الحـال، والـلي استسـلمن ربطوهـن بي وحشـية مبالـغ فيهـا، وبرضـو كان العسـاكر مـا قادريـن يتعاملـوا مـع الأرض الصخرية، ولا قادريـن يجروا ذاتـوو مـن الكلابيت والحراب والسهام الـلي نزلـت عليهـم زي المطرة مـن فـوق الجبـل، بعـد مـا قالـو خـلاص غـزوة، وانتهـت الله حـي وقـادر.

كايـو واصـل وقـال: أهـااا الزنـوج الطلعـوا الجبـل بقـوا بدردقـوا الحجـار والحطـب، وبيقـع في ريسـين العسـاكر الـلي اتورطـوا في قذائفمحليـة الصنـع جيـدة التصويب،وفـكّ معاهـا ضحكـة، وهـو بتذكـر في الأيـام ديـك.

كايـوا الفرنسـيبقى بيحكـي منفعلقـال بي حمـاس: الزنـوج لمـن شـافوا العسـاكر انكسروا هجمـوا عليهـم هجمـة قوية،الأتـراك كانـوا بيشـوفوا الزنـوج زي صقـر الجديـان لمـن يهجـم مـن فـوق بي سرعـة ورشـاقة وقـوة.

وغرسـوا حرابهـم وسـفاريقم والسـفروق دا اسـموعند زنـوج كلقـو الكلبـوت، وهـي حديـدة معكوفـة ترمـي، وتسـتخدم في الصيـد والحربةغرسـوها في صـدور عسـاكر الباشـا الـلي كان وعدهـم وحمسـم إنـو البقبـض واحـد مـن الزنـوج والأهـالي المسـاكينبيديهو قـرش إسـباني أحمـر.

(7)

إسـماعيل ود الباشـا اسـتقبل الفـوج الهـارب مـن حلـة كلقـو مـن رجالـو، وهـو زعـلان وببرطـم ويكـورك فيهـم، وطـوالي في حماقـة سـاق معاهـو مجموعـة مـن رجالـو، واتقـدم نحـو الجبـل عشـان يوريهـم الويـل وهـو منـو زي ماقـال.

لكـن مطـرة الحـراب الجاتـو مـن فـوق خلتـو يأخـد جريـة هـو والمعاهـو لي معسـكرهم، شـتات منظـر الباشـا كان جبـان للغايـة لأنـو افـترى عـلى خلـق الله.

عبـد الواحـد قـال: الباشـا ورجالـو غايتـو مرقنهـم كرعينـم وبنادقـم، كان نـاس كلقـو أدوهـو حربـة كان راح فيهـا شـمار في مرقـة، لكـن في مثـل بقولوأهـل السـودان (الراجـل يـا كراعـو ولا ضراعـو) والباشـا مرقتـو كراعـو، واسـتغرقوا في الضحـك.

وبعـد أخـدوا جريتهـم وقفـوا وقـرر الباشـا يكتـل سـكان كلقـو جـت،وقـام الباشـا حـاصر الجبـل وبـدأوا يضربـوا بي المدفعيـة وشـال الأحيـاء مـن الزنـوج أسرى، والباشـا لمـن حسـب خسـايرو كانـت فظيعـة الماتـوا مـن ديشـوا اتنـاشر والإنجرحـو أربعـين ومـن بـين قتـلى جيـش الباشـا إتنـين مـن قـوادو الكبـار.

قـال كايـو: أمـا نـاس كلقـو كانـت خسـايرهم كبـيرة مـات منهـم 180 قتيـل و575 شـالوهم أسرى، ربطـوا الأسرى، وختوهـم قـدام المدافـع عشـان مـا يفرفـروا خالـص، الأسرى كانـوا رجـال ونسـوان وشـفع والغنائـم بهايـم كتـيرة.

واصـل كايـو وقـال: لكـن القتـلى مـن جيـش إسـماعين كان ملاحـظ أنـو الزنـوج قطعـوا أعضاءهـم التناسـلية كلهـا وشـالوا بيضهـم، ودي كانـت عـادة الزنـوج في الحـرب بجبـو العـدو كتعبـير عـن نصرهـم المؤكـد ويسـتاهلوا، عسـاكر الباشـا.

(8)

عـاد عبـد الواحـد بعـد مـا اسـتمع لي كايـو، وقـال: خلونـا مـن الخواجـة العامـل فيهـا إنسـاني أصلـوا مـاف خواجـة جانـا جـاب نفـع، ولا كان منـو خـير كلـو اسـتعمار بغيـض وزي نـاس كايـو كانـوا عيـون للاسـتعمار بيدعواأنهـم رحالـة ولا خلافـو ولا تجـار كلهـم مـن أسـباب أذانـا.

عبد الواحد قال متألم: المهم أهلنا في كلقو حاربوا بشجاعة، واقتدار على الرغم من هول المفاجأة وقوة السلاح الناري، وكترت جيش الباشا،إلا أنهم دافعوا عن أنفسهم وعرضهم وما اعتدوا على زول.

حاج الماحي: رجال وعملوا العليهم الكترة بتغلب الشجاعة.

قال عبد الواحد: كلامك صاح وعين الحقيقة، الأسرى فرزوا ليهم قوة تسوقهم زي البهائم لي سنار، والباشا قرر يواصل التقدم من كلقو لي فازوغلي.

واصل عبد الواحد وقال: تاني ما أسمع زول يشكر استعمار كان ترك ولا إنجليز ولا غيرهم كلهم واحد.

وقال عبد الواحد: وتبقى كتلة كلقو واحدة من ملاحم العزة على الرغم من هزيمة الزنوج،إلا أنهم قاوموا كرجال وماتوا شجعان، والتاريخ بخلد ذكراهم، واللعنة على من هاجم الآمنين وخرب بيوتهم وأخدهم كعبيد لإرضاء نزواتو التوسعية، واتذكروا جرية إسماعين باشا في جبل كلقو وحريقو في شندي ودا من المنسي من تاريخنا اللي فيهو بطولات كتيرة.

هوي خلاص النوم وجب، وسكت عبد الواحدوما فضلت إلاصورة جبال كلقوفيالأفق كرمز لإنسان السودان صاحب الأرض، وذهب الغزاة كلهم للجحيم.

***

جمال الكرنوق

في جزيرة ود القمر

جمال الكرنوق
في جزيرة ود القمر

(1)

حسن حسني قاعد في قهوة من مقاهي القاهرة بعد معاناة السجن وحياة الذلة فيأم درمان، وهو بيحكي عن قصصوا في السودان، وقال: في شهر ذي القعدة سنة 1301 هجريةسنة 1884م، وكان النيل في أحسن حالاتو، والوقت دا من العاميسمح بالإبحار في النيل، لكن نهاية العام 1884م ما كانت الخرطوم بتنوم مطمئنة لأنو غردون كان الحاكم وفي آخر سنين عمره وبعناده، فقد التعاطف الرسمي في لندن والقاهرة، لكن قدر أنو يرسم صورة في ريسين الجماهير البريطانيين صورة مخلص ونبي مسيحي يعيش محاصر بالهموم والأعداء محارب براهو في هذا الجزء من إفريقيا، وكمان زول إنساني ومرتبط بي الأرض وسكان الخرطوم، وفارس فيكتوري وسيد مأسوني عريق في المحفل الإنجليزي.

واصل حسن حسني، وقال في أسى: قرر غردون إنو يقعد في الخرطوم ويخت اللوم على الحكومة المصرية والبريطانية ويمحن السير قلادستون، ودا كان رئيس الوزراء في لندن، وكان زهجان من غردون اللي كان شغال بي راسو.

قال حسن حسني عن نفسه بصوت أجش، وهو بتذكر في الأيام السوداء من حياتو، واللي كلفتوأربعتاشر سنة من الأسر في السودان المتوحش دا.

(2)

حسن حسنيجاء للسودان موظف في التلغراف في الخط الخديوي في السودان، ودا كان منجزات الترك، وقتها وأحدث وسيلة اتصالات، وكان بقرأ وبكتب وبتكلم الإنجليزية كويس عشان كدا خلوه كمترجم وتلغرافجيفي الخرطوم في الدائرة القريبة جداًمن غردون، وأوضاع الخرطوم كانت أكتر من مقلقة.

حسن حسني قال: والتلغرافات الكنا بنرسلا كانت متناقضة مرةنرسل كلام ونجي ننفيهو، وكلو كلام غردون، والراجل داكان بغير رأيو في كل ساعة ويوم ألف مرة، عشان كدا تلغرافاتو كانو برسلوها بالدستة من القاهرة لي لندن.

(3)

واصل حسن حسني وقال: أها النحكي ليكم قصتيفي صباح يوم من أيام حصار الخرطوم،وبأمر من الجنرال غردون باشا حكمدار عام السودان قالوا تتحرك بابور بخارية صغيرة اسمها عباس عشان توصل بريد لي دنقلا، وكان غردون عايز يتخلص من القناصل الأوروبيين، وبعض التجار الإغريق اللي خافوا وبحاولوا يهربوا من جحيم اقتحام الخرطوم.

أهاا وقولوا كدا ركب ناس عندهم وزن سياسي منهم نائب غردونواللي جاء للخرطوم بي كراعو ومبسوط عشانيكتب تقرير تقييمي عن الأوضاع في السودان، ودا خواجة بقولوا ليهو الكولنيل استيورات باشا، ودا من جنرالات جيش الملكةوالمسترهيربين قنصل فرنسا الراجل الأنيق اللي يرش نفسو كل صباح بالعطور الباريسية الفاخرة، لكنو كان مشهوررزي كل الأوروبيين في الوكت داك كانوا ما بستحمى بي سهولة بالرغم من قعادو جمب أطول نهر عذب في العالم.

وضحك حسن حسني وواصل، وقال: وكان الفرنساوي دا بدون في مذكراتو أوضاع السلم والحرب في السودان لحدي ما خش في ورطةالحصار العنيف بتاع

المهدي، وكان شايفم ناس متوحشين ومتعطشين للدماء، وما قدروا عظمة الحضارة الأوروبية ومستر باور قنصل بريطانيا النشط في الخرطوم، واللي بشوف إنو لبلادو حقوق وامتيازات، وإنو السودان من حيازات الملكةومصر نفسها اللي يحاول خديويها يتمسك بالسودانبالرغم من منشور إخلاء السودان.

ومعاهم عدد من العاملين في الحكمدارية وعدد منالبحارة الدناقلة، وكان في البابور مدفع واحد وثلاثة من العساكر المدفعجية ودليلين من دنقلا، ودا لتوجيه الباخرة لعبور الشلالات والجنادل.

(4)

عبد الواحد قال: كانت ترسانة الخرطوم مليانة بالبواخر والبوابير، وكانت ملانةبالحركة وأصوات البحارة والعمال وأعمال الصيانة.

واصل وقال: محمد عليوالبشتلي ديل عمال وريسين البوابير في ترسانة الحرطوم في الوكت داك،وهم من أولاد دنقلا ليهم زمن شغالين في البحر حافظنو من الرجاف لي دنقلا عشان كدا اختاروهم اكونوا في الباخرة عباس.

عبد البين: البحارة الدناقلة ديل شكلم اختاروهم بعناية شديدة عشان المهمة دي سرية وغردون معلق عليها آمال كتيرة أقلاها تجيو حملة إنقاذ للخرطوم تفكو من الورطة العملا دي.

حاج الماحي ضحك، وقال: المكتولة ما بتسمع الصيحة.

عبد الواحد واصل، وقال: بعد قرار تحريك الباخرة عباس تم اختيارهم بي سرعة عشان يمشوا مع الباخرة في اتجاه الشمالية لي دنقلا، وتنفيذ مهمة خطيرة،وهي تجاوز دفاعات الأنصار ونيرانهم، كان عليهم الاحتفاظ بمواعيد التحرك في السر، لأنو الباخرة إذا وقعتفي يد الأنصار أم الحسن اتنفخت،ضحكوا كلهم.

(5)

عبد الواحد قال: حسن حسني والأدلاء والبحارة رفعوا عفشم بي سرعة وشالوا معاهم شنط حديد فيها جوابات غردون وبرقياتو المكتوبة بالجفرة (الشفرة).

قول كدا اتحركت الباخرة عباس بعد وداع غردون واصلوا وما عملت صفارة زيها وزي البوابير الطالعة من الترسانة ومرقت منسرقة في نص البحر.

عبد الواحد واصل وقال: وفي ليل الخرطوم داك ما شغلت الباخرة عباسأنوارها،وقال أخلي القصة يتمها حسن حسني سمح الغنا في خشم سيدو ولا ما كدا.

قال حسن حسني: خلينا البابور نفسها تنزلق في تيار النيل بهدوء وحذر وهي ماشة في اتجاه الشمال، وكل من في البابوركاتم نفسو، ويسأل الله إنو ما يشوفهم الدراويش المحاصرين للخرطوم.

في الليلة ديك كانت كواريك الدراويش وتكبيراتهمونوباتم بتدق تنشر الرعب في الخرطوم كلها ناهيك عن المنسرقين والراكبين في البابور وأصلاً هم خايفين، وكانت كل أماني غردون إنو يصلوا بسلام عشان يقولوا للساسة وجنرالات الجيش البريطاني أنا بقدرأصمد، ولكن محتاج لي دعمكم وما بقدر أصمد للأبد، وإذا دخل الدراويش الخرطوم في ناسكتار بيموتووتقعبلاوي كتيرة.

عبد الواحد قالوهو بيحكي:اتحركت الباخرة، وهي بتغرف وتقلب في الموية بسراع سراعلحدي ما فاتت المحاصرين اللي اتفأجاوا بيها مرقت بعيد في ثبات وضربوا نار اتجاهها، وكان في بابور فيهو العساكر اسمها الصافية بترافقها للحراسة، وبدو يردوا على نار الدراويش المجلية.

حاج الماحي: بيكون قلب غردون انقطع لمن سمع الدانات بتضرب في البحر بيقول خلاص ناسي غرقوهم وضحكوا كلهم.

عبـد البـين: غـردون كان صنديـد وكـت رسـلهم بيكـون كان متوقـع أي حاجـة تحصـل، وشـغال بي راسـو البيحصـل يحصـل، لكـن بتكـون طقتـو خوفـة فعـلا.

وقطـع صمـت الليـل في الخرطـوم فجـأة صـوت دانـات كان بـردت في المويـة، وهـي ولامستها بعنـف وهربـت البوابـير في الضـلام في سـلام فـرح الجماعـة، ومـا عارفـين الغريـق قـدام.

البوابيربقتتهـدر في النيـل الـلي أخفاهـا حتـى عـن عدسـات نظـارات غـردون المقربـة، وكتـب في يومياتـه مبتهج(لقـد عـبرت بسـلام) في يومياتـه الـلي حكـت عـن الخرطـوم في آخرأيامهـا.

البوابـير طايـرة طـير مرقـت مـن خانـق السـبلوقة الضيـق بمهـارة بعـد مقاومـات صغـيرة مـن نـاس الشـيخ الأمـين ود أم حقـين وغيرهـم مـا أثـروا معاهـا خالـص.

واصـل حسـن حسـني، وقـال: ومـن بعدهـا المتمـة الـلي كانـت واحـدة مـن أقـوى قواعـد الأنصـار في الوكـت داك، وفيهـا الجعليـين الـلي أدوا البواخـر كـم دانـة جلـن ووقعـن في النيـل، وأنحـن جرينـا جـري في البحـر.

شـاف الـركاب في البوابـير فرسـان الدراويـش بيضربـوا رصـاص بنادقهـم القديمةوقصيرة المدينادق الرامجتون وهـم بيكوركوا،فبيرد عليهـم حـراس البواخر بنيران عبثيـة يـاخ كانـت زي اللعبـة ولا الهظـار، المهـم كنـا متقدمـين شـمالاً كويـس.

قـال حسـن حسـني: والله غايتـو لحـدي هنـا سـلامة، لكـن المشـكلة كانـت قدامنا في بربـر فيهـا الأمـير أحمـد الخـير مسـلح بمدافـع، ولازم تكـون عمليـة تجـاوز بربـر صعبـة ومكلفـة، أي احتـمال وارد ومـا عندنـا حلـولا طريقـة غـير نجازفهـا ونقطـع بربـر دي، لأنـو بعـد المتمـة انفصلـت مننـا بواخـر ومراكـب الحمايـة بعـد وداع حزيـن، وكان آخـر مـا يـدور في ذهـن الجنـرال غردونالـلي منتظـر مننـاأخبـار حلـوة لمـن نصلويجي جيـش الإنجليـز سراع سراعينقـذوا مـن الهـلاك وركـوب الـرأس بتاعـو دا؟

(6)

يحكي حسن حسني في ذكرياتو بعد معركة أم درمان في يوم 2 سبتمبر 1898م وتحريره من سجن الساير الرهيب في أم درمان، وهو عجوز أزرى به الدهر وأكلت أيام الأسر أنضر أيامه.

واصل حسن حسني وقال: لمن وصلنا بربر ظهرت لينا المدينة من النيل بيوتها من الطين والرواكيب والقطاطي،ونحن بقينا نزيد من سرعة المحرك البخاري، وقبال ما نتجاوزا كنا واتزودنا بالحطب للوقود واستعدينا لمواجهة مدفعية بربر، ورقدنا كلنا ورا الدروع الكانتبتقل من حركة البابور اللي كان يصارع في موج النيل ودخانا الأسود في السماء، ويكشف مكانافي البحر اللي بقي لينا زي الفتيل.

حسن حسني وهو يحكي للقاعدين معاهو وهو براجع الأيام ديكوهم مارين قدام بربر قال: فكّ فينا ديم الدراويش نار جد وعشنا لحظات عصيبة، لكن داناتم كانت بتقع في البحر، جمبناونحن بنراقب ونتضرع لله، ونطلق من مدفعنا دانات أيضا ونرد ببنادقنا، وكنا خايفينمن إنوتقع دانة في الباخرة.

ولكن نجونا وهربنا بالباخرة وقطعناالشلالات والجنادل، وكانت في قوة من الدراويش على ضهر الخيول متابعانا في البر.

سألو واحد من اللي معاهو عن شعورو بعد ما رجع مصر رد حسن حسني بي أسي ظاهر عليهو، وقال: كانت ديك أيام صعبة أااه كم كنا خايفين من الموت الكنا شايفنو قدام عيونا، لكن أجمل ما في الموضوع حصل هو الهروب من يدينالأمير محمد الخير، لكني جابوني ليو أسير،وذليل ياريتني لو مت مع الباشااللي مضى لي ربو.

لكني الليلة بحكي وأنا فرحانعشان عشت وشفت تحرير أم درمان،وشفت جيوش السردار، وناس الحكومة في الخرطوم، شالو حكم الدراويش من الوجود، وقدرترجعت لي المحروسة.

(7)

يعتدل حسن حسني في جلسته، وهو يرشف ماتبقى من فنجان القهوة، وهو يتذكر، ويقول: واصلنا رحلتنا شمال بربر واستغرقنا يومين، وفي اليوم التالت من إبحارنا وصلنا لي جزيرة في نصالبحر تقابلها قرية السليمانية في ديار المناصير، وفرحنا لأنو قربنا من سيطرة مدير دنقلا مصطفيياور، ودا كانوا بيقولوا عليهو الثعلب العجوز لأنو أرمني مكار.

كيف كيف؟ قالها الحضور كلو عايزين يعرفوا حاجة عنو.

حسن حسني ضحك، وقال: مصطفى ياور دا مدير دنقلا كتب للمهدي إنو آمن بالمهدية وضرب الدراويش في مقتل في كم حرابة وعرف دوخ المهدي ورجاله وانسحب إلى مصر في هدوء وانضباطعجيب.

طوال أيام سفرنا بي البابور كنا نتخير المناطق العميقة في البحر، وبنحاول إنو نتجنب الإبحار بي جنبالقيفة، لأن فيها كمائن ومصايب وبنخاف من مدفعية وبنادق الدراويش، ولكن كنا مفتحين عيونا تمامعشاننعبر مناطق العدو بي أمان.

أها والحصل شنو معاكم إنتو؟ مش معاكم البشتلي ومحمد علي..المشكلة وين؟ قالها واحد من القاعدين معاهو.

لكن أقدار اللهقالهاحسن حسنيوهو يسحب نفساً من الهواء ويمسح عن جبينه عرق تدلى منأخاديد وجهه اللي كانت تمسحه سحابة من الحزن الأبدي.

واصل حسن حسني كلامو وهو يتذكر أصحابو من الريس والعمال المصريين في الباخرة عباس، وقال: المهم هكذا هي الحياة فجأة ظهرت قدامنا جزيرة والبحر فيهو ممرين، وكنا اتفقنا كلنا على أن نمر من المسار الأيمن للنهر، ولكن كان هناك عائق قدامنا في مجرى البحر ما بقدر أتذكروالكلام دا طول مضى عليهو الحدث تمنتاشر سنة قالها بلهجة سودانية مع ابتسامة خفيفة.

«واصل يا عمنا حسن حسني». قالها واحد من الحضور.

وبعد التشاورمع المرحومين محمد وعلي البشتلي قررنا التقدم خوفاً من أنو نمر بي جنب من القرية اللي واقعة على شاطئ النيل اليمين،وحاولنا تفاديها بكل السبل الممكنة، لكنالباخرة علقت في الرمل اللي أخرنا وحاولنا نطلعها بتحريكها يمين وشمال وما قدرنا، وكانت محاولات عبور الجنادل والصخور والموية الضحلة صعبة للغاية وبعدها غرزت في المياه الضحلة، إضافة إلى أنو الصخور ضربت الباخرة وإتسرب بعض الموية فيهاالكلام داحصل الصباح، بقينا شغالين عشان نمرق من الحتة دي الليل كلو، وما قدرنانعمل شيء، يمكن إنويطلع رقابنا من سيوف الدراويش، قال كلامه وسكت ونزلت منو دمعة، سكت كل اللي حولو.

(8)

عبد الواحد قال: كانت الجزيرة قريبة من البابوراللي كانت في نصالبحر، وكان ممكن إنو تشكل ليهم حمايةكويسة.

الحصل شنو طيب يا عبد الواحد قال الكلام دا عبد البين.

عبد الواحد: حالا أصدر الجنرال إستيورات باشا أمر بنقل كل العفش والشنط الموجودة في الباخرة إلى الجزيرة، وبقى في الباخرة الجنرال إستيورات باشا والمدفع مع ذخائره، ومعاهو القناصل الأوروبيين.

فقد أخذت الشمس في الارتفاع وبرودة الصباح تتلاشى من الجو والخوف من أي هجوم محتمل مع غضب إستيورات، والقناصل اللي كانوا بينظروا لينا كفاشلين، وأننا من تسبب في هذا الموقف العصيب.

واصل عبد الواحد، وقال: وفي الوكت داك كان الدليلين الدنقلاويين قد عاموا لي الضفة اليمنيدون ما يأخدوا أي إذن، ولكنهم بعد ساعة جواوكلموا

إستيورات والقناصل بأنوالحلةما فيهادراويش، وأنو سكانها يدينوا بالولاء للحكومة، وأنو مديرهم مصطفى باشا ياور مدير دنقلا وأنوالمناصيرعرفو قصة البابورومكانها، وأنهم جاهزين يوفروالينا جمالتودينا لي دنقلا بأسرع فرصة.

وبعد ما سمع الكلام دا إستيوارت باشا أمر تلاتة من حرسو والكاتب وأنا نعوم نصل القرية،ونتأكد من صحة الكلام دا.

حسن حسني قال لي إستيوارت باشا:داكلامماصاح لأننا مصرين وبنخاف من المناصير اللي لو شافونا ساي ما يمانعوا من قتلنا طوالي.

حسن حسني قال للباشا:من الأفضل أنو يتحركواجزء منهمبالمراكب لي دنقلا يجيبوا مساعدة وفي الوكت دايمكن للباشا والقناصل أنو يبقوا في الجزيرة آمنين، وكلنا كنا مقتنعين أنو المساعدة من دنقلا دا أفضل حل يمكن نسويهوا بدل ما نخت نفسنا تحت رحمة الدراويش ديل.

قال عبد الواحد وهو بيحكي: طبعا الباشا الجنرال إستيوارت غضب مننا، وقال نحن جبناء. وهددهمبأنو بيضربهمناركان ماستجيب لي أوامرودي.

حاج الماحي: والله الباشا عميان ومفتري صحي مابيعرف السودان بالجد.

وواصل عبد الواحد بدون مايرد على حاج الماحي، وقال: تحت تهديدات إستيوارت باشا اتحرك المصريين بي مركبلي قرية السلمانية، ولقيناها عبارة عن قرية صغيرة، وفي القيفةقابلهم رجال من المناصيرواقفين قدام بيبان القطاطي بتاعت القش، وواحد منهم اسمو عثمان ود القمر المنصوري،ودا أعمى وعجوز وماكر برضو قالها، وهو يبتسم.

حاج الماحي: دا قصتو شنو كمان؟

عبد الواحد: دا بطل الفليم الهندي اللي أنحن فيهو دا، صبر يبل الآبري ماف ياحاج الماحي،سوي صبر، وضحكوا كلهم.

(9)

حسن حسني شرب من القهوة اللي القدامو وسرح وهو بعاين للسماء بتذكر في الأيام، وقال: بعد نزولنا للشاطئ خضنا طرف البحر وبعد الترحيب بينا من أهل الحلةسألنا الرجل الأعمى ود القمر المنصوري عن سبب جيتنالي حلتوردينا على سؤاله بأن أقدار الله عطلت باخرتنا في النيل ضربتهاالصخور والجنادل والرمال.

ود القمر رحب بيهم في حلتو تاني.

وقبال ما يسألهم تانيقاموا سألوهو هل هم مع الحكومة ولا مع الدراويش.

رد عليهم الراجل الأعمى: بأنهم تابعين للحكومة ومديرهم مصطفى ياور باشا وأنهم ما تابعينللدراويش.

قال حسن حسني: وفي اللحظة ديك تظاهرنا بأننا صدقنا كلامهم، وقلنا ليهمجيبوا المصحف، وأحلفوا عليهوو يقولوا لينا الحقيقة.

ود القمر كلم ناسو يجيبو المصحف وجابواالكتاب وحلفوا عليه بأنهم يقولوا الحقيقة، وأنهم مابيخدعونا، وأنهم تابعين لسلطة الترك.

عثمان ود القمر ثم سألنا: عاوزينشنو بالضبط؟

ردينا على المناصيربأنو الباشا عاوز جمال يتم سفرو لي دنقلا وسريعاً.

ضحك حسن حسني وهو بيتململ، وقال بصوت خافت: كم كنا غبيانين ياخ.

المناصيرقالوا ليهم بأنو شيخ القريةالشيخ سليمان برةالحلةولمن يجي يكلموه بالحصل وحاجة الباشاوأنو يجوهم باكر.

قال حسن حسني: وكان دا ما قدرناعليهو على أساس نجي باكر، ومع وعد أهل الحلة بأنو يرسلوا لينا إن جاء الشيخ سليمانلي حلتو، وطلبوا منا أن ننقل التحايا للباشا ونديهو الأمان، وقلنا لهم سنفعل ذلك ونخطر الباشا.

بعد داكرجعنا بي المركب لي الجنرال إستيورات والقناصل وماقدرنانقنع الباشا بأنو نرسل المركبلي دنقلا عشان تجينا النجدة لأنو الباشا وثق في كلام المناصير المكارين.

حسن حسني قال: الباشا زعل مننا واتهمنا بي أننا خوافين وعينا في مجموعات لحراسة البابور في الليل داك.

في الصباح الرجلين اللي كانو مع الراجل الأعمى جومعانا للجزيرةوشايلينمعاهم المصحف ومشينا في الحال إلى الباشا والقناصل عشان نوريهمبي الحصل.

العرب اللي جو معانا قابلوا الباشاوأدهاهم الباشاضمان على دفع قروش الجمالوأداهم الأمان ووعدهم بشرفه أنو بيلتزم بي كلامو، الباشا المسكين ما عارف العرب مكارين.

حسن حسني: الراجلين وعدوا الباشابأنهم بيجوا في اليوم الجاي بعد مايجي شيخهم من الخلاءقالها حسن حسني وضحك هو جماعتو.

واحد من الحضور قال لي حسن حسني: طبعا والباشا صدق وعدهم لأنهم حلفوا بي الكتاب وأنهم بيقولوا ليهو الحق.

حسن حسني قال: بيتنا الليلة ديكفي الجزيرة وختينا حراسة مشددة منتظرين جيةالعرب في الصباح، وهم عارفين أنوبابورنادقش الحجرومعطل.

في الصباح وفي حوالي الساعة العاشرة وصل للجزيرة راجلين وكلمونا بأنو شيخهم جاءمن الخلاء، وأنوعرفقصة البابور وتعطلها في الجزيرة، وأنوعايزيجهز

الجمال لنا، ويتمنى أن نصل كلنا سالمين لي دنقلا، وكلمو الباشا أنو لازمننقل العفشليالقيفة اليمينعشان يواصلو رحلتهم بالجمال.

طوالي الباشاوالقناصل أمرونا بنقل العفش إلى الشاطئ وعبرنا للقيفة معانا كل أغراضنا.. الله حي وواحد وقادر، قالها حسن حسني بي أسى شديد.

(10)

كبَّ من القهوة وملأ فنجانو ورشف من الموية واتلفت ثم استطرد، وقال: في حوالي الساعة الواحدة ظهراً ونحن ننتظر يكلمونا بوصول الجمال والـلي جزءبعضها حا يشتروهو وأنحن منتظرين.

جاء رجل وقدم لنا دعوة الشيخ سليمان عشاننزور حلة الشيخ وبعدها قال لي الباشاأنا ما بتكلم العربية يمكن تجي معاي لزوم الترجمة.

وقال استيورات باشا: حا نتحرك نحن الأربعة الباشا والقنصلين البريطاني والفرنسي وشخصي.

قال حسن حسني: مشيت معاهم بي المركب لي الشيخ ولقيناهوقاعد في غرفة ومعه حوالي خمسين راجل ومعهم الرجل الأعمى، وكان أغلبهم يلبس ملابس الطراز التركي امعانا في التمويه.

واصل وهو بيحكي بي شرود ظاهر عليهو، وقال: بعد وصلنا دعونا للجلوس على عنقريب، وجلست أنا وقنصل فرنسا المستر هيربن في عنقريب والباشا وقنصل بريطانيا المسترباور في العنقريب التاني.

جابو لينا لنا بلح ناشف وبسكويت محلي وتظاهروا بأنهم منتظرين الجمال اللي وعدونا بإحضارها والـلي من المفترض أن تكون جات والملاحظ أنو الرجال كانوا هادئين داخل الغرفة بشكل يحير.

(11)

قال عبد الواحد بي خبث شديد: جمال الكرنوق بدأت قصتها ونحن ننتظر، ولكنالمناصيركان عندهم سبعة جمال بس وعملو لعبة دورانية بي الجمال السبعة.

حاج الماحي: كيفن دورانية يعني.

عبد البين: دا شغل ملعوبية مش حلفوا وأدوهم الأمان.

حاج الماحي: الحرب خدعة والباشا عوير.

واصل عبد الواحد وهو بيضحك ما حاول يفض الاشتباك دا وقال: كانوا المناصير بيجوا قدام باب القطية عربي وقايد جمل وواحد من عرب المناصير يكورك واحد ويمشي يلف وراء القطية، ويجي عربي وبي جمل وبتاع الحساب يكورك اتنين لمن وصلو سبعة يبدلو العربي والجمل، ويقول البحسب تمانية، ويواصل في نفس الكضبة تسعة وعشرة ماش بيحسب في السراب.

قال حسن حسني: قلبي ما ارتارح وعاينت للباشا اللي كان مبسوط أخيراً يتخارج من العرب ويحصل لي حدود مصطفى ياور، وماعرف حاجة الباشا راجل طيب والله، وما يستاهل قالها بحزن عميق.

واصل حسن حسني بيحكي في قصتو المنسية، وقال: فجأة دخل الغرفة رجال طلعوا سيوفهم وحرابهم وسكاكينم في أيديهم، وهجموا علينا، وبدوا بالقنصل الفرنسي المستر هيربين كتلوهو، وطعنوني أنا في يدي اليمينوكراعيالشمال، وبعدها شعرت بأنو قواي خارت ماقدرتأشوفكتلة الباشا والقناصل، ولمنوعيتلقيتأربعمية راجل شايلين السيوف والحرابوبأشروا عليوهم محاصرينالقطية.

عبد البين: داغدر والله كان يكتلوهم في البحر وهو غضبان.

حاج الماحي: ياخ غدر الجابو شنو دي بلدنا خلي يشم التراب حق أبوهو.

قال عبد الواحد مقاطع كلامهم: حسن حسني محظوظود الشيخ والراجل اللي وعدووأداهو الأمان دخل وطلب من الدراويش أنويخلوني وفاءليوعدهم وحلفهم بالقرآن، وبعدها جريت نفسوساقوني يعالجوني من الجروح، وبقيت أشتغل لمدة شهر كخادم مع المناصير لحدي ما اتعافيت.

(12)

حسن حسني قال: بعد فترة رسلونيلي بربر للأمير محمد الخير اللي زغنا منو بي البابور زمااااان وطوالي سجني أربعة شهور وبعدا فكاني بالضمانة وبقيت لايص في بربر.

واصل وقال: بعد مرور سنةرسلوني مع حراسة من بربر بأوامر من الأمير محمد خير لي أم درمان عشانأبايعالخليفة عبد الله التعايشي بعد وفاة المهدي، وبعدا قعدتفي أم درمان بين السجن دخلوه كل ما تحصل كفوة ومرقوه، حاله كانت صعبة وما متخيلة، وياهو الحال والحمد لله.

سألو واحد من القاعدين: وكنت عايش على شنو ياعم حسني؟

رد عليهو وقال: اشتغلتأي حاجة عشان أعيش وما اعتمدت على زول لمنحرر الجيش الإنجليزي أمدرمان وبعدا طوالي جيت لي بلدي مصر وتاني ما بقبل على السودان كلو كلو.

عبد الواحد ضحك وقال:ود أم زقدة تاني بتجي المولد بدون عكار؟

استغرق الجميع في الضحك وقالو والله حكاية لكن.

***

جريدة ستيورات وورتلي في رحلة الصبابي

1898/1/1م

جرية ستيورات ورتلي في حلة الصبابي

1/1/1898م

(1)

اعتدل عبد الواحد وقال وهو بيحكي لي أصحابو زي كل يوم في قصة جديدةوبدأ وقال: الليلة بحكي ليكم عن جري الإنجليز في بلدنا جنس فضايح غايتوأبدأ ليكم بي واحد عاجباهو روحو بيقولوا ليهو الميجور ستيوارت ورتلي، ودا ضابط بريطاني جاء مع حملة كتشنرسنة 1898م.

عبد البين: يعني ما ياهو الباشا بتاع المناصير ولا ستيورات جديد كمان والله قصص.

عبد البين: داك كتلو سنة 1884م ودا جاء مع حملة كتشنر سنة 1898م ركز ياخ وأخدوا ليهم ضحكة كلهم.

حاج الماحي: خلينا من عبد البين المخرف دا وأحكي الجرو من الإنجليز كتار إلا تاريخنا منسي، أدينا يا حاج من المنسي داك قصصو حلوة، وبتمشي الوكت ورانا شنو ياها عطالة المعاشات.

قال عبد الواحد: الميجور ستيورات ورتلي عينوهوعشان يقود القبائل السودانية الزعلانة من الخليفة عبد الله التعايشي اللي سموهم الإنجليز في الوكت داك قوات العرب الشرقية ولا العربان المتحالفة.

عبد البين: ديل العاقلين والله سقطوا الخليفة والمهدية.

حاج الماحي: ديل الخونة اللي وقفوا لي احتلال البلد ياخ.

عبدالواحد: خلونا نحكي التاريخ زي ماهو نخلي الأجيال تحكم لو بدينا غلاط ما بنقيف والتاريخ ما بحاكموهو بي واقع اليوم ومنطقو، دي أحداث انتهت خلونا نحكيها ناشفة وبس.

عبد الواحد واصل وقال: العربان ديل كان في نظرهم خطر المهديةأكبر من احتلال البلد وعدواتم للخليفة عبد الله التعايشي كانت كبيرة ودا منطقم.

وواصل قبال ما يبدو غلاط جديد، وقال: ودي وجهة نظرهم وما عايزين نحاسب موالي ولانجرم معادي للمهدية. عايزين نحكي التاريخ زي ماهو، لأنو بكرر نفسو في كل مرة، ولازم ناخد منو العبرة التاريخ ماقصص وبس.

في البلد البعيدة في إنجلترا كان ستيورات قاعد في كرسي القماش الهزاز بعد ما عجز وبيحكي للناس المعاهو عن تجربتو في حلة الصبابي جنب الخرطوم بحري في السودان، وبيراجع في الماضي، وأيام الحرب لمن كان شاب.

ستيوارت ورتلي بحكي، وقال: عن العربان المتحالفة لمن كتشنر كان زاحف نحو احتلال أم درمان لمن جاء يوم 29 أغسطس 1898م جاتني تعليمات من كتشنر أجمع العرب وأسلحهم وأخليهم تحت عيوني.

وقال ستيورات: كتشنر طلع أمر يديني بنادق وذخائر وبابور ملان عيش عشان الأكل ومعاهو معدات حرب وإسناد ناري من البوارج الحربية.

استمروقال بصوت أجش: مهمتنا هي الضفة الشرقية للبحر بشرط نكون ماشين مع الحملة ونقوم بي مهمة تنضيف الطوابي الشرقية اللي كان بيقودا الأمير عيسى زكريا التعايشي وكانت الطوابي في الجيلي والحلفايا وحلة الصبابي وجزيرة توتي.

(2)

عبد الواحد جنو مع الحكاوي المنسية ومهموم بيها أخذ ليهو سرحة، وقال: شوف يا ياحاج الماحي حملة كتشنر ما كان ممكن تخلي شرق البحر فاضية كروو كان لازم تأمنها.

واصل وقال: كان خطة كتشنر فيها قوة البوارج الحربية في النيل وقوة الجيش الإنجليزي بقيادة ستيورات وقوات العربان السودانية.

وكان بي التزامن مع الحملة قوة هناك ماشة على القضارف بقيادة الكابتن بارسونيز في الشرق اللي كان عصي على الحكومة بسبب عثمان دقنة اللي سحبو الخليفة لي أم درمان.

واصل وقال عبد الواحد: وفوق دا كلو كلف كتشنر نص الكتيبة الخامسة المصرية بقيادة عبد الجواد برهان ودا قائمقام مصري يقوم بي جيشوا ويعبر من سواكن لي بربر والطريق دا كان قافلو عثمان دقنة لي أكتر من أربعتاشر سنة ماف ود مرة مشى فيهو إلا شاف الموت، كتشنر سوا دا كلو عشان يوسع دايرة التقدم على أم درمان.

(3)

ستيورات قاعد في بيتو وبكلم ناسو بيذكرياتو عن حروب السودان والمخاطر لي أصحابو قال: في يومي 30-29 من شهر أغسطس سنة 1898م وأنا مع السردار كلفني بي مهمة شرق البحر لأنو فيها عدو ولازم نزيلو بي أي تمن.

وقال السردار كتشنر موجه كلامو لي ستيورات: سلاطين باشا رتب مع جزء من زعماء القبائل الكرهانين حكم الخليفة بيلاقوك بي الشرق وانت حا تقودهم.

قال ستيورات: طوالي قطعت البحر بي البوارج الحربية وبدأ العرب يجوا يتلموا في حتة شمال الجيلي وقريبة من قريالعبدلاب الشهيرة في جنب جبل ملكيت.

وسكت شوية وهو بتذكر وقال: وطوالي اخترت الراكبينحصين من العربان ومعاهم حبة إنجليز ومصريين يمشوا يعملوا استطلاع لي طابية الجيلي ويدوني الموقف بي الكامل بي سرعة.

سألو واحد من الجماعة القاعدين معاهو: والحصل شنو بعد داك؟

رد عليهو ستيورات، وقال: الاستطلاع جاء راجع ومعاهوأسرى من الدراويش عددهم ستة لقوهم في مركب في البحر شغالين استطلاع برضو.

واصل وقال: بعد ما جابوهم عرفت منهم إنو في نقطة في حلة الدبيبات فيها 90 من الدراويش ودي نقطة مراقبة متقدمة، وكان لازم أزيلها عشان أتحرك للجيلياللي فيها قوة كبيرة من الدروايش، وعرفنا أنهم انسحبوا كلهم لي طابية الحلفايا اللي بقت هدفنا الجاي.

(4)

عبد الواحد بيكلم في جماعتو، وقال: إنو قوات العرب الشرقية أو العربان المتحالفة ديل هم جزء من الجعليين، وكان زعيمهم إبراهيم بك فرح والشكرية بقيادة عمارة أبو سن وأهلك الهندندوة، وكان زعيمهم محمود بك موسى وأحمد بيك خليفة شيخ العبابدة والجميعاب ناس الجيلي تحت قيادة ميسرة الزبير والمسلمية الطاهر ود العبيد انضموا للحملة لحدي مابقوا ألفينراجل وشايلين 1235 بندقية و115 سيف ومعاهم 350 جمل و27 حصان و52 حمار والكلام دا كتبوا الإنجليز في تقارير مخابراتهم في ملحق خاص سموهو قوات العرب الشرقية.

حاج الماحي: صحي ديل الزعلانين من الخليفة.

عبد البين: ديل كتلهم وشرد أهلهم وشال نسوانم ذاتووو.

عبد الواحد ما كان مهتم بي مغالطاتهم وواصل وقال: نجي للمربوطة يا جماعة هروب الميجور ستيورات قالها عبد الواحد بصوت شبه جهور.

وواصل عبد الواحد وقال: إنو ستيوارت كان قايل دي المهمة الصغيرة في معركة أم درمان، لأنوقوات الخليفة عبد الله الرئيسية كانت بي الغرب من البحر وديك الحرابة الجد في راسو.

(5)

ستيوارت برضو اتذكر حادثة زرتو فجاة، وقال لي جماعتو: لمن بقينا نحن على بعد 150 ياردة من قرية الصبابي ودا الآن حي من أحياء الخرطوم بحري والوكت داك كانت حلة صغيرة.

قال ستيورات ورتلي بيحكي: ظهر لينا فجأة حوالي 25 من فرسان الدراويش من نص البيوت بتاعت الطين في حلة الصبابي قالها، وهوبيتبسم وبيراجع ذكرياتو في الأيام ديك.

اتقدموا للهجوم علينا هاجمين أهاا العرب المعاي ما كان عندهم سلاح ولا حاجة وما شايلن إلا عدد محدود من السيوف والعكاكيز والبقية ماشين ساي زيادة عدد.

واحد من جماعتو المعاهو سألو: كيف يعني فرسان الدراويش حققوا مفاجأة ليكم يعني ما متوقعينهم خالص؟؟

رد عليهو ستيوارت: الدراويش مصايب ديل ظهروا فجأةوكانوا هاجمين من دون نظام وكان العرب المعاي همهم يلموا الغنائم، ولمن شافوا الدراويش

يهجموا علينا انكسرت جبارتنا، وبدينا نجري على فرسان العبابدة اللي كانوا ورانا قراب وديل فرسان جد غايتو تميناها جري قالها ستيورات وهو بيضحك.

عبد الواحد تم الحكوة وقال: الجماعة أخدوا جكة ولا زي ما بيقولو الأنصار زمان أخدوا ليهم طلقة، وكان مع الميجور ستيوارت ومعاهم ليوتانت وود وحسن الأفندي شريف، ولكن ديل بعد جريتهم برضو كانوا قراب للعدو، ولقوا نفسهم قدام الموت الأحمر.

حاج الماحي: ديل أهلي رجال الحرابة.

عبد البين ضحك وقال: حاج الماحي ياخ والله بقيت زي الغناي القال كرري تحدث عن رجال كالأسود الضارية خاضوا اللهيب وشتتوا كتل الغزاة الباغية، وما معروف منو اللي اتشتت ولا شتت ذاتووو.

حاج الماحي: حاربوا وماتوا رجال ما سلموا دقونهم للمحتل، لكن أقدار الله نافذة.

واصل عبد الواحد واصل، وقال: الباشا بقى بكورك لي ناسوا لكن المسافة أقرب والخيل كبست عليهم.

ستيوارت قال: فجأة بقينا تحت رحمة فرسان الدراويش المتوحشين وكوركتا لي ناسي لكن منو البسمع في الوكت داك؟

واصل وقال: فرسان الدراويش في لحظة بقوا قراب مننا وطعنو إتنين من عرب العبابدة الورا والوضع بقيخطير للغاية اشتباك مباشر مع العدو والتحام اضطرينا للجري للخلف، وطلعنا مسدساتنا وبقينا مستعدين نضرب نار، مافي طريقة، الكلام دا كلو في ثواني على أول عدو يواجهنا والجيد أنو الليوتانت وود طلع مسدسو وضرب وقتل واحد من الدراويش ورماه من حصانو في سرعة، وهو متراجع للخلف، وجاري معاهو الباشا ستيوارت.

واصل ستيورات وقال: العبابدة ركزوا ودقوا نار جد من بنادقهم، وكتلوا إتنين من الدراويش من فرسان البقارة في سرعة.

والقاموا جارين من العرب المعاي لمن شافوا في موت في نص الدراويش الشجعان الهجموا علينا أخدوا ليهم ركزةتم كلامو وهو سارح بعيد.

وبقينا نضرب مجموعة نيران كثيفة وكتلنا كمان عدد من الدراويش العرب المعايهجموا على البقية والدراويش اضطروا يتراجعوا في اتجاه البحر، وانضموا لي أخوانم بعد تعب شديد، وفي طريق انسحاب الدراويش وقعوا في قوة الشيخ ميسرة ود الزبير باشا والشيخ الطاهر ود العبيد وديل ما قصروا معاهم تب.

عبد الواحد ضحك ومعاهو الجنبو، وقال: والله الخواجات ديل أولاد كلب أي جرية بمرقوها نصرة ليهم غايتو الخواجات زي ما بيقولوا أخدوا ليهم طلقة وقاموا صوف، وكان ما عرب الجمعياب والعبابدة كان راحوا فيها شمار في مرقة.

ستيورات قال: داك يوم صعب كب كاس ويسكي وهو بيراجع في ذكرياتو.

واصل وقال: ياخ أنا كان ما مجنون مالي ومال الحرب دي أسع معاشي ما مكفيني ولا الوسام الأدوني ليهو بيأكل عيش ذاتوو، كبّ من ويسكيهو تاني وانفقع الخواجات في القرقراب ودارت الكاس بين الأحباب وضاع تاريخنا سراب في سراب.

***

أسد الخنشش خال فاطنة

نقد الله[1] ود عمر

أسد الخشش خال فاطنة
نقد الله ود عمر

(1)

الخال شريك الوالد ومعاها ضحكة من عبد الواحد أضحكت الجميع من حولو إلا يا السجمان إت براك ياولد، جابدك خالك عبد المعين أصلو بخاف من مرتو وقاعد موحد تبع حزب جماعة (الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) دا أكبر حزب في العالم عليالطلاق إن خشوا أي انتخابات ياخدوها هيييع حزب الخوافين والموحدين وضحكوا على كلامو.

ضحك الجميع من حوله والولد قاليهو خالي ياهو ولدك وبتكون إنت الجبدتو وضحكعبد الواحد ونهروا «أسكت يا مسخوت أنا أسد الخشش خال فاطنة».

رد حفيدو: وقصة خال فاطنة شنو كمان هسع بكورك لي حبوبة وأخدو ليهم ضحكة،وقال الحفيد: أحكي يا جدو احكي عليك الله.

اعتدل عبد الواحد وبقت عيونو بتلمع زي الكديس الشاف اللبن وتبسم وقال: الله يرحم الرجال والفرسان الله يرحمهم جميعا دي قصة من قصص الرجالة في تاريخنا ومن القصص المؤثرة واللي لمن تسمعا شعرت جلدك تقوم وتكلب.

وكـرر عبـد الواحـد كلامـو وقـال: تعـرف نحـن بنشـوف الخـال حنيـن وأي زول بعجبـو خالـو، يـاخ في مناطـق في السـودان بيقولـو عليهـا بلـد الخـال، لأنـو ناسـا متكاتفـين وبينهـم مـودة، خـلي دا عندنـا أغـاني للخـال زي غنيـة خـال فاطنـة ودا السـالت منـو.

نـط حفيـدو وقـال: عليك الله مـا تحكيهـا أنـا بشـوف كلامهـا قـوي وشـعرا حمـاسي وفيهـا رجالـة لكـن قصتـا مـا عارفـا دوت،أحكيهـا لينـا أصلـو حكاويـك مـا بتكمـل.

(2)

عبـد الواحـد قعـد يغنـي براهـو وهـو بسـتحضر في مشـاهد عـبر ونـبرة صوتـو تعـلي وتخفـت كانـوا في ملحمـة مـن ملاحـم التاريـخ، أو بشـاهد في درامـا للتـو، وسرح بغنـي:

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

أب كريق في اللججسدر حبس الفجج

عاشميق حبل الوججأنا أخوي مقدام الحجج

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

ياخريف الرتوعأب شقه قمر السبوع

فوق بيتو بسند الجوعياقشاش الدموع

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

سام الروح سبلاوأنا أخوي جبل الضرى

سيد أم رطين ماضل فارس الألف نقد الله

واصل عبد الواحد: شوف البلد دي ملانة رجالة كان متعادين ولا متصالحين البحكي عنو كلام بعبر عن مقنع الكاشفات،وأسد الخلا أب عيوننا كلها شرار البحمي الضعيف، ودي عادة مشتركة تلقاها في السودان شرق وغرب وشمال ووسط دي قيمنا وتاريخنا وفراستنا ولازم ما ننساها.

الناس تغني ساي لازم يعرفوا أصل الحكاية من فصلها وزي ما بيقولوا من هلمجرا، وغمر المكان ضحك أعقبته مطالبات بأنو يستمر في القصة.

(3)

أسحف كان بلد عامر وواحدة من مراكز شرق كردفان وقريبة من بارافي زمن التركية السابقة، ولمن وقعت حوادث المهديةوشوكة الأنصار قويت، وبقوا خلاص ظاهرين، واتحولوا من الدفاع للهجوم، حاصروا الأبيض وأسحف وبارا والتيارة وغيرها من مراكز الحاميات.

وكان في ناس مع المهدية وناس ضدها والحالة جايطة شديد، وكتر الموت في المعارك وكان أي حامية بخشوها الأنصار بقع فيها موت كتير لأنو فكرة المهدية مابتعترف بي الما بيؤمن بيهاوالمهدي زي ما قال في منشور الدعوة (من لم يؤمن بمهديتي فقد كفر).

عشان كدا الحالة ما كانت ثورة على الظلم وبس وإن كان في ناس زهجانين من التركديل إيمانم ما كان من ناحية دينية، ووقفوا مع المهدية عشان جور الترك في الوكت داك.

(4)

قال عبد الواحد: قول يا سيد الامنتي ليك كدا، الأنصار حاصروا حامية أسحف والمسألة كل يوم ماشة صعبة، وكانت أسحف سوق ملان مال ومزارع وثروة حيوانية وفيها الجوابرة وأهلك الجوابرة ناس شطار واتميزوا بجمال نسوانم وفراستم وفيهم شيوخ يروبوا الموية في الإبريق.

والطمع من الأنصار في إسقاط الحامية الي كان فيها 200 عسكري تركي والناظر والعمدة ورجال الجوابرة الي كانوا بيعتبروا الحاصل عركة بين الحكومة والمهدية، شن دخلم فيها.

لكن الحصار ضيق عليهم الدنيا، وعرفوا إنو القصة وراها حصة، فقرروا يمرقوا النسوان والشفع من حامية أسحف.

والزمن داك النسوان تقال في المشي والدنيا حرابة، كانن راسيات ناس الزينة وبتول وبنونة زي مابيقول الشاعر:

تمشي الهويني كما يمشي الوجي الوحل

واصل عبد الواحد وقال وهو بيضحك: مازي بنوت الليلة ناس شيرين وتماضر ورؤى ومنى. بنوت الليلة الواحدة تجي ماشة زي الركشة تقوم وراها عجاجة وكترابة ونضمي في الفاضي.

وكان المحاصرين القيقر ديش من الأنصار أي مرقة من القيقر معناها الموت الأحمر، والدنيا عصرت على الجوابرة والحكومة في الوكت داك.

الكلام دا قبال شيكان بي سنتين يعني بيقع في بدايات نشاط المهدية في كردفان، أها قوول كدا، لمن ضاقت الواطا في أسحف وثبت الرجال قاموا قالوا يطلعوا النسوان والشفع من الورطة دي.

«يا جدو ماتكرر أديني الحصل طوالي» قالها حفيدو وهو بتبسم.

(5)

عبد الواحد قال: زمان عندنا أستاذ عزيز علينا من أهلك ناس الدويم اسمو حسين عبد العزيز الله يرحمو بيقول أعوذ بالله من الحديث المعاد وبعيدوا تاني لكن كل مرة أحلى، وكأنك ما سمعتو قبال دا، الراجل دا عالم وبلاك أنقلش مان يعني إن حكى ليك قصة سيدنا موسى عليه السلام كل يوم يديك فيها جديد وعجيب العلم بميز الرجال وأصبر على تميز جدك قالها عبد الواحد وانفقع بي الضحك.

عبد الواحد واصل وقال دي برة القصة خاطرة وترحم عليهو أرجع ليكم للقصة تاني وواصل، وقال: وكانت المناوشات مات فيها أكتر من مية من الرجال،وكان في أسحف فرسان زي محمد ود عوض ونقد الله ود عمر بطل قصتنا خال فاطنة وعدد من جيش حكومة الترك، وكان في بارا النور عنقرة وفي حامية أسحفمن الترك السيد الروبي ومسرور أفندي نعيم، ومحمد السنجك يعقوب وإبراهيم أغا كاشف.

أها اتبرع الفارس نقد الله ود عمر إنو يمرق النسوان والشفع لي بارا براهو لأنو ما كان ممكن يمرقوا من أسحف عدد من الرجال عشان كدا شال الشيلة وعصر على التقيلة فارس الحوبة الله يرحمو.

ومرق بي حصانو وحربتو وسيفو وبندقيتو ماشي متأني ويقدل ويقول لي النسوان وهو شاقي بيهم العدو اتمهلن البصلكن ميت تب هيييع كع.

ومن هول المفاجأة ماقدرو المحاصرين من استيعاب الموقف الصعب دا وشقاهم بي الحريم عنوة.

واصل وقال: راجل واحد بي ألف راجل عيونو حمر، وما خايف الموت، ولا كترة العدو، ولا هماهو شي غير يوصل النسوان والشفع بارا سالمات وفي أمان وما استعجلن وقاليهن أجرن ولا كورك فيهن.

قـال عبـد الواحـد بي فخـر: كان مركـز عـلى العـدو الشـاقيهو رجالـة وحمـرة عـين وشـايل روحـو في كفـو، سيفو البجربـو مـا بقـرب عليهووحربتـو عـودا أبنـوس مـر.

الأنصـار المحاصريـن أسـحف نصهـم منبهـر بي رجالتـو دي وما مصـدق الحاصل، ونـص تـاني ولا كتـير عـرف الـزول دا البقـرب عليهـو عنقرتـو تطـير وفشفاشـو بتقـدا وبخليهـو للحـدي رمة.

حفيـدو قاليـازول يـا انـت شـن بتقـول، ادا الجـن بي ذاتـو، راجـل سـايق معاهـو هـدف حلـو ومضمـون نسـوان أسـحف ويشـق بيهـن العـدو المحـاصرو دي قصـة وليهـن حـق يغنـن ويسـمن عليهـو حريـم كردفـان والسـودان مـا مصـدق.

زي كان حفيـدو بواصـل في استغرابو وعبـد الواحديضحـك: البقـرب عليهـو منـو لكـن.

قـال عبـد الواحـد بهـدوء: ديـل رجـال الواحـد مـا منـو اتنـين، في الواطـة فـارس وإن غنمـوا في حرابـة سـاكت وكـارس، لاخـواف ولا خـان مقنـع الكاشـفات هيبييـع أبـشر والله.

وصـل النسـوان لي بـارا ومـافي راجـل ود مـرة عـرض قدامـن عـلى الرغـم مـن أنـو المسـافة مـا قريبـة بتجـي مشـي بي الكرعـين ضحـوة وحاجـة وضحـك عبـد الواحـد.

لكـن وصلـن مرتاحـات ومطمئنـات وبقـن في مشـكارو وبغنـن ليهـو ضي القبيلـة وفـارس أسـحف أغـاني كتـيرة.

(6)

واصل عبد الواحد، وقال: لكن كانت المبدعة كتلوم محمد عبد الرازق، ودي من نسوان بارا غنت ليهو (يسلملي خال فاطنة) والغنية دي غنوها كتير من الفنانين والشعراء اتلخموا في مشكارو الفارس نقد الله ود عمر مضرب مثل في الرجالة هكذا بيقول عبد الواحد.

وفاطنة كانت بنية صغيرونة بترضع شايلاها أمها وماشة مع الحريم، وعشان بلاغة الشاعرة سمتوا بي الاسم البحبوا خال فاطنة، الخال شريك الوالد وبيقولوا الخال والد برضو.

صاح والله قصة ملانة معاني وفيها تاريخ منسي الله يبارك فيك، سامعين الغنا إلا ما فارزين المناسبة.

شوف في قصص رجالة في كل مدن السودان زي قصة سبعتاشر جواد سكن سبعماية اللي بطلها الأمين ود مسمارفي الهلاليه ولا غيرها رااااقد بحكيها ليك النقوم عندي مشوار مهم تمش معاي مرق عبد الواحد.

حفيدو بقى يغني:

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

اب كريق في اللجسدر حبس الفجج

عاشميق حبل الوجأنا أخوي مقدام الحجج

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

ياخريف الرتوعأب شقه قمر السبوع

فوق بيتو بسند الجوعياقشاش الدموع

***

وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم

سنة 1871م

وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم
سنة 1871م

(1)

عبد الواحد الليلة قال بحكي ليكم من المنسي في تاريخ السودان من وجهة نظر الأمريكان زمان والكلام دا بدري خالص في زمن حكم الترك في الخرطوم.

واصل وقال: بعد نهاية الحرب الأهلية والأمريكان ختوا الدستور بتاعم وانتهوا من الصراعات بينهم، أهاالحكومة الأمريكية بقت تفتش لي تأمين مصالحها التجارية وحفظ حقوق الأمريكيين في التحرك وكانوا تجار ومغامرين وواحدين لافين ساهي قالوا عليهم رحالة، بعدين الدستور بتاع الأمريكان دا قال ماف حاجة تانية اسمها توسع ولّا استعمار، لأنهم يادوبك نضفوا بلدهم من شر الاستعمار البريطاني وانتهوا من حربأهلية طاحنة.

إلاالأمريكان أولاد الكلب الليلة مستعمرين العالم كلو قالها ومعاها ضحكة صغيرة من عبد الواحد.

الأمريكان قاموا قالوا نعمل قنصليات زي الأوروبيين في الأماكن الممكن نلقى فيها مصالح لينا دا كلام عبد الواحد.

في الخرطو كان في خواجة قبطي في الوكت داك، وكان تاجر اسمو عاذر عبد الملك دا اللي بقي قنصل أمريكا.

بيحكي الخواجة عاذرواصل كلامو، وقال: الأمريكان عاينو لي الدولة العثمانية هي الدولة العظمى في الوكت داكشان كدا قرروا يعملوا القنصليات فيها كان أهمها قنصلية الاستانة عند الباب العالي، ودا حاكم الإمبراطورية العثمانية اللي كانت محتله مساحة واسعة من العالم.

وكان السلطان بتاعها بيقولو ليهو الباب العالي، وبيحكم باسم المسلمين إلا الباب العالي كان كل الحكمو فعليا من السودان سواكن بس، ودي ذاتها قنع منها، أجرها لي أولاد الباشا محمد ود عليخديوي مصر في الوكت داك.

قال خواجة عاذر: الوكت داك كان انفرد محمد عليباشا بسلطانو في مصر رغم كلامو إنو يتبع لسلطة الباب العالي إلا إنو كون إمبراطورية توسعية كبيرة، وبقى مهم في نظر الخواجات الإنجليز والفرنسيين والأمريكان لأنو كان متحالف معاهم ضمة، على الرغم من أنو بيقول إنو والي العثمانيين في مصر.

واصل خواجة عاذر عبد الملك، وقال: الحكومة الأمريكية شافت إنو تفتح قنصلية في الإسكندرية تتبع لي سلطة قنصليتها عند الباب العالي في الاستانة لأهمية الدولة العثمانية، ولأنها ماسكة أغلب الممرات المائية المهمة في الوقت داك.

(2)

عبد الواحد قال: أول بي التبادي قامت الخارجية الأمريكية حددت السيد جون قليدون، ودا كان أكبرتاجر إنجليزي في ميناء الإسكندريةعشان يكون قنصل ليها في سنة 1849م في نهاية زمن حكم الخديوي محمد عليباشا في مصر.

حاج الماحي: المعنى عيون الأمريكان بدت من مصر وبعداك قبلت علينا.

عبد البين: اصبر ياخ خلي اللي يكمل وبعدين دخل خشمك.

حاج الماحي: واصل يا عبد الواحد سميناها رضينا.

واصل عبد الواحد وقال: وبعد داك قامت أمريكا رفعت القنصلية في الإسكندرية إلى قنصلية عامة وعيّنو خليفةلجون قليدون واحد أمريكي اسمودانيال سميث، وداكان قنصل عام أمريكي في طرابلس الغرب يعني ليبيا الليلة، وكانت ليبيا واحدة من ولايات سلطان الدولة العثمانية في الوكت داك.

عبد البين: المعنى سميث عارف البلد عشان كدا عينوهو صاح.

قال عبد الواحد: الأمريكان كتبوا في جواب تعيين دانيال سميث (بالرغم من أن مصر لا تزال شكلياً تحت السلطة العثمانية، إلا أنها صارت في الواقع سلطة مستقلة، وصارلزاماً علينا أن نوّثق علاقاتنا مع واليها، ورغم أن عملك يقتصر على تشجيع وتقوية العلاقات التجارية مع بلاده إلا أننا نحثّك على مدّنا بمعلومات أخرى تراها مفيدة)، الكلام دا مكتوب في ورق الخارجية الأمريكية أوراق تعيين القنصل سيمث (**Washington. DC Oct**23. 1848 وثائق الخارجية الأمريكية).

(3)

عبد الواحد جاهو سؤال من حاج الماحيوقاليهو: أهادا كلو وأنحن مالنا ومال الأمريكان في شنو في السودان بهمهم عشان تحكي لينا القصة دي.

عبد الواحد قال ليهو: ياخ أصبر دي فرشة الصبر جبر جاييك يا أب شراوأنا لسة ما كملت السودان دا الطامعين فيهوا كتار من زمان عشان خيراتو الكتيرة، وما مستغلة، ودي واحدة من أزماتنا اللي جابت طمع الأجانب في بلدنا.

واصل عبد الواحد وقال: في الوكت داك الدور الدبلوماسي والسياسي الأمريكي ما كان مؤثر إلا في العواصم الكبرى في ذلك الوقت زي لندن وباريس والاستانة وغيرها من العواصم المؤثرة في السياسة الدولية في الوكت داك، لكن كان في اهتمام أمريكي بمصر والسودان، ودا سببوأن سلطة مصر المتمثلة في شخصية محمد علىباشا كانت تتجه لي إقامة إمبراطورية في قلب العالم إفريقيا

وأسيا، إضافة ليأنو السواح والمغامرين الأمريكان بقوا كتار بصورة ملحوظة في ذلك الزمنعشان علم المصريات والحضارة المصرية، وكان في كلام عن حضارة عايزة كشف في السودان.

واصل عبد الواحد وقال بلغة فصيحة: وحددت ثلاث مهام أساسية للقنصليات، وهيمساعدة وتوجيه السواح الأمريكيين وتوفير الحماية وسبل الراحة لهم، وقدّر عدد السواح الأمريكيين في وادي النيل وقتها بعدد 4000 سائح سنوياً، وحماية المبّشرين الأمريكيين، إذ انطلقت بعثات تبشيرية أمريكية، وحماية من دخلوا في الدين المسيحي على يد الجمعيات والمبّشرين الأمريكيين وتشجيع التجارة ورجال الأعمال الأمريكيين اللي ظهرت لهم شركات تعمل في استيراد الحاصلات السودانية والمصرية، وبدت الشركات دي تحتاج لحماية لتنشيط أعمالها، وكانت أهم سلعة الصمغ العربي وبعدها ريش النعام.

خواجة عاذر بقى يتكلم مرة تانية لي ناسو عن دواعي التمثيل الدبلوماسي في السودان في الوكت داك.

وقال عاذر: لكن الهدفاللي ما قالوهو الأمريكان واحتفظوا بيهو سرهو متابعة التطورات السياسية في مصر الليبتصارع حولها النفوذ الفرنسي والبريطاني، وضعف النفوذ العثماني مع أطماع محمد علىباشا التوسعية لإقامة إمبراطورية، عشان كدا صانع القرار الأمريكي قرر أنو ما ينعزل عن مراقبةالتطور دا.

واحد من اللي بتكلم معاهم عاذر وقاليهو: أميركا مش قررت الحياد وما تخش في أزمة دولية.

رد عليهو عاذر وقال: مصر منطقة مهمة لأي دولة كبيرة ومحمد علىباشا كان فاير وشاغل الدنيا بي اتصالاتو مع الخواجات وحروباتو في الجزيرة العربية والشام وحصل جيشو لحدي جبال طوروس في جنوب تركيا وهدد سلطة الباب العالي.

الأمريكان قرروا يكونوا قراب من موقع الحدث وفتحوا قنصلية الاسكندرية والقاهرة وبعدها في المدن المصرية وفكروا يدخلوا في السودان اللي احتلاهو محمد عليباشا سنة 1821م، والمسرح بقى جايط وممكن تظهر حكومة جديدة تحتل الشرق الأوسط كلوا عشان كدا قالوا يبقوا قراب.

(4)

حاج الماحي قال كمل كمل يا عبد الواحد، وهو مستمتع بي الحكوة اللي ماسمع بيها قبال دا ولا لاقاها في كتب المدارس ولا ونسو بيها من قبل دا.

رد عليهو عبد الواحد: أصبر أصبر نتم القصة ونجيك على شفقتك وتعرف الباقي صبرا يبل الآبري مافي.

واصل وقال: أها الحكومة الأمريكية طلبت فتحعدد من وكالات القنصلية ووصل عددهاحداشر قنصلية في السويس، الزقازيق، أسوان، المينا، طنطا، أسيوط، جرجا، المنصورة، بني سويف، الأقصر والخرطوم كانت القنصليات دي بترفع تقاريرها لي القنصل العام في الإسكندرية والقاهرة طوالي، وتقاريرها متنوعة من سياسية واقتصادية وعلمية وغيرها من كل النواحي.

واصل عبد الواحد وقال: الأمريكان مع القنصليات الأمريكية فتحوا الإرساليات الأمريكية الدينية، لكن معارضة أقباط مصر خلت دور الإرساليات يتغير من الطابع التبشيريللتعليم، وذلك في العام 1845م، وكان الهدف من قيام القنصليات والبعثات التبشيرية متابعة الأحداث ورفع تقارير دورية عن حقيقة الأوضاع في المنطقة.

(5)

جيتك في المربوطة الخرطوم، ودي بدأ التمثيل القنصلي الأمريكي فيها في سنة 1865م لحدي يناير 1885م والزمن دا قامت المهدية وطردت الترك وفتح الإمام المهدي الخرطوم واتحرر السودان من احتلال الترك اللي قاده محمد على باشا في العام 1821م ولخبط البلد كلها.

عبد البين: أهمية الخرطوم في الوكت داك شنو اللي بتخلي الأمريكان إنو يفتحو قنصليه فيها ؟

رد عليهو عبد الواحد وقال: الخرطوم كانت مدينة الأجانب بامتياز، وكل الرحالة الزاروها قالوا عنها وكتبوا أنها (واحة أوروبية في مجاهل إفريقيا توفر لهم سبل الراحة وكل ما يقدمه العالم المسيحي المتحضر، فيها قنصليات لعدة دول بريطانيا وفرنسا وأمريكا وغيرها من الدول الأوروبية القوية والمؤثرة في النظام الدولي في الوقت داك) فهمتكلامي؟

قال عبد الواحد: البعثة القنصلية الأمريكية الأولى استمرت من فترة غير معروفة البدايةبالنسبة لي لحدي سنة 1865م والبعثة القنصلية الثانية فتحوها في العام 1871م، ومافي معلومات كتيرة عن البعثة القنصلية الأولى وما لقينا أي وثائقعنها، وبعدها انقطعت أخبارا لي السنة اللي ظهر فيها خواجة (عاذر عبد الملك) اللي بقى وكيل قنصل الولايات المتحدة في الخرطوم لحدي فتح الخرطوم على يد المهدي في سنة 1885م.

خواجة عاذر عبد الملك كمل وقال لي أصحابو: أول زيارة لي شخصية أمريكية معروفةومشهوره للخرطوم قام بها الشاعر والدبلوماسي والكاتب الأمريكي (جيمس بيبارد تيلر)، وقعد في الخرطوم ستة شهور وكتب كتاب عن رحلاتو وصف السودان وعاصمته الخرطوم، ودا كان في سنة 1851م، ومن المحتمل أنو الدبلوماسي (بيبارد تيلر) هو اللي نبه الأمريكان لي أهمية السودان وقاموا فتحوا

قنصلية الأمريكية بعد زيارتو الشهيرة للخرطوم. وقالبيبارد: إن مركبة على النيل كانت تسير، وهي ترفع العلم الأمريكي لأول مرة في أرض السودان.

وقال عبد الواحد: بعد مغادرة بيبارد الخرطوم طلب منو ريس المركب السوداني أن يترك العلم الأمريكي في مركبو عشان يضمن الحماية الأمريكية من ظلم السلطات في ذلك الزمن الغابراللي ينهب فيهو الحكام كل حاجة وبفرضو ضرائب كتيرة على السكان وأصحاب المراكب الشراعية، وكان ما دفع التاجر ولا سيد المركب بيقلعوهو منو ويشغلو مركبو في أعمال الحكومةمن غير ما يدفعوا ليهو حاجة، وخلابيبارد العلم الأمريكي لريس المركب.

وقال عاذر: أنا قريت الكلام دا في (**Bayard Taylor. Journey To Central Africa. New York. G. P. butnm and company. 1854. p270**.

واصل وقال: أهاا الإشارة التانية جات من الرحالة والمغامر الأمريكي الدكتور كليرنس م. بروانل.

عبد الواحد ختف الكلام من خشم الخواجة، وقال: خواجة كليرنس دا قابل قنصل بريطانيا في الخرطوم وقتهاجون بثرك وزوجته، وشال منو خطابات وانطلق في رحلة لأعالي النيل وتوفي في إحدى جهاتها ورسل النعي بتاعو القنصل البريطاني وزوجته، وكتب مات الرحالة الأمريكي، وقام جون بثرك باع حاجات كليرنس، وتم إيداعها أمانات لدى وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم وقتها اللي هو الخواجة عاذر.

ضحك عبد الواحد وكمل قال: جون بثرك كان تاجر رقيق ورفعوا فيهو شكوى، وبعد داك رفدوهو من القنصلية لأنو ماكان متلزم بي القوانين الإنجليزية وغِنى في السودان غنى فاحش، وكانت عندو زرائب وكبانيات باعها للمصريين زي موسى العقاد في الاستوائية وبرضو باع لي أبوعموري كبانية جنب مشرع الرق.

(6)

عبد الواحد قال: في العام 1862م ذكر الرحالة البريطاني صمويل بيكر أنالخرطوم فيها قنصليات لفرنسا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وجاء أيضاً في حادثة الباخرة عباس اللي انقدتبالصخور في ديار المناصير قبالة جزيرة الكون وقرية الهبة، أن شيخ المناصير والمعروف باسم عثمان ود القمر قد كتل القنصل البريطاني والقنصل الفرنسي وعدد من الأجانب واللي عرفوها تاريخياً بواقعة يوم الهبة ودي حكيتها ليكم في قصة جمال الكرنوق.

(7)

عبد الواحد شرب من كباية الموية القدامو، وقال: الخواجة عاذر عبد الملك عرفو بأنو أول وكيل قنصل أمريكي معتمد في الخرطوم، وهو من الأقباط وساكن في الخرطوم وعندو جنينة كبيرة قبالة جزيرة توتي معروفة في وقتها، كان عاذر عبد الملك وأحد أثرياء الخرطوم وتجارها المعروفين بالصدق والأمانة كعادة أهلنا الأقباط كلهم.

واصل وقال: بقى دار عاذر منزله للسواح والمغامرين الأمريكيين، وكان الأجانب قناصل وحكام بما فيهم غردون اللي كان حاكم عام السودان بيجي يتردد على بيت الخواجة، لحدي ما كان ديوانو بيفضي خالص دايما مضيوف، إضافة لى أعماله التجارية في الخرطوم بالأخص في شراء الصمغ العربي وتصديره عن طريق سوكن لي أميركا راس.

خواجة عاذر قال:وهو بسترجع الأيام ديك وبتذكر اهتمام الأمريكيين بي خبر الأورطة السودانية، والليجاء في الوثائق الأمريكية اهتمام خاص بالمقاتل السوداني بعد نجاح أورطة الجنود السودانيين في المكسيك، وقمعهم للتمرد بعد 24 معركة كبيرة ضد عصابات المكسيك، وما إنهزمو في واحدة، والأورطة دي رسلها الخديوي سعيد باشا.

واصل عـاذر وقـال: وفي سنة 1863م كانـت الولايـات المتحـدة تتبنى سياسـة العزلـة المجيـدة، وكان مبدأ الرئيس مونـرو والـلي بيقـضي بمنـع الـدول الأوروبية من التدخـل أو حيـازة مستعمرات في القـارة الأمريكيـة، وكان الفرنسيين والنمساويين دخلـوا في حروبـات مـع الثـوار المكسـيك واسـتعانوا بالأورطـة السـودانية، عشـان كـدا لقـى السـودان اهتـمام مـن بـدري بشـؤونه في دوائـر صنـع القـرار الأمريكـي وقتهـا.

(8)

قـال الخواجـة: طلبـت مني وزارة الخارجيـة الأمريكيـة ومـن قناصلهـا في وادي النيـل يدوهـم أي معلومـات عـن الأورطةالسـودانية والأورطـة الثانيـة الـلي كان بجهـزوا فيهـا عشـان تمـش تغـير الأورطـةالأولى في المكسـيك.

كان فهـم الأمريكان أنـو العسـاكر أخدوهـم بي القـوة مـن بلدهـم يعني أخدوهـم كعبيـد ومرتزقـة وماعارفين أنـو الحرابـة في دمهـم جاريـة.

عبـد البين ضحـك وقـال: مـن زمـان قصـة مرتزقـة دي مـدورة فـوق رأسـنا والله كلام، وضحـك الجماعـة المعاهـو، وقـال خواجـة عـاذر بالـغ غايتـو إن قـال للأمريكان كـدا.

خواجـة عـاذر واصـل، وقـال: عشـان كـدا كان التكليـف بمتابعة تجنيد السـودانيين في الأورطـة دي لشـكّ كبـير تـسرّب في نفـوس الأمريـكان بأنـو الجنـود رقيـق تـم اختطافهـم وتجنيدهـم مـن قبـل الـترك في السـودان، إضافـة إلى النجـاح الـذي حققـوه في إخمـاد الثـورة في المكسـيك، كان مدهـش للغايـة وقتهـا ودا خـلّى في اهتـمام بالسـودان في الوكـت داك.

وظيفـة قنصـل الولايـات المتحـدة الأمريكيـة التـي اسـتلمها الخواجـة (عـاذر عبـد الملـك)، فقـد كان مـن كبـار تجـار الصمـغ العـربي في السـودان، وكانـت أعمالـه ناجحـة.

عبد الواحد واصل: جاء في تقرير القنصل الأمريكي العام المستر جورج. هـ. بتلرفي الإسكندرية في يونيو 1871م الآتي (أما عاذر عبد الملك فهو تاجر كبير في الصمغ العربي الذي يصدر للولايات المتحدة الأمريكية، وهو قبطي من رعايا السلطان ويتمتع باحترام مواطنيه من المسلمين والأقباط، وقد قام بمدي بمعلومات تتصل بالتجارة في وادي النيل والمصالح التجارية الأمريكية في السودان، كما أنه أصدر التعليمات لوكلائه في أواسط إفريقيا للبحث عن الدكتور ليغنقستون وتقديم كل مساعدة ممكنه له، وإن عاد سالماً سيكون مداناً لوكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم بسلامته، خاصة بعد إعفاء المستر جون بثرك القنصل البريطاني من وظيفته).

(9)

في سنة 1872م، قالها عبد الواحد بعد ما وصلت صينية الشاي ومسك كبايتو.وقال: استقبل وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم عاذر عبد الملك في بربر الصحفي الأمريكي المستر الفان س ساورثورث مراسل صحيفة النيوهيرالد. ودا قعد تحت ضيافة وكيل القنصل الأمريكي عاذر عبد الملك ستة شهور وألّف كتاباً موسوعة عن السودان الموارد والسكان والعادات وتجارة الرقيق.

واصل عبد الواحد: كمان استقبل عاذر عبد الملك الصحفي الأمريكي ستارلينق، ودا كتب برضو عن السودان وعن شخصية عاذر عبد الملك، وقال (قبل وصولنا بربر بساعة استقبلنا عاذر الوكيل القنصلي للولايات المتحدة الأمريكية بالخرطوم، الذي جاء خصيصاً للترحيب بنا، وجدناه رجلاً مسنّاً فكهاً خفيف الظل، ومستعداً للقيام بأي مهمة من أجل راحتنا، وهو بلا شك أغنى تجار السودان وأكبرهم سنّاً).

(10)

الخواجة عاذر كان نشطاً ومواظباً في إرسال تقاريره للقنصلية العامة للولايات المتحدة الأمريكية في الإسكندرية، وهو أول من كتب بسلامة الرحالة بيكر اللي اتوغل في جنوب السودان واللي انقطعت أخباره في العام 1873م، وكذلك أبرق بموت الضابط الأمريكي المستر كامبل الذي كان يعمل في خدمة الجيش المصري ومعه عدد من الضباط الأمريكيين في زمن الخديوي إسماعيل باشا.

إستارلنق واصل، وقال وهو بيتكلم عن شخصية عاذر عبد الملك وقال: اتنوّعت برقياته لتشمل كل الأوضاع في السودان بما فيها التجارة وأحوال المناخ وهطول الأمطار في السودان.

خواجة عاذر قال: الأمريكان أيضاً أظهروا اهتماماً كبيراً بميناء سواكن وتم ترشيح الإغريقي موسكو ناس ودا كان تاجر في سواكن، وذلك بهدف متابعة الحاصلات السودانية المصدرة إليها ومتابعة تجارة الرقيق في السودان التي تخرج عبر ميناء سواكن، وتم ترشيح التاجر الإغريقي موسكو ناس في العام 1880م، الكلام دا قبل قيام المهدية بي سنة تقريباً.

عبد الواحد كمل وقال: ولكن الخارجية الأمريكية رفضت تعيينه واكتفت بتقارير عاذر عبد الملك التي كانت تتحدث عن تجار الرقيق وحمولاتهم ومعاملة التجار للعبيد والحاصلات السودانية، إضافة إلى الأوضاع في الخرطوم، و(عاذر عبد الملك) كانت تربطه علاقات واسعة مع كل رجالات الحكم والتجار والإدارات الأهلية في السودان.

(11)

أها والحصل شنو؟الكلام دا في مناهجنا مافي يا جدو ليه؟

رد عبد الواحد وقال: وقاليهو انتو ما قريتوا حاجة.

وواصل كلامو، وقال: في العام 1882م احتلت القوات الإنجليزية مصر وأصدرت (قانون إلغاء القنصليات)، وجاء في القانون أن كل الأجانب تحت حماية المحاكم الدولية ولم تعد هناك حاجة للقنصليات، وقبل أن يبلغ القرار عاذر أغلقت قنصلية القاهرة العامة، ونشبت الثورة المهدية في شمال السودان لتقطع طرق الاتصالات بين مصر والسودان.

قال عبد الواحد: أثناء تحرير الخرطوم قتل عاذر عبد الملك على يد الثوار الجدد الكلام دا كتبتو سودانية شاطرة اسمها ميمونة ميرغني حمزة، حصار وسقوط الخرطوم، وطبعتو دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشرفي سنة 1972مفي كتابها في صفحة 7.

(12)

عبد الواحد قالبسراع سراع: لكن قبل تحرير الخرطوم وفي أيامها الأخيره سلّم وكيل القنصل الأمريكي الحاكم العام غردون باشا مبلغ 72000 ريال نقداً و126. 315 ريال عبارة عن بضائع وغردون أداهو بونات أو كمبيالات يشهد ليهو بي حقو في القاهرة لو قدر يهرب من الخرطوم. لكن إرادة ربنا غالبة وقتل الخواجة عاذر اللي نعتو الصحف في أمريكا، بس الغريب ماقالوا في عمل إرهابي، وأطلق عبد الواحد والحضور ضحكة كبيرة.

الأذان قال الله أكبر وقام عبد الواحد شايل إبريقو وعرفوا السامعين تاني ماف إلا الصلاة ومشى كل زول يجهز نفسو عشان يلحق صلاة الجماعة.

***

هيلاسلاسي في الخرطوم

هيلاسلاسي في الخرطوم

بتعرف يا حاج الماحي الراس تفري موكنن ولدي ميكائيل ولا ما سمعته بيهو رد حاج الماحي: لا والله.

ضحك عبد الواحد وقال: دا ما هيلاسلاسي إمبراطور الحبشة المشهور.

أها عرفتو، رد حاج الماحيوعبد البين كان بتنصت في كلامم ساي.

الليلة جبت سيرتو أكيد فيها قصة لذيذة، قالهاحاج الماحي.

أيوة اعتدل عبد الواحد، وقال: أنا بحكي قصة حصلت في زمن الإنجليز في السودانلمان كانت الحبشة إمبراطورية مستقلة،أها كانت علاقتها مع الإنجليز والفرنسيين حلوة في زمن الإمبراطور منليك، ووقع معاهم اتفاقات زي حقت الحدود بين الحبشة والسودان اللي لي هسة ملخبتة ومشاكلها كبيرة وكتيرة.

لو تتذكر قلت منليك مكار لمن كان بتباحث مع هارنتقون القنصل البريطاني في أديس أبابا طلبوا منو مندوب في ترسيم الحدود.

الإمبراطور منليك قال للإنجليز: إنتو منو مندوبكم؟

قالوا ليهو الإنجليز: الكابتن قوين.

نطّ منليك قال للإنجليز: دا مندوبي الشخصي وعايز أطلبمنكم إقليم بني شنقول وبديكم حق التنقيب في الدهب لي خمسين سنة وعايز مدينة المتمة تبقى حقتي لأنو فيها عدد بسيط من الحبش المسيحيين لو مشوا السودان ببقوا

مسلمين وبديكم قامبيلا تعملوا فيها محطة جمارك وتدوني ليها بعد تطلعوا من السودان.

والإنجليز ما كان بهمهم أنو قمبيلا ولّا بني شنقول المهم نفوذهم والسودان محتل ما عندو زول بتكلم عنو والمصريين كانوا شركاء لكنهم كانوا الطرف الأضعف ما بحركوا ساكن وفقدنا الكتير، ياخ أقوليك مصر ذاتها مستعمرة وما عندها رأي مع الإنجليز ضمه.

ضحك حاج الماحي وقاليهو: والله قصة لكن الكلام دا متينياشيخ عبد الواحد؟

عبد البين: قادر الله القصة دي ماعارف فيها حاجة وبقيت تكسر في التلج كمان يا شيخ قادر الله.

رد عليهو عبد الواحد وقال: الكلام دا حصل بعد كرري ولحدي 1902م الإنجليز تموا المؤامرة وخلوا حاجات كتيرة معلقة لسع بنعاني منها ودي قصصا بتاخد زمن.

أها يا ياحاج عبد الواحدودا علاقتو بالراس تفري شنو؟ قالها حاج الماحي.

ضحك عبد الواحد، وقال: أصبر، دي تقديمة وبعدين نخش في اللحم الحي.

واصل وقال: بعد منليك مات الحبشة جاطت وبقت صراعات بين الأسرة الحاكمة لحدي ما نطّ الراس تفري ومسك الحكم وأخمد أي معارضة، وقال إنو نصف إله وجاب حاجات غريبة وعجيبة، المهم بقي هو الإمبراطور والإاله والكل في الكل. وكانت علاقتو مع الإنجليز في السودان حلوة وسمن على عسل ومسكالسلطة سنة 1930م وسمى نفسو هيلاسلاسي أي قوة الثالوث المقدس.

(2)

هيلاسلاسي بدأ في تحديث الإمبراطورية وبناء الجيش وختّ دستور واشتغل في حاجات كتيرة كويسة، لكن كان شايف نفسوا وبيعتبر كلامو تعليمات إلهية واجبة التنفيذ عشان كدا كان حكمو حار.

قال عبد الواحد في حسرة: لكن كان بعذب المسلمين حرق قراهم وما خلا فيهم زول وما ضربو وحرق قراهم وعمل إبادة منسية في تاريخ الحبشة ذاتها.

عبد البين ضحك وقال لي عبد الواحد: قادر الله يعني بكرة ممكن تحكي لينا عن منسي الحبشة والله محن، واستغرقوا في حالة من الضحك

لمن الحكومة المصرية احتجت على تصرفاتو والإنجليز نصحوه يرفع يدو الباطشة من مسلمي الحبشة، ودا خفف عليهم، لكن ما ريحهم من شرو.

واصل عبد الواحد وقال: اهتم هيلاسلاسي ببعثات الضباط لي بلجيكا وفرنسا وبريطانيا، وهو أول حاكم إفريقي استخدم الطيران في ضرب التمرد في مرتفعات إريتريا، وكان بقود التمرد أمير اسمو قوقسا من التقراي، وضرب أي متمرد في راسو، وحكم بالحديد والنار، وما قدم هدنة لأي زول بعارضو، الراجل كان صعب شديد.

(3)

لكن ظهر خطر داهم عدوان الإيطاليين على الحبشة، والمعارضين لقوها فرصة واتحالفوا معالإيطاليين، في الوكت داك كان في عصبة الأمم، وكان عدوان إيطاليا على الحبشة واحد من أسباب قيام الحرب العالمية التانية، وفرتقتالمنظمة الدولية، وجاط العالم، لأنو موسليني رئيس الطليان كانت عندو أطماع كتيرة وكبيرة، وبقى معاهو هتلر وتتذكر ونستون تشرشل اللي كان حكيت عنوا بقى فيها بعد رئيس وزراء بريطانيا، وكل ديل ناس حرب ودواس ساي.

واصل بعد اتكأ في الكرسي المتهالك في دكان حاج الماحي وقال: الله حي، واصل. وقال: إيطاليا كانت مغبونة من نتائج الحرب العالمية الأولى من الأوروبيين وكانت محتلة إريتريا والصومال الإيطالي وطمع موسليني كبير في مزيد من الأراضي.

لكن فقر إريتريا والصومال وضرب هيلاسلاسي للمتمردين في إريتريا ضيع فرصا في الغنائم ولأنو الأحوال أحسن في الحبشة خلاهم يفكروا فيها، لأنها غير مستعمرة، وفيها خيرات، ممكن يمصوها يعوضوا بيها خسارتهم في الحرب العالمية الأولى، ولأنو الصومال وإريتريا مافيهم حاجة مفيدة، وموسليني كان بفكر يعملمستعمرة كبيرة في شرق إفريقيا. ويمص دم الغلابة عشان كدا كانت الحبشة هدف مناسب ودي الجابت خبر هيلاسيلاسي وخلتو يجري ما يقيف.

أهو الأطماع بتاعت الاستعمار وبشوفوا المكان الهش لأنو كان في صراع نفوذ غريب بين المستعمرين أنفسهم.

حاج الماحي: أهااا يا ياحاج عبد الواحدالكلام دا علاقتو شنو بي السودان، وبي حكايات من بلدنا.

أصبر ياحاج الماحي ماش عليك، الكلام جاي لي قدام قالها عبد الواحد.

قال عبد الواحد واصل كلامو: أها بعد معارك صغيرة بين الحبش والإيطاليين، قام موسليني غزا الحبشة واحتلاها، وقامت الدنيا ما قعدت، واضطر هبلاسلاسي للهرب، وجاء جاري وين قايل؟

أها يا حاج عبد الواحد جاء جاري وين؟ قالها حاج الماحي وهو منفعل.

جاء السودان، رد عليه الحاج عبد الواحد.

(4)

شوف يا حاج الماحيالعلاقة بين الحبشة والسودان تبادلية وقوية وزي ما بيقولوااستراتيجية، دي علاقة ساكن السهل بي ساكن الجبل.

وقال عبد الواحد: هيلاسلاسي جاء السودان وقعد في بريبتاعت الخرطوم دي، بالمناسبة بري دي أيام حصار الخرطوم في زمن غردون باشا زماان سنة 1885 مبوابتها مسمنها الدار الآخرة كل يوم فيها اشتباك وموت كليوم وفيها المظاهرات مسخنةكمانبرضو من زمان بري كلامها براهو، واستغرقوا في الضحك.

واصل عبد الواحد، وقال: المهم قعد معزز مكرم وبجمع في رجالوا ويدربهم عشان يحرر الحبشة، والإنجليز أدوهو العايزو نكاية في الإيطاليين عشان هم متحاربين معاهم، والشعب السوداني كمان أكرموا غاية الكرم.

واصل عبد الواحد وقال: وكمان قوات دفاع السودان وقفت مع الحبوش في تضامن غريب النوع والمحتوى، الغريب أنو هيلاسلاسي باع كل حاجة لمن كان في لندن فلس فلس شديد حتى عجز عن أنو يشتري فحم للدفاية، ولمن جاء الخرطوم أكرم بعد ذلة، ولقى تضامن معاهو حتى فكر في الرجوعلي ملكو في أديس أبابا.

وبدأ المقاومة في الحدود وجمع رجالو بقوا بزعجو الجيوش الإيطالية في حرب عصابات رهيبة وشاركهم السودانيين، فهمتو القصة دي فيها جزء من تاريخنا المنسي برضو.

(5)

عبد الواحد قال: أها قول كدا الجرايد في الخرطوم بدت تكتب. وقالت جريدة الفجر إنو الإيطاليين بشتروا البهائم من السودان ومفروض دايقيف فورا لأنو الإيطاليين محتلين لايجب التعامل معاهم.

عبد البين: والله ناس الجرايد قصصهم قصص ما الطليان محتلين والإنجليز زيهم ولا في خيار وفقوس.

واصل وقال عبد الواحد: أي في خيار تقييل الإنجليز كانوا برضو محتلين وضحك، لكن مصلحتهم الرأي العام يتعبأ ضد إيطاليا، الدنيا مصالح والآخرة دار عمل، وأخدوا ليهم ضحكة.

حاج الماحي: هوي يا ناس راجل أمك أبوك، وواصلوا في الضحك.

وناس كتبوا عن مفهوم العدالة للأسود والأبيض وقالوا دا الرق الحديث، واحتلال الحبشة نشط السود في أمريكا وأوروبا وأمريكا اللاتينية وجمعوا تبرعات لدعم الإمبراطور لي تحرير الحبشة.

عبد البين: وين الشعب الحبشي من الكلام دا ما كانوا مهتمين ولا شنو؟

عبد الواحد قال: كيف دا كلامك كانوا بيقاموا الطليان، وكان في حبش بهربو بنضموا لي جيش الإمبراطور في السودان، والعالم جاط كلو بين معارض ومؤيد للإمبراطور اللي عندو حضور قوي في دول أمريكا اللاتينية وسود أمريكا، وكان الداعمين السودانيين برضو اللي اتطوع عدد منهم في جمع التبرعات.

والنفع هيلاسلاسي إنو في حبشة كتلوا الجنرال جرزياني، والإيطاليين قاموا انتقموا من الحبش وقعوا فيهم قتل وتشريد، ودا جاب لاجئين من الحبشة. الإمبراطور استفاد منهم وفتحوا ليهم معسكرات في السودان وجندهم، وجمع السودانيين الأموال والكساء والأكل، القضية بقت قضية راي عام.

قال عبد الواحد: حتى الشفع كانوا بلعبوا بوليس وحرامي قلبوها حرابة بين الحبش والإيطاليين، وفي النهاية النصر مضمون للحبش، أها الإنجليز عرفوا أنو وقوفهم مكتوفي الأيدي بجيب ليهم هواء وإنو امتصاص الموجة ديبالتفاعل معاها ودعم الإمبراطور حتى لاتقوم ثورة جديدة في السودان، لذلك خلوا الناس يعبروا عن غضبهم، ودا كان ذكاء وقراية حلوة لسير الأحداث بعدين الإنجليز كانوا زهجانين ومعادين الطليان عشان اتلاقت المصالح وتعبوا الطليان.

والزاد الأمر أنو موسليني يوم عشرة من شهر ستة سنة أربعين أعلن الحرب على بريطانيا، بالتالي الحدود ممكن يحصل فيها دوشمان وبقى المر متوقع شديد.

قال عبد الواحد: أها قام الحاكم العام نادى الزعماء والشيوخ والأعيان في اجتماع جامع في سراي الحكومة في الخرطوم وبلغهم بالموقف، وأنهم حا يحاربوا الإيطاليين ودي لقت قبول من السودنيين كلهم، واستفاد منها الإمبراطور، واتكيف.

واصل عبد الواحد الحكي، وقال: الإيطاليين كمان عشان المقاومة من السودان احتلوا كسلا والقلابات وكرمك، وضربوا حمار كلتوم ست اللبن بي الطيران، وضحكوا كلهم، وبقت زيطة وزمبليطة وغنا وخلاس كل زول كرب نفسو.

حاج الماحي: بالله دا حمار كلتوم ست اللبن الي بتغنها الفلاتية أما حكاية. واصل واصل القصة حلوة وصحي من المنسي بتاعنا.

وبقت قوة دفاع السودان بتحارب في كسلا وكرمك والقلابات ومنطقة الطابية في حظيرة الدندربتدافع عن حدود السودان الشرقية الي ولعت نيران وحرابة مع التيليان زي ما بيقولو.

ودي كانت أول تجربة لقوة دفاع السودان في الخارج والحدود وثبتت في قرورة وكسلا والقضارف وحظيرة الدندر وكرمك وأي مكان لاقوا فيهو الطليان.

(6)

عبد الواحد جر نفس طويل، وقال: بعداك لموا الصفوف قوة دفاع السودان وجيش هيلاسلاسي ومليشيات الحبش واتحركوا من الخرطوم لي مدني ومنها لي سنارللروصيرص.

أي حلة ولا مدينة مروا بيها كان بيكرموهم ويدعموهم دعم غير محدود كان برحبوا بيهم ويصفقو ليهم.

من الروصيرص لي جبل القرى اللي بيقع شرقها ومنو إلى مقنو والطابية ودي في مدخل نهر الدندر مع الحدود الإثيوبية، وبعد داك دخلوا إثيوبيا تووف لحدي مدينة دير مكاريوس، ودي أول حرابة، وبعدها خشوا أديس أبابا منتصرين.

قدم السودان 140 شهيداً وعدداً من الجرحى ومنح الإمبراطور أوسمة ونياشين، وأشاد الإمبراطور هيلاسلاسيبشجاعة السودانيين في تحرير إثيوبيا، وقال (دا دين على إثيوبيا للسودان ما بننساهو).

أها الكلام والله منسي لازم نتذكروا، ودي قصة الدور السوداني في تحرير إثيوبيا، عرفت عبد البين وحاج الماحي وشيخ مصطفى، الحبش بيقدروا السودان ليه عندهم دين في رقابهم ما حلوهو لسة.

***

الحساني الغتيت عليا لبلولة

الحساني الغتيت عليالبلولة

(1)

الباقي للشهر أيام والدنيا أربعاء وعقاب شهر زي ما بيقولو وعبد الواحد بيحسب في الأيام عشان يقبض المعاش بتاعو وشغال بحسب في الديون عبد الواحد قاعد في الراكوبة ومعاهو ولد بتو، وبدون مقدمات، ضحك وقال اتذكرت ليك قصة عجيبة خالص ياولدي.

واصل وبقى بنضم براهو، وقال بي لغة عجيبة وبي أسلوب أدبي رفيع: في الصحراء الناشفة الليبقطعها النيل ريحها الحارة وأحر من السموم بالنهار، ولكن بعد ما تميل الشمس للمغيب تبرد الحر وتتحولبسراع لبرودة حلوة تنعش المسافرينوبيعكس الشفق الأحمر مع الرملة الدهبية منظر جميل للغاية، النيل عامل زي خيط الموية في عمق الصحراء زيبيتلويزي ثعبان ماشي بيرسم في الواطة أثارو.

ولكن على جوانبو ببعث الحياة والنضار في الصحراء، النيل دا قصة تانيةوهو السبب الأساسي اللي بيخلي الغزاة طوالي بيجو من الشمال ودا المغري برضوالرحالة والمستكشفين والمجانين منهم والباحثين عن المال والسلطة في السودان.

واصل وقال بعد أن شرد بي فكرو: في تاريخه السودان هو أرض الدهب والحضارات والبلاد المجهولة زي ما بيقول الأوروبيين وبالنسبة ليهم هو غير المستكشفة على الرغم من أنو حضاراتوأعمق ومركوزة في تاريخو الطويل.

(2)

الحاجة العازة كوركت بي طول حسها الحاج عبد الواحد بدورك تجيب لينا حاجات من الدكان.

رد عبد الواحد: شن بتدوري رسلي الوليد دا بلا هاريني بطلباتو بتاعت الحكاوي..

ضحكت وقالت: براك معودو عليها بدور بصل وزيت وصلصة وماتنسى اللبن.

ياخ خليني عندي كلام مهم قالها عبد الواحد.

ردت عليهو العازة: خلاص أمش وتعال قولو إلا بدور الحاجات، وإن ما عندك أكتبها في الدفتر أصلو الشهر انتهى.

الحاج بقى مارق ومرق سراع سراع وبتذكر في ديونوفي دكان حاج الماحي وأتشهد وأستغفر الله ،وهو خايف من قصص حاج الماحي صاحبو.

(3)

لمن وصل دكان الماحي لقيأصحابو الحاج محمود عبد البين وعبد اللطيف مصطفى قاعدين في ضل دكان حاج الماحي.

مما شافو الحاج محمود قعدواجنبو في أقرب كرسي وطايبو وبعد السلام.

حاج الماحي: إت الحاج عبد الواحد قصة ونجت وسلاطين ونعوم شقير ناس مخابرات كتشنر شنو؟ الناس ديل دواهي وماف زول لعب بيهم أصلو.

ضحك عبد الواحد وقال ليهم: هوي أنا مرسل وإن فتحنا القصص فيها المنسي كتير، دواهي وين، ديل لعب بيهم وليد صغير ياخ.

واصل عبد الواحد وقال: في نهاية القرن التاسع عشر كانت الثورة المهدية في السودان بتحارب الحكم الخديوي المصري في السودان أو ما يسمى كضبوتلفيق بالتركية السابقة،وكانت نهاية حروب المهدية الكبيرة أو ما رسمت نهايتها هي حملة كتشنر الـلي انتهت بمعركة كرري وهزيمة جيش الخليفة عبد الله التعايشي في يوم 2 سبتمبر 1898م.

حاج الماحي من جوه دكانو كورك لي عبد الواحد وقال ليهو: دا كلنا عارفنو الجديد شنو يا الحاج عبد الواحد.

ضحك عبد الواحد وقال: والله ماعندك صبر أصلو خليني أكمل كلامي. أهاا قولو الحرب واقعة واقعة وحملة كتشنر ماشة على أم درمان كل صباح تصبح في حتة وراكبين البوابير وبجدعو في خط السكة حديد وماشين على مقرن النيلين.

وكانت الحرب المهمة هي حرب المعلومات كل طرف عايز يعرف أي حاجة، أها ناس ونجت وسلاطين ونعوم شقير عندهم مصادر والخليفة عايز برضو معلومات وأخبار الترك وكلف الأمير عبد الباقي الوكيل عشان يقومبالمهمة دي.

عبد الواحد واصل وقال: كان في شاب أسمرعمرو سبعة وعشرين سنة وهوحساني من أهلك الحسانية بتاعين جبال الجلف في شمال السودان في الضفة الغربية للبحر. كان عريس يادوب مع زوجته الحسانية بنت عمو، وكانمقاتل في جيوش المهدية تابعلي جيش الأمير عبد الباقي الوكيل اللي كان مسؤول من

التماس مع جيش كتشنر، ودي طريقة قديمة عملوها الأنصار في معركة شيكان.

عبد البين اللي كان قاعد مع أصحابو في دكان الماحي قال بي استغراب: البلد فيها حرابة والوليد محارب البودي يعرس شنو؟ وضحك الحضور.

عبد الواحد قال ليهو: الأنصار حسب ما كان شايع في الوكت داك أنو المهدي قال بتجي جردة ترك وحا تنباد في سهل كرري وأي زول بنط كرري بموت ساهي.

واصل وقال: دي كانت خدعة من الإنجليز زاتم عشان يضمنوا المنطقة البحاربو فيها ودا اسمو اختيار ميدان القتال أو أرض المعركة اللي بتنفع معاهم والخليفة بلع الطعم واتغشّ ساهي.

عبد البين قاللعبد الواحد: أنان الخليفة ماعندو البيدي النصيحة ماشي أعمى وأطرش كيفن يتغشّ يا حاج عبد الواحد.

رد عليهو عبد الواحد: في اللي أداهو النصيحة وما اشتغل بي كلامم عثمان دقنة قال يا نحارب في السبلوقة ولا ننسحب غرب عشان بوابير الكفار فيها مدفعية ممكن نتجنبا...لكن ماف زول اشتغل بي كلامو ووقعت المصيبة ونهت المهدية.

(4)

في الوقت دا كان نعوم شقير واحد من الريسين الخطيرة في المخابرات بتاعت كتشنر وبقى رئيس قسم التاريخ في قلم المخابرات لمن أعادوا تنظيمو بعد نهاية المهدية، وكان قاعد في مكتبو بوجه في مجموعة من الضباط الجدد اللي حا يشتغلوا في السودان وبيحكي ليهم عن مقالب كرري.

نعوم شقير قال: تقدم حملة كتشنر نحو أم درمان كانت المصاعبالقداما توفير المعلومات الاستخبارية عن قوات الخليفة عبد الله والدفاعات الطوابي وتوزيع

الجيوش وطرق الإمداد وبالمقابل كان الخليفة يجتمع مع الأمراءالكبار في مجلس حرب يوفر للخليفة عبد الله التعايشي معلومات ثرة،وكذلك أسس نقطة ودبشارة وفيها عبد الباقي الوكيلونقطة في الغرب في جبرة الشيخ فيها يونس ود الدكيمودي كانت بعيدة عن مسرح الأحداث ذاتوو.

واصل نعوم شقير وبعد أخد نفس عميق من سيجارتو، وقال: ونجت باشا الوكت داك كان مدير قلم المخابرات بدأ عمل منظم للمخابرات بتجنيد التجار اللي بيسافرو بين مصر والسودان وعدد من الزعماء السودانيين ورجال في دولة المهدية في أم درمان وأقاليم السودان المختلفة، وكانوا منتشرين في كل الطرق اللي حا يتقدم فيها جيش كتشنر باشا.

سألو واحد من الضباط الجدد وقاليهو: طيب ياسعادتو نعوم شقير الأنصار ما كان عندهم نشاط استخباري مضاد.

رد عليهو نعوم شقير بالحيل وبالمقابل الخليفة كان يعمل عمل على كشف الجواسيس بتاعننا وأساليب ناسنا وطبيعة نشاطنا، ونجح في اعتقال عدد من المعارضين ليهوالبشك بس فيهو برميهو في سجن الساير.

(5)

عبد الواحد اتوهط في كرسيهو، وقال: أما الأمير عبد الباقي الوكيل كان قائد الجبهة الشمالية بي اعتبار، وكان في تماس مع العدو، وكان ينسحب جنوباً، ولكنو كان يبقى تماس مع قوات العدو الإنجليز عبر الجواسيس والاستطلاع، وكانت عندو مجموعات من الفرسان تشق الصحراء ليل نهار،وبنقلوا المعلومات بي صورة فورية.

كانتمعلومات عن أي تحرك للحملة جنوباً، وكانت هذه الخيول تصل تماس الحملة، وترجع جنوباً إلى موقع الأمير عبد الباقي الوكيل ومنه جنوباً إلى أم درمان، حيث مجلس حرب الخليفة المنعقد على طوال اليوم، لأنو كانت المساحة

الـلي تحـدد أرض المعركـة المحتومـه كـرري تتناقـص كل صبـاح، وبقـرب منزمـن الصـدام الدامـي الـلي استشـهد فيهـو رجـال السـودان.

دايـما قبـال الحـرب مـا تقـع بيكـون فيـصراع خفـي بـين الأطـراف المتخاصمـين والـصراع دا تضليـل العـدو مـن الطـرق وحتـات الموـية أو خفـض الـروح المعنويـة أو حـرق الأرض، بحيـث إنـو مـا يستفيد العـدو مـن الأرض ومحـاولات تحييـد ميـدان المعركـة وحـرب الجواسـيس والمعلومـات وإدارة التصـور والـرأي العـام ومحـاولات شرعنـة الحـروب

حاج الماحي: هييع يا حاج والله الليلة كلام مثقفاتية ساكت،وضحكوا كلهم.

(6)

قـال عبـد الواحـد: يـا عبـد البينبكمـل حكـوتي وأدينـي فرصـة أودي الحاجـات للوليـة الدنيـا طـارت أصلـو أنايـا نـاس مستنني هنـاك.

حاج الماحي رد عليهو وقال: الحكومااا يااا واستغرقوا في الضحك اللذيذ.

واصـل عبـد الواحدوقـال: فيالوقـت داك أعلـن الخليفـة عبدالله التعايـشي لـكل القبائـل الاسـتعداد للمعركـة الفاصلـة وجمع الرجـال القادريـن عـلى حمـل السـلاح في أم درمـان، ومـا خـلّى زول بيقـدر يحـارب.

عبـد البـين: المعنـى مـا خـلى حاجـة ومـا كان عـارف إنـو الحـرب بقـت علـم وتخطيـط بيـدرس زي أي علـم تـاني مـش هبتـلي.

حـاج الماحـي: ربنـا قـال: (وأعـدوا لهـم مـا استطعتم مـن قـوة ومـن ربـاط الخيـل) مـش قـال اكسروا رقبتكـم ودي قـدرة الأنصـار عملوهـا في الوكـت.

في الوكـت داك كان نعـوم شـقير بيحكـي في تجاربـو المخابراتيـة وأسرار معركـة كـرري والوقائـع والتعـب ودا بسـموه نقـل الخـبرات والمعـارف بـين الأجيـال.

واصل نعوم شقير كلامو لكن جاهو سؤال من واحد من الضباط الجدد إلى بيحكي ليهم، وقال ليهو: سعادتو وباقي جيوش الخليفة عبد الله التعايشي مش كان عندو قوات تانية ما شاركت في معركة أم درمان.

رد نعوم شقير وكان بولع في سيجارتو، وقال: الخليفة كانت عندو قوات برة أم درمان والقراب جابهم كلهم ما خليإلا الأمير أحمد فضيل بالقضارف عشان جاهو كلام ومعلومات استخبارية بأنو في حملة عسكرية جاية عن طريق شرق السودان، وكان في الأبيض برضو الأمير الختيم موسى برضو معاهو جيش من الأنصار كان برّ حسابات الطرفين الخليفة وكتشنر باشا يعني بعيد من أم درمان وكمان في الفاشر أمبدي الرضي.

وفي جنب في مشرع الرق جنبفشودة برضو جيش زي خمسماية راجل وعندهم باخرة قديمة وديلبي قيادة الأمير سيد صغير ديل في بلاد الشلك واشتبكوا مع الفرنسيين في حرابة ما انتصر فيها زول وكل طرف انسحب لي معسكرو.

واصل نعوم شقير، وقال: الطريف في الموضوع ديل ماعارفينهم هم في حربهم في فشودة مع السواحين البيض حسب كلام الأنصار، وبعد ما احتلينا أم درمان جات باخرتهم، وفيها سيد صغير عشان يبلغوا الخليفة ويديهم ذخيرة ورجال، ولمن جو قبضناهم، وهم اللي حكو لينا عن التدخل الفرنسي في فشودة، وضحك نعوم والضباط الجدد المعاهو.

قال نعوم شقير: في ناس في أم درمان كانو ماعايزين الحرابة مع الإنجليز زي عليدينار اللي هرب بي 300 من أتباعو لي دارفور، وكمان في مواطنين هربوا شمالاً وعملنا ليهم معسكرات وراء معسكرات قواتنا وأطلق عليهم اسم لاجئين.

عبد الواحد واصل في كلامو، وقال: نتيجة لأنو كان عدد من الهاربين من أم درمان شمالاً وغرباً وجنوباً بيزوغوا من قبضة الأنصار.. ديل فرح بيهم السردار كتشنر وساهم باللاجئين واحتضنوهم في معسكرات جهزوها سراع سراع. وتم استخدامهم إعلامياً في إظهار أن شعب السودان كان موالي للخديوي والإنجليز،

وإن حملة كتشنر هي الخلاص من الدولة المهدية ويأكدوا ضعف دولة الخليفة.

نعوم شفير قال وهو بتذكر الأيام ديك، وقال: كان على الأمير عبد الباقي الوكيل أن يجمع المعلومات بسرعة وبأي طريقة، ولابد من أن يكون مطلع على أي تحرك لينا كان بالاستطلاع أو المعسكرات الجديدة اللي يبنزل فيها جيشنا المنصور، إضافة لي تحركات البوارج الحربية وخلافها من تحركات قوات الهجانة في الصحراء.

قال نعوم شقير:أكبر خدعة اتعرضنا ليها من شاب صغير اسموا علياالبلولة، وعلى الرغم من أنو علياالبلولة الحساني اتزوج منذ عام ومرتو الجميلة شايلة طفل صغير بيرضع، ودا كان الشرك ذاتوو علياالبلولة ومرتواتجهزو بي سراع والمرة عاملة كبريتها من حنة ودلكة ولابسة قرمصيص وبقوا كانهم هاربين من أم درمان يعني من اللاجئين ومن جور الخليفة ودولةالدراويش الظالمة.

(7)

واصل عبد الواحد وبيحكي لي جماعتو في ضل الدكان وقال: مرق الشاب علياالبلولة بسراع وهو يحمل في جملومرتو وولدواللي بيرضع من أم درمان، وهو جاريشمالاً كل ما يمر بمناطق تجمعات الأنصار بتحاشاهالمنحصل شمال منطقة ود بشارة ومنها إلى جنوب المتمة.

حاج الماحي: أها والبقى عليهو شنو؟

عبد الواحد قال: صادفت دورية استطلاع من جيش الإنجليز بتاعت استطلاع في الخلا، فقبضوا عليهو،وقال ليهم أنوفاري من بطش الخليفة اللي قبض كل الشباب وجندهم ضمن جيشو اللي بيحارب الترك وأنوحا يهرب بأسرتو الصغيرة دي مناطق سيطرة الحكومة وماعايزيقاتل جيش الحكومة.

قال نعوم شقير وهو غضبانوبينصح في الضباط من مكر أهل السودان

وقـال نعـوم بي انفعـال: الـكلام دا عجـب الضابـط الإنجليـزي الغبيـان الـلي كان بسـتجوب فيهـو، وكان في نـاس كتـار زاغـو مـن المعركـة دي.

وفعـلا كان في نـاس هاربـين مـن الدراويشـواعتبروا أنـوفي نـاس شـياب وشـباب واقفـين مـع الحكومـة وأنـو أغلـب جنـود الخليفةحيهربـوا بـس عـلى الإنجليـز أنهـم يشـجعوهم بالتعامـل الكويـس وإيـواء الهاربـين الـلي سـموهم الخواجـات الوكـت داك بي النازحـين مـن الأراضي الليبيسـيطر عليهـا الخليفـة عبـدالله التعايـشي.

(8)

تـم نقـل البلولـة الحسـاني ومرتـو وطفلـو لي مؤخـرة قـوة الاسـتطلاع الإنجليـزي في الخـلا والـصي.

قـال عبـد الواحـد: ومنجبـل بعيـد كانت عيـون من الدراويـش بتراقـب اسـتجواب عليالبلولـة ولمنقـرب المسـاء أدوهـو الإنجليـز ذرة ومويـة نـزل أسرتـوومشـى عـلى شـجر السيالالناشـف المنتشر في الصحـراء عشـان يولـع نـار يطبـخ بيهـا أكللي ولـدو الرضيـع وأمولليتعبـو مـن الجـوع والجـري في الخـلاء الجـوع والتعـب، وهـو بعايـن في عسـاكر الحملـة يرصـد سـلاحهم وأكلهـم وتجهيزاتهـم العسـكرية.

قـال عبـد الواحـد وهـو مبسـوط مـن الوليـد الحسـاني، وقـال: ارتفعـت في الأفـق خيـوط الدخـان ومنهـا انتقـل فرسـان الأنصـار إلى سروج خيولهـم وينقلوا إشـارة على البلولـة الماكـرة الـلي كان يحـدد بيهـا موضـع قـوات الـسردار بخيـط دخـان عمـودي في أمسـيات الصحـراء المتراميـة الأطـراف.

قـال نعـوم شـقير: شـفتو رجـل المخابـرات لازم يفكـر عكـس النـاس، ويلاحـظ أي حاجـة غريبـة جنبـو فاهمـين.

ردد الضباط: فااهمين أي زول بيولع نار في السودان تعمل دخان معناها عدو.

نعوم شقير انفجر غاضبا وقاليهم: أمرقوا مرق جلدكم أنتو بتاعين شمارات ما تنفعوا بتاعين مخابرات خليبتاعين مخدرات خلي مخابرات.

ضحك عبد الواحد وقال والله الولد نجيض ضرب عصفورين بي حجر مرق من الكتلة في كرري وأدى الأنصار معلومات قيمة.

ولم يكتشف الإنجليز قصة الحساني الغتيتإلا بعد معركة كرري بسنوات لمن تسربت القصة المخزية اللي عصفت بسمعة قلم المخابرات، ولكنها ظلت من التاريخ المنسي في السودان.

***

شجرة البروجي . معركة شيكان 1883م

توت توووت

شجرة البروجي..معركة شيكان 1883م
تووت تووت

(1)

بعد أن أعلن انتهاء العمليات العسكرية الإنجليزية في مصر والكلام دا بعد معركة التل الكبيرواحتلال مصر وصارت إنجلترا مسؤولة عنها وممتلكاتها كان بيحكي عبد الواحد لي صحابو عن تاريخ السودان في فترة المهدية.

حاج الماحي: أسع كلامك دا الدخلو معانا شنو يا أستاذ؟

عبد الواحد: أصبر نكمل ياخ الموضوع مترابط كلو، ورث الإنجليز في مصر مجموعة من الأزمات منها الجيش المتهالك السيء التدريب، فتم تسريحهم ورفدم خلوا منهم جزء أتخوزق في السودان.

واصل وقال: كمان الديون المصرية ودي كانت قصة براها كمان وعجز الخزينة مصر كانت شبه مرهونة للأجانب وفوق دا كلو كمان سوء الإدارة المدنية يعني الحالة في مصر كانت تحنن وتجنن ذاتوو.

عبد البين: طيب وكت هي بالتعب دا ماهم متجارين عليها كدا.

عبد الواحد: موقع مصر وتأثيرها على التجارة الدولية وصراع النفوذ بين القوى العظمى واسع دا مابهمنا الكلام في الخازوق.

حاج الماحي: الله يكفينا شر الخوازيق قاصد شنو يا أستاذ؟

عبد البين: بعد ماضحك قصدي خازوق بريطانيا اللي ما كانت عايزوهو وركبت فيهو هو السودان.

حاج الماحي: السودان يازول اتقي الله وضحك وضحكوا كلهم.

عبد البين: وضح وضح لكن ظنيتك قاصد المهدية وضحك والله صاح هم خوازيق ذاتهم.

واستغرقوا في حالة من الضحك.

عبد الواحد قال: وكانت أكبر الأزمات اللي واجهت الإنجليز هي الثورة المهدية في السودان، وتهديد الإمام المهدي الخرطوم وميناء سواكن وحاصر كل من الحاميات المصرية، والوكت داك كان السودان في طريقه للاستقلال من السيطرة المصرية أو ما سميت كضب بالتركية.

عبد البين: والله يا عبد الواحد عندك جن من التركية ياها ولا ما ياها عاملة ليك زنانة.

عبد الواحد: بالحيل كلامك صاح لأنو كلو كضب في كضب ماف ترك جو البلد دي البتة.

واصل وقال عبد الواحد: ماعلينا وما موضوعنا، خلونا في المهم، لقت إنجلترا نفسها في مواجهة حتمية مع الخازوق أقصدالثورة المهدية الليكأن أسد الشرقهدد سواكن ومنها يمكن يهدد الطريق لي بقرة الإمبراطورية الحلوب الهند.

ويمكن للثوار إذا استمروا على النهجدا تهديد مصر نفسها لاعتبار أن الثورة دينية من أهدافها تحرير العالم الإسلامي، وبذلك تصبح مصر الهدف التاني بعد تحرير الخرطوم والأقاليم السودانية.

كل دا بيخلي العوامل دي تدفع بريطانيا بمواجهة الثورة في السودان على الرغم من سياستها المعلنة، وهي عدم التدخل في الشأن السوداني خالص خالص، وما كان هناك مخرج لأزمة السودان سوى تجريد حملة تكون من بقايا الجيش المصري وثوار عرابي باشا والجنود السودانيين.

وتكون قيادة هذه القوات إنجليزية. كان هذا الحل مرضي لسياسيي الإمبراطورية ولجلالة الملكة، وكان البحث عن قائد يقود هذه القوات أمراً صعباً للإنجليز لاعتبار أن هزيمته تعني تمريغ سمعة الإمبراطورية، فالمطلوب لهذه المهمة يجب أن تتوافر صفات كثيرة، وبدأت حملة ترشيحات من الحكومة الإنجليزية وضباطها في مصر، وقد قام الجنرال فلاتينبيكر بترشيح الجنرال هكس باشا المسكين.

عين الجنرال وبدأ برنامج تجميع أشتات جيش عرابي باشا الذين كان جزء منهم في السجن عقوبةً على تمردهم، فرحلهم إلى سواكن وهم مقيدين بالسلاسل إلى أن وصلوا إلى الخرطوم، وانضم إليهم الجنود السودانيين وبدأوا المناورة التدريبية، وأظهر هكس استياءه من سوئها، وقال إنه لم يشهد مثل هذه الفوضى.

(2)

شيكان ديواحدة ملاحم المهدية الكبيرة في الوكت داك الثورة عمرها أقل من تلات سنين وحققت إنجازات عسكرية كل يوم بتحقق انتصار، ويزيد عدد ناسها، ويقل حماس عساكر الترك قالها عبد الواحد، وكان قاعد قدام الفرن منتظر الرغيف للجماعة العجايز المعاهو.

وكان كلام عبد الواحد رد على الحاج عبد القوي اللي كان بتغالط مع حاج الأمين حول تاريخ السودان وصوتهم ارتفع، فقرروا يسألوا مولانا أقصد الحاج عبد الواحد عن القصة.

عبد الواحد أخد نفس وعاين فوق لي السماء كأنو بيراجع في الأحداث، وقال المهدية قصة اختلفنا ولا اتفقنا معاها لأنها كسحت حاميات الاحتلال في الوكت داك، وكان لازم على الخديوي يعمل حاجة قبال ما يفقد السودان.

واصل عبد الواحد الحكي، وقال: أها فكر يجيب ضابط إنجليزي يطلعوا من الورطة دي ويهزم الأنصار ويثبت حكم الخديوي.

عبد الواحد قال: أها قاموا الإنجليز قالوا ليهو نديك زول نجيض وعندو تاريخ ومحارب بيقرض المهدي واقترحوا ليهو خواجة اسمو مورقان هكس كان ضابط في جيش الملكة عشان يمش للمهدي في شيكان وينهي التمرد في السودان.

في الجانب التاني كان المهدي انتهلا وأجهزعلى جيش الشلالي وراشد بك وحاصر الأبيض ودارفور وحاميات كردفان.

واصل وقال: والناس بتعاين ليهوا ياهو المهدي وفي زهجانين شايفنو كضاب ساي وراجين الحكومة تعمل حركة بي حركتين تخلصهم من المهدي والمهدية. والأنصار كانوا تحت تأثير كلام المهدي ومتفقين وفي ناس كتار هاجروا ليهم، كانوا مؤمنين بالمهدية ولا زهجانين من التركية المهم في تأييد غريب للمهديةكان في الوكت داك.

حاج الماحي: سألناك من حمد تجيب لينا سيرة خوجلي يا الحاج.

رد عليه عبد البين: أصبر أصلوا عبد الواحد بحب المقدمات وبعداك بيحكي ليك اللي ماسمعتو.

رد الحاج عبد الواحد: أي والله دا كلو محكي دا أسي بحكي ليكم من المنسي الصبر الصبر.

(3)

اعتدل عبد اللطيف وهو من الدراويش العجايز، وقال: أنا شاركته في جزء من حروب المهدية في نهايتها منها كرري إلا الزمن داك كنت صغير، وأنا شاب داقشت في كرري ومرقتني كرعيني الله عالموأخد ليهوا ضحكة.

وقال عبد اللطيف: اسكتوا عشان بحكي كلام سمعتو بي أضاني البياكلا الدود دي بديكم الشمار هسه.

وقال عبد اللطيف ببسمة عريضة: الخواجات قالوا في كتبهم ومنهم تشرشل قالوا كلام أنحن حافظنو صم بيقول (لم يفن في التاريخ جيش كله إلا جيش فرعون الذي أغرقه الله في اليم وجيش هكس في غابة شيكان).

وبي جنس الكلام دا أرخ ونستون تشرشل لي معركةوالإنجليز برضو كتبوباستفزاز عن حملة هكس اللي كان سايق ليهوجيش من الملقطينو المغامرين والانتهازيين وبقايا جيش عرابي، وقوات لموها بي سراع سراع عشان تكسر المهديةوجابوهم بي البوابيرطريق سواكن ومنها لي بربر والخرطوم، ومنها لي مدينة الدويم، وكانت مركز مهم في التركية السابقة.

عبد الواحد قاعد في الضل معاهو أصحابو واصل وقاليهم: في الدويم استعرض هكس جيشه اللي كانبيرتدي هدوم واحدة من الكاكي ولابسين أبوات جديدة طبعاً، أبوات جمع بوت يا جماعةوشايلين مليون رصاصة في الوكت داك.

حاج الماحي: الله حي حي الحرابة علم ما عوارة ولا كترة في الفاضي، قلت لي مليون رصاصة.

عبدالبين قاطعو:أحكي طوالي ياخ القصة شكلو فيها كلام عجيب شكلو.

واصل عبد الواحد بعد ما أدى حاج الماحي نظرة معناها أسكت ياخ، وقال: والجيش دا شايل ليهو مليون رصاصة في الوكت داك وبنادق جديدة لنج وقايدو إنجليزي ومعاهو مستشارين وتجار وناس طمعانين في غنائم المهدية.

استمر عبد اللطيف الأنصاري الدرويش العجوز، وقال: أهلنا قالوا لينا هكس عجبتو القوة والسلاح والرصاص الحي والاستعراضات وشالتوا الهاشمية، وقال (لو اهتزت السماء لثبتها بالسناكي ولو اهتزت الأرض لثبتها بالأبوات).

أهاااا قولوا كدا لمن الجيش دا بدأ يعمل في الاستعراض جاط جوطة زعلتو لمن قال (أنا كالمسيح وسط اليهود) ود أم زقدة.

الله حي في شأن الله الله حي هتف أنصاري متعصب قاعد مع جماعة عبد اللطيف،

ماكان يزوغ ود أم زقدة وقالها وانفقعوا بي الضحك.

واصل عبد اللطيف الدرويش، وقال: طوالي هكس عمل مجلس الحربية بتاعو.

واصل عبد الواحد:لكن الشيطان في الكلام الدقاق وبدت تظهر الخلافات بينو وبين علاء الدين باشا اللي كان الحاكم العام ومجلسه العسكري.

عبد الواحد مسك القصة وقال لي جماعتو اللي قاعدين في الضل راجين الفرن وهو بعاين لي حاج الماحي ما يقاطعوا: هكس لمن شاف الفوضى وتنمر علاء الدين طارت سكرتووعرف الموضوع بايظ لكن في المجلس في ناس كانوا شغالين يوحدوا الصفوف، ويخلوا هكس وعلاء الدين يتفقوا وقرروا يتعاونوا، ويرفعوا الخلافات للباشا الكبير اللي هو الخديوي، وكتبوا ليهو عشان يفتيهم فيها ويحافظوا على الجيش وما تظهر الخلافات من تاني.

وطلعوا عشان الاستعراض بتاع الجيش،فشاف هكس فوضى أي زول شغال براهو يقولوا ليهم للشمال دور ناس تلف يمين وناس شمال وناس تمش عديل، حاجة عجيبة غايتو.

عبد الواحد واصل، وقال: أهاا قول يا سيد الامنتي ليك فوضى الاستعراض لمن زعل وقرب يخش في صدمة سكري.

قال هكس بطنو طمت من الحملة والعمار الفيها ذاتوو، ولقى الموضوع فيهو صعوبة، وبقى على هكس وعلاء الدين المثل اللي بيقول أنت أمير وأنا أمير منو البسوق الحمير، وضحكوا كلهم.

عبد الواحد قال: أهاا قولوا واحد الجيش دا كانأغلبو من الفلاحين المصريين وديل مزارعين ناس حِراتة ساي وما بينفعوا وقول اتنين هم جايبنهم خدمة جبرية ذاتوو، وقول تلاتة هم ذاتهم ما مقتنعين بي الحرابة الماشين ليها ماهم ومال المهدية الناس ديل كروهم كر عشان يجوا السودان وقول أربعة الجو الحار والأكل ما نفع معاهم ذاتووو.

حاج الماحي: دا درب كلو شوك.

واصل عبد الواحد: بعدين في الآخر الناس ديل ما اتدربوا على العسكرية إلا فترة محدودة وما خشوا حرب قبال دا والخشو حرب من الفضلوا من جيش عرابي ذاتهم رافضين الفكرة، لكن ما قادرين يحتجوالأنو ماف زول بسمعهم.

ماشين على الله ومن الله، وحتى العايزين يحاربوا قرفانين من الخواجة الكافر اللي هو هكس اللي بيفترض أنهم عبيد مش عساكر يسووا اللي بيقولوا دون كلام.

فقد كانت المهدية صاحبة الأرض واستطاع رجالها أن يدخلوا حاميات التيارة قربأم روابة وبارا والأبيض وهزموا جراب الفول التركاوي محمد سعيد مدير الأبيض الراجل كان حقار وكعب ضمة والمشهور بأنه فظ وغليد وسمين وقصير.

واصل عبد الواحد، وقال: وهزموا كمان حملة راشد والشلالي وقبلها الأنصار برضو كسبو معركة الجزيرة أباودي أول عركة مع الترك، وكمان أغلب الرجال ناصروا الثورة، وبلغ حكمالترك أوهن أيامه، وكانت فظائع الحكام كبيرة وكتيرة وجمعوا المال بالسوط والقوة، فكرههم شعب السودان، أبوا يدفعواالضرائب وشاع مثل شهير (مية في التربة ولا ريال طلبة).

(4)

عبد الواحد واصل في القصة وعينوا في الفرن أصلو مرسل للرغيف ومرتو عارفة إن لموا فيهو أصحابوا ما بيجي بي هين ولا هين ذاتووو.

عبد الواحد بقى مرة مرة بعاين في الشارع ما تجي وراهو الولية تفتش ليهو، لكن الفرن لسع ما طلع رغيفو، واصل وقال: الخلافات في جيش هكس كانت كتيرة. علاء الدين شايف نفسو المسؤول، وهكس كمان شايف نفسو القائدالخلاف الأولظهر من أول في اختيار الطريق والقيادة.

وهل يخلو جزء من الجيش في نقاط في طريق تقدم الحملة وكانت المعلومات الاستخبارية عن قوة المهدية اللي شالت سلاح ناري من الحاميات التركية التي دخلوها عنوة وكون المهدي جيش من الجهادية وأداهم البنادق، وبقوا ديل قوام جيشو الصعب، وكانوا بخلبطو لكن ما بحاسبوهم زي الناس التانين الجهادية.

عبدالبين قال لي عبد الواحد وجماعة الفرن: هوي هاا المهدية فيها ظلم والمثل بيقول أنت قايل الدنيا جهادية ولّا مهدية؟في ناس وقفوا مع المهدي لي أسباب كتيرة منهم الشايفوالمهدي المنتظر وواحدينزعلانين وشايلين من الترك فاعتبروها ثورة تحريرية من احتلال فاسد ومفسد وفي ناس دايرين الغنائم

وطمعانين في الترك المهم كل زول بغني على هواهو،كلهم كاتلوا الترك، ودا في زمن المهدي مش زمن عبد الله ود تورشين.

كلامك ما موضوعنا أنا جايي على الزبدة عبد البينأصبر أصبر قالها عبد الواحد.

(5)

واصل عبد الواحد وقال: في معسكر المهدي المنتصر على الترك وفاتح الأبيض، وفي كل يوم ينضم ليهو رجال من الحلال والبيجوا مهاجرين من بعيد، فيوزعهم على الرايات ويدرب جزء منهم على السلاح زي بنادق الرامجتون وأب كسرة وأب لفتة والخشخشان.

حاج الماحي: ياخ كمل قصتك ديالعيش قرب يمرق وما يمرق مننا هكسدا كمان أرح يا حاج.

عبد الواحد ضحك وقال: المهدي وكل الأمير محمد عثمان أب قرجة ودامن أمراءالمهدية ومعه الأمير مساعد والياس باشا أمبرير وكلهم رجال خبروا الحرب وعرفوا سرها.

واصل عبد الواحد وقال: المهدي طلع من الأبيض واستقر في حتة اسمها تبلدية الجنزارة وبقت معسكر كبير وملان ناس وجاهزين للترك، وكمان المهدي عمل مجلس حرب وشغال يحرض على الجهاد ضد الترك، ويبشر بي نصرو عليهم ويدرب في حالو سراع سراع عشان يضمن نتيجة المعركة الجاية لأنها تهديد حقيقي للمهدي، وبالرغم من دا كان واثق من النصر لأنو عارف المعلومات عن الحملة ومتاعبها والشارع الماشة بيهو.

عبد اللطيف قال: إنو أبوهو حكى ليهو الأيام ديك وواصل وقال: أب قرجة والياس باشا ود أمبرير ومعاهم الأمير مساعد ومعهم تعليمات يعملوا

تماس مع قوات هكس باشا، لكن ما يخشوا معاهم في حرابة كبيرة يعني إزعاج وجمع معلومات، ويلصقوا منشورات المهدي في الشجر، وبس،ودي بسموها سياسة حرق الواطة قدام الجيش،ويعني يرحلوا الناس اللي في القرى الليفي طريق هكس، واستخدام أساليب الحرب النفسية.

أهاا كان أبوقرجة يخلي القرى ويعلق المنشورات في الشدر يدعوهم للاستسلام، وفي الليل يملاهم ذخيرةبنيران قريبة مؤثرة وتختفي قواته في الغابة بين الأشجار.

عبد الواحد كورك لي ناس الفرن: هوي يا ناس أصحو لسع الكترابة دي ما مرقت ورانا مشاغل.

وواصل في حكوتو، وقال: الجنرال هكس كان بيحاوليستطلع فيهجم أب قرجة قوات استطلاعه تجي فازة وهاربة لي معسكر الترك وتدخل الرعب في نفوس جنوده لامن كترت حالات الهروب وسط قواته، والمستسلمين اللي قدموا معلومات استخبارية في غاية الأهمية استخدمت بذكاء في الحرب النفسية.

(6)

هكس في واحدة من نقاط توقفه عمل زريبة وأمر فرقتو الموسيقية بأن تعزف ألحان أعياد الميلاد ومع بداية النغمات الغريبة على الأرض بحضور الضباط والتجار والجنود عشان رفع الروح المعنوية.

واصل عبد الواحد، وقال: كانت طلقات أب قرجة زي ما بيقولواأوقفت الهرجة وسببت هلع وهرج ومرج في قوات هكس، واضطرت الفرقة الحزينة أنو تتوقف ويتلبد العازفين على الواطة اللي شموها ولقوها ما حقتهم، أولاد أم زقدة، وطلعت منو ضحكة جامدة.

في الجانب الآخر قال الدرويش العجوزعبد اللطيف وهو يمضغ بلحة من طبق السعف القدامو: الله لي أب قرجة وقالوا عليهو يجيء أب قرجة وتوقف الهرجة.

واستطرد في لذة باقي القصة، صراع أب عثمان أب قرجة أن يسلم جيش هكس في طبق من دهب للمهدي. فقد كان أب عنجة متربص بالقوة الكبيرة، وكان أب قرجة يرسل معلوماته عبر رجاله للمهدي كل ساعة بصورة منتظمة وحركة الاتصال وفرت رؤية شاملة وتقدير جيد للمعركة المرتقبة في غابات أو سهول كردفان الغرة أم خيرا جوة وبرة.

(7)

يقول المهدي لرجاله في معسكر الجنزارة بصوت جهوري وهو يخطب في أنصاره محمساً لهم: سيهلكون ومن يتأخر ليصلح نعاله سيجدهم هلكوا.

عشان كدا كان الناس بتتسابق بتجهز في نفسها لي معركة مصيرية، وكان الحماس فوق، وبالمقابل كانت قوات هكس متقدمة وسط مصاعب وفي أرض معادية ومعنويات منهارة، وكتروا الناس اللي هربوا وسلموا لي المهدي ومنهم خادم أوربي فرحوا بيهو الأنصار فرح شديد اعتبروهو باشا كبير.

عبد الواحد قال: لو دخل هكس مباشرة للأبيض كان ممكن يحقق مفاجأة ودا كان ممكن يكون خطأ استراتيجي ينهي الثورة، لكنجيش هكس كانت فيهو الخلافات في القيادة والرعب العايشو وعدم الموية وماشي في واطة العدو ونيران أب قرجة كلو مافي صالحو.

حاج الماحي وجه كلاموا لي عبد الواحد: شوف يا حاج عبد الواحد هكس مغفل لو طوالي مشى لي الأبيض كان حير الأنصار وحظو كان ممكن مختلف بعدين لكن جيشو كان بطيء في حركتو ومكشوف تماماً.

ضحك عبد الواحد: لو عمل التفاف وأسرع كان ممكن يحدث فارق، لكن المكتولة ما بتسمع الصيحة يا حاج الماحي.

عبد اللطيف تني التمرة وكسرها بي صوت ووصل كلامو وقال: وغابة شيكان جنب قرية كازقيل وكانت الغابة محل الكمين المعد لي هكس، كانت ضيقة ملانة بي شجر التبلدي والشارع دوداب بسوضيق ما بيخلي مربع هكس باشا مرتاح في الأرض ذاتها.

واصل الدرويش عبد اللطيف، وقال: الأمير أبوعنجة سوي كمين يمين وشمال ورجالو فوق الشجر لابدين وكارسين الحركة في سكون شديد واستعداد غريب، والقوات بتاعت الترك تتقدم لي الشرك وهي بتعاين وراها.

جيتكم في المنسي يا ناس الرغيف ومعاها ضحكة قالها عبد الواحد: يقوم يرسل هكس قوة استطلاع ومعاهم بروجي شايل أمبايا، وكان من المصريينالمسكين أول مرة، وآخر مرة يخت كراعو في كردفان، وهو ذاتو مخلوع ومنطط عيونو براهوووإن قلت ليهو هااااا يقوم صووووف.

تتقدم قوة الاستطلاع وتدخل في نص الكمين وتكشفوتشوفالواطة أمان.

العساكر بتاعين الاستطلاع يقولوا للبروجي أطلع شجرة التبلدي.

يطلع البروجي المسكين فوقالتبلدية وينفخ ببوقه توووووت توووت قالها عبد الواحد ومعاها حركة مسرحية وكورايك.

حاج الماحي: الله حي في شأن الله.

واصل عبد الواحد: البروجي شغال أمان لا عدو تقدموا لا شيء يقلق الوضع أمان وهو ما جايب خبر.

من شناةحظ البروجيأنو نفس التبلدية اللي طلع فيها كانت ملانة بالعدو وتمسكو ليك خوفة ويكتشف فجأة أنه نفسه في وسط العاصفة الكمينلمن يلتفتيعاين العدو يمين وشمال ومعه، فيرتبك وبقى شغال أتوماتيك ويهضرب بي أمبايتوا براهوا وضحك عبد الواحد وناس صف العيش.

توووووت عدو أمام، تووووت لا عدو أمان.

تتووووت عدو أمام تووووت عدو ماف.

تووووووت عدو في كل مكان تووووووت لا عدو، عدو.

تووووت أنا وين، تووووت انتو منو ذاتو.

تربك إشاراته قوات هكس وتاخذ ما تبقى من روح قتال ضعيفة فيهم تووووت تووووت إنكسرت جبارتو وكسر جبارة الترك.

(8)

عبد الواحد ضحك وواصل: هكس يستاء ويأمر القناصة بوقف نداءات البروجي الذي هزم هكس قبل صيحات العدو وهجومو.

يتقدم قناص من جيش هكس ويضرب رصاصة الرحمة في قلب البروجي، ويقع ميت بيبنيران صديقة ويتعلق جثمانه بفروع التبلدية، وفي ربع ساعة فقط يروح جيش هكس الذي كان يحمل مليون رصاصة معه شمار في مرقة.

(9)

عبد الواحد مبسوط وبقى يكابس الواطة، وبيحكي: بقتجتة البروجي المصري عبارة عن عضام معلقة شاهدة على هزيمة هكس لحدي عشرينيات القرن التاسع عشر، لحدي ما جاء ما أمر بي بإنزال العضام من مفتش الأبيض الشليقاللي أمر بدفنها تحت شجرة التبلدي التي حملت اسم تبلدية البروجي المسكين.

ومسك عن الكلام عبد الواحد وبقى بعاين في الفرن لأنو شامي ريحة الرغيف قال بي سراع، وهو بتلفت: تبقى شجرة البروجي شاهدة على أكبر

هزيمة في تاريخ الإنسانية مجزرة لم يرتكب مثلها في تاريخ السودان إلا في كرري، حينما أبادت المدفعية جيش الخليفة في ساعات بس.

شوفوا عايز أقوليكم، شيكان بتحكي عن عظمة التخطيط والتنفيذ من التماس الأول بقيادة أب قرجة وتحطيم الروح المعنوية، إضافة إلى اختيار أرض القتال المناسبة ونجاح تنفيذ الكمين والهجوم مااستمرت معركة شيكان إلا 15 دقيقة وكان الجيش المنفوخ أُبيد كله.

صاح الدراويش متهلل الأسارير:أولاد أم زقدة وضحكوا في نشوة غريبة.

عبد الواحد وجماعتو شالو الرغيف وفي رأس الشارع ظهرت ومرتو العازة وقال للجماعة الليلة تووت تتووت البروجي ما بتمرقني وأخدوها ضحكة وبادر مرتو.

والله الرغيف يا دووب مرق شوفي ساخن كيف ودخل بيتو.

الزول دا ظنيتو يسأل الآن قال تاريخ قال، وضحكوا أصحابو على كلام أصحابوعبد البين وحاج الماحي.

***

ليبتون باشا

بحار تائه في بحر الغزال

بحار تائه في بحر الغزال

(1)

قال عبد الواحد الليلة قصتنا فيها من المنسي عارف في ناس كتار سمعوا بيها إلا في كلام ما اتقالبالتفاصيل الدقاق وبحكيهو ليكم الصبر خلوا جنبكم وخليكم من المحكي والمعروف.

حاج الماحي قال: أحكي ورانا شنو؟ كلنا أرباب معاشات.

واصل عبد الواحد وقال: حاكم عام السودان في الخرطوم غردون باشا عين عدداً من الأجانب من كل الجنسيات بدور أحكي عن واحد منهم،ودا كان بحارة الإنجليزي الضابط فرانك ليبتون، وكان وليد لسع عمرو زي ستة وعشرين سنة عينو مدير على بحر الغزال في العام 1881م وورطو في مجاهل جنوب السودان.

حاج الماحي: المصيبة شنو شواطين لمن جانا حاكم عندو 23 سنة وليبتون داعندو 26 سنة القصة شنو ديل الشفع ديل مالقو غيرهم ناس أصلو؟

عبد البين: عرفنا خلاص خلي يتم شمارو.

استمر ليبتون في بحر الغزال وكان متواصل مع سلاطين باشا في دارفور والدكتور أمين في الاستوائية لأنو كانوا قراب منو، ومع الحكمدار غردون في الخرطوم والأمور ماشة معاهو باسطة لحدي ما قامت المهدية سنة 1881م، ودي كانت القندول الفنقل الريكة.

عبد الواحد قال: ودا كان نفس العام الذي شبت فيه الثورة المهدية واتحصن قائدها محمد أحمد المهدي إلى جبال قدير منطقة اسمها بطن أمك في جبال النوبة كانت منيعة، وما ممكن للعدو يصل ليها كلو كلو.

وكان ليبتون باشا بسمع بي أخبارها من بعيد بعيد وقايل النار ما بتصلو في بحر الغزال أصلو وإنو الجنوبيين من النوير والدينكا والفراتيت ولا الاستوائيين ما ممكن يخشو مع الأنصار ضمة عشان حاجز الدين، لكن حصل العكس الدينكا والنوير والاستوائيين والفراتيت حاربوا مع المهدية بقوة.

واصل عبد الواحد: ودا كان من أصعب الأمور اللي واجهها إضافة لي تمرد الجلابة ضدو وهوشة قبائل الجنوب، والجلابة من الجعليين والدناقلة كان عندهم تار مع الترك.

صالح الدنقلاويدا واحد من العساكر في جيش ليبتون كان بيحكي ومعاهو عدد من الرجال وبتذكر في الأيام السودة وحربهم في بحر الغزال.

واصل صالح وقال: كانت أيام صعبة واضطرينا نحارب في كل الاتجاهات ونقوم بقمع الثورة في بدايتها، لكن الموضوع كان كل مرة بكبر لحدي ما بقى كارثة علينا وأنا أخدوني أسيرفي واحدة من حروب ليبتون المهببة.

واصل صالح وقال: ليبتون دا قاد معارك ناجحة ضد أنصار المهدية اللي كانوا بشكوا خطر على الحاميات الحكومية، وعمت أخبار انتصارات المهدي في السودان كله.

وقام جزء كبيرلحق بالمهدي من عدد زعماء القبائل الدينكا والفراتيت مشوا شافوا محمد أحمد المهدي وسمعوا ليهو وبايعوه، والطريف إنو بعض البايعو المهدي من قبائل جنوب السودان في الوكت داكاعتبروه إله أو نيكانج، وفي ناسزهجانين من الحكومة، وفي ناس كانت أهدافهم مختلفة، المهم كلهم بقوا مع المهدية.

واحد من الحضور سأل العم صالح، وقال ليهو: ياعم صالح ماف ناس من الجنوبيينوقفوا مع الحكومة ضد المهدية أصلو؟

رد عليهو صالح، وقال: في ناس حاربوا مع الحكومة منهم الرث كيو كيوان مك الشلك في حملة راشد بيك اللي انطلقت من فشودة، وكان معاهوألف مقاتل من قبيلة الشلك وكتلوا الرث في واقعة قدير المعروفة.

(2)

قال عبد الواحد: عندما بقى الإنجليزي فرانك ليبتون باشا مديراً على بحر الغزال كان صغير السن عمره 26 عاماً ودا جاء في كتابالمؤرخ ب. م. هولت المعنون بي المهدية في السودان.

عبد البين: وبحر الغزال دي ياها بي حدودها اللي بنعرفها الليلة ولّا كانت كيف؟

رد عليهو عبد الواحد: كانت حدود بحر الغزال تمتد لي مشرع الرق شرقاً ومحطة رومبيك جنوباً ويشرف على حفرة النحاس في جنوب دارفور شمالاً.

واصل وقال: كان بيعاون ليبتونالمدير ساتي بيك ودا كبير الإداريين في بحر الغزالاللي مقسمليتمانية أقسام يدار كل قسم منها بواسطة ناظر، وكان سبعة من النظار من الدناقلة والتامن من قبيلة الجعليين.

بحر الغزال بتحوي عدد من القبائل أكبرها الدينكا اللييتمددوا ما بين بحر العرب ونهر الغزال والفراتيت. وكان الطريق النهري يمر عبر مشرع الرق في منطقة السدود على النيل الأبيض والطريق التاني عن طريق دارفوراللي بشقها من جنوبها لي شرقها ومنها إلى الأبيض اللي كانت أكبر مراكز الحكومة في الوكت داك.

(3)

بقى فرانك ليبتون يقاوم الثورة المهديه وأتباعها اللياشتد عودهم نتيجة لتحالف البقارة والدينكا والنوبر والفراتيتوالدناقلة اللي كانوا منتشرين بكثافة في جنوب السودان في الوكت داك وزعلانين من الحكومة اللي ضربت تجارتهم.

قال عبد الواحد: اشتبكت قوات فرانك ليبتون باشامع السكان المحليين السود والبقارةوالجلابة اللي بايعوا المهدي واستطاع تحقيق انتصارات إلا أنو الثورة استطاعت تحرير كردفان ودارفور وإسقاط حاميات الحكومة وكمان تقطع الطرق المؤدية إلى الخرطوم، وبعد هزيمة هكس باشا في غابة شيكان في العام 1883م انقطعت آمال فرانك ليبتون باشا في تحقيق استقرار في مديرية بحر الغزال بالقوة.

(4)

قال صالح الدنقلاوي: بعد سقوط الأبيض الدواي واستسلام حاكم دارفور النمساوي سلاطين باشاوإعلانه إسلامه دخوله في سلك المهدية، وتغير اسمه لي عبد القادر،انتبه قائد الثورة محمد أحمد المهدي ليأقاليم جنوب السودان.

وجاتو وفود عدد من أعيان الدينكا والفراتيت وغيرهم من القبائل، وأعلنواالتمرد على حكومة الخديوي التركية.

سأله واحد: ياحاج صالح ليبتون ما عندو جيش بيحارب ليهو؟

رد صالح، وقال: كيف، كان جيش كبير، لكن التمرد كل يوم بيزيد لصالح المهدية وبحر الغزال دي فيها مراكز ومحطات ملانةبي جيش الخديوي وعليها حكام أوروبيين مسيحيين مثل الألماني دكتور أمين في الاستوائية والإنجليزيفرانك ليبتونفي بحر الغزال لكن الشغلة غلبتهم.

قال عبد الواحد بيحكي: محمد النصري كان واحد الدناقلة الذين قادوا قوة رسلها فرانك ليبتون لدحر الثوار الليأعلنوا الثورة من قبيلة دينكا لفي ودي ديارهاجنب بحر العرب، ولكن رجال القبيلة هزموا حملة القومندان محمد النصري، ودا كانأولتمردفي بحر العرب.

المعنى الحكومة في بحر الغزال ضاقت المر من كل القبائل من السودانيين قالها حاج الماحي.

عبد البين: هوي الجنوبيين عندهم مشكلة مع الحكومة، لا أنصار ولا دراويش، لأنو المهدية فكرة دينية أكتر من سياسية ما تخمونا ساي.

عبد الواحد: المهم أنو الدينكا كانوا نواة الثورة في بحر الغزال صحيح أنهم ما مسلمين ولا أنصار لكن دا الواقع.

(5)

واصل عبد الواحد: في مطلع عام 1882م قاد القومندان محمد النصري حملة تانية ونجح في تفريق الثوار الجدد، إلا إنو الثورة في جنوب دارفور مع بحر العرب اشتدت لمن قام عندما قام الشيخ يانكو شيخ مركز تل قونة بالهجوم على المركزوقطع دابر الحامية المصرية وهرب لي مادبو زعيم الرزيقات اللي كان صاحبو.

عبد البين: وين بيقع مركز تل قونة ولا تلقونا دا كمان؟

عبد الواحد ضحك وقال: مركز تل قونة تقع فيمقرن نهري بورو وسوبو وديأنهار صغيرة موسمية وفيها أهلنا الفراتيت، وكانت مركز حكومي، والشيخ يانكو هو شيخ مركز تل قونة.

حاج الماحي: والله صحي قصة منسية بالجد قصة الثورة في بحر الغزال.

عبد الواحد: في 17 أغسطس سنة 1882م تعاون كل من الشيخ يانكو والشيخ مادبو زعيم الرزيقات في إزعاج كل من سلاطين باشا في دارفور وفرانك ليبتون في بحر الغزالبقصد تهييج السكان عليهم.

واصل صالح وقال: في أكتوبر من نفس العام قام الشيخ مادبو في منطقةأم وريقات بشن غارة على قوات سلاطين باشا عاونو الشيخ يانكو اللي رجع لي مديرية بحر الغزال لإثارة الاضطرابات فيها من تاني.

واصل صالح وقال: فحرك فرانك ليبتون باشا القائدمحمد عبد الله المحلاوي مفتش مكافحة الرق في بحر الغزال في الوكت داك، ولكنه وقع عيان، فخلفه رفاعة أغا الدنقلاوي، وهو ناظر قسم في بحر الغزال واستطاع تحقيق نصر باهر ضدالشيخ يانكو، ودا كان في فبراير العام 1883م.

ساله واحد من القاعدين: أها ياشيخ صالح والحصل شنو بعد داك؟

رد عليهو صالح وقال: نتيجة لعمليات رفاعة أغا الدنقلاوي النشطة اضطر الشيخ يانكو للهرب ليالشيخ مادبو زعيم عرب الرزيقات في جنوب دارفور.

قال صالح الدنقلاوي: في العام 1883م تمرد الدينكا القريبن من مشرع الرق واتمكنوامن هزيمة قوة حكومية صغيرة كانت تنتظر باخرة جايةلي مشرع الرق، وحرك ليبتون باشاقوة بقيادة ساتي بيك واستطاع تأمين الطرق المؤدية لي مشرع الرق،لكن النصر دامانفعو مستقبلاً وانقفل الطريق لي مشرع الرق، وأنا شالوني أسير في مشرع الرق وانقفل المشرع دا قدام عساكر الحكومة.

(6)

المهم بعد محاولات للتنسيق مع سلاطين في دارفور وفشلت باستسلام سلاطين ودا زاد الطين بله.. قالها صالح وهو بيحكي.

وواصل وقال: والمصيبة أنو انقطعت أخبار الخرطوم لأنو الشوارع قفلت واستولى عليها الأنصار وبقت مافيإمدادات وأهلنا الدناقلة جاهم واحد كان تاجر معاهم في الجهات ديك وبقى الأمير بتاع المهدية والمهدي ذاتو من عندنا، ضحكوا كلهم لظرافة العم صالح.

سألو واحد من الحضور: والأمير الجا دا منو؟

صالح: اسمو محمد كرم الله الكركساوي وكان تاجر معروف بحر الغزال ومشهور بأنو زول كويس وكان اختياروا قاتل أصاب ليبتون في مقتل.

كيف أشرح يا عمنا سألو واحد من الحضور المعاهو؟

صالح: بقى الجلابة والسود والجهادية ما عايزين يقاتلوا الكركساوي اللي كانت معاهو قبائل البقارة والفراتيت والجلابة في الجهات ديك.

عبد الواحد قال لي جماعتو: الطامة الكبرى في هزيمة هكس، الزول كان متخيل هكس يمسح المهدية، ويحصل لحدي عندو، وينتهي التمرد بدون زيطة وزمبليطة.

حاج الماحي: وجيش هكس هزم طيب ما يفز راجي شنو؟

عبد الواحد: حاول يخادع الأمير كرم الله الكركساوي، لكن لقى أنو مضغوط، وما بقدر يهرب من جيشو والإداريين والقضاة وعشان كدا استسلم للمهدية، وسلم حاميات بحر الغزال كلها، ويا دار ما دخلك شر.

عبد البين: والله خواجة عاقل وحقن الدم.

حاج الماحي: إن ما انعصر بسلم والله كان بيكاتل لي يوم الليلة، واستغرقوا في الضحك اللذيذ.

عبد الواحد: ليبتون مشى للمهدي وبقى قاعد معاهو وبعد فترة قبضو جواب منو لي غردون باشا، بيوضح فيهو أسباب تسليمو للمهدية، أنولو لقى طريقة بيهرب ليهو.

حاج الماحي: شوفو المسخوت.

عبد الواحد طوالي الأنصار ختو في المكية وقيدو بي الحديد ما فكوهو إلا بعد تحرير الخرطوم بي الضمانة بتاعت سلاطين وسموهو عبد الله.

استمر عبد الواحد، وقال: وبقى شغال مرة في السجن ومرة حر طليق يعني متردد سجون المهدية عديل كدا وضحكوا.

عبد البين: الله في.

عبد الواحد: وعرس ليهو حبشية جاب منها بتين، ولكن ليبتون مات في أم درمان بعد حياة صعبة وأسر طويل وذلة مهانة شديدة، وفلس، ولبس المرقع، والله يرفع من يشاء ويذل من يشاء، وهو الحكيم العليم وساد مجلسهم صمت عمق.

***

الأمير أحمد فضيل في آخر أيام المهدية

هجرة رجل لوحده

الأمير أحمد فضيل في آخر أيام المهدية
هجرة رجل لوحده

الأمير أحمد فضيل كان مع الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان لمن كانت الحملة الإنجليزية تزحف من الشمال وكانت أكبر مهدد للمهدية، عشان كدا كان في اهتمام كبير بي أخبارها ومسار تقدمها.

الخليفة عبد الله قعد يتكلممع الأمير أحمد فضيل، وهم في صالون الخليفة في بيتو الشهير في أم درمان ودار بينهم حوار.

بصوت فيه ثقة قال الخليفة عبد الله التعايشي: يا الحبيب أحمد إنت من الأحباب اللي بيعتمد عليهم والترك جايين والإمام المهدي زمان قال جردة الترك بتتباد في كرري، لكن في فرقة غيرك مافي ليها زول.

أحمد فضيل: السمع والطاعة وأنا وجيشي جاهزين إلا داير قربك يا سيدي الخليفة.

الخليفة عبد الله: إنت من فرسان المهدية، وأنا جاني كلام مابلقى ليهو غيرك.

واصل الخليفة كلامو، وقاللي أحمد فضيل: أنا جاني كلام أزعجني من الشرق في جردة جاية بي اتجاه القضارف، وإنت يا الحبيب أحمد ماسك فرقة كبيرة عشان كدا أرجع القضارف وسد فرقتك.

الأمير أحمد فضيل: جرَّ نفس وقال الصحبة يا خليفة المهدي ورسوله، لكن أمرك مطاع، وأنا بقوم الليلة دي سمعاً وطاعة سيدي.

الخليفة عبد الله: عافين ليك وفرقتك ماف زول بسدها غيرك قوم شون رجالك وأتحرك وأديني أخبارك طوالي.

الامير أحمد فضيل: خلاص أأسيدي أمرك هو الماشي وأنا بتوكل أقوم فجر وبي الأحباب وناسي ودعواتك سيدي.

(2)

أحمد فضيل في القضارف ومعاه الأمراء قاعدين في كشاشة بعد صلاة الضهر وبتكلموا في أمور الحملة اللي قالها ليهو خليفة المهدي وضرورة إنجاز المهمة على أحسن وجه.

جا أنصاري راكب حصانو وشكلوا جاي من بعيد بيكورك: سيدي سيدي سيييييدي.

الأمير أحمد فضيل: أها الحبيب شن عندك؟أدن قريب تعال تعال.

رد الدرويش المفعوص: مكن الإنجليز قرض الأنصار في النخيلة.

الأمير أحمد فضيل: وسيدك محمود ود أحمد التعايشي، شن خبروا أحكي يا المفعوص خبر الشوم جبته.

الدرويش:سيدي مسكو الترك ومعاهو جماعة وفي ناس مشت في شأن الله.

الأمير أحمد فضيل: لا حول ولا قوة إلا بالله أحكي ها المفعوص.

الدرويش: والله يا سيدي نارالترك بقت فينا حريقة ولا نخبرو ولا ندرو إلا الموت، وجينا ومرقنا نحن جماعة وصلنا القضارف وفي ناس وراي في الدرب تعبانين خالص سيدي.

الأمير أحمد فضيل كورك لمواالحبانو الأخوان وضيفووهم وأدوهم الأمان، لينا مع الترك تار ويوم ناكلهم النارونمجغوهم مجغ الله حي في شأن الله.

واصل أحمد فضيل وقال لي كاتبو: أكتب للخليفة بالحاصلوالجواب المساء يكون مع سيدي الله حي، قالها وهو قايم يرتب أمورو الترك بيصلوا خليكم جاهزين طلعوا الطلائع الحرابة قامت كلام سيدي الخليفة حق.

(3)

بعدا بي فترة أمكن أقل من شهر ولا تزيدمفعوص تاني بيكورك سيدي سيدي الأمير أحمد فضيل سيدي سيييدي سيدا سيدي.

أحمد فضيل: لاحول ولا قوةجاي من وين إنت كمان.

الدرويش قال وهو بلم في أنفاسو: سيدي وقعت حرابة في أم درمان والمكن بتاع الإنجليز كتلوا الناس في أم درمان، وسيدي الخليفة هاجر وغرّب ومعاهو الأحباب والمشى للجنة مشى.

أحمد فضيل: لا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل.

واصل الأمير أحمد فضيل، وقال بي صوت جهوري: أجهزوا نلحق سيدي خليفة المهدي، ونخلي النور ود سعد في القضارف، أنا مهاجر ومعاي الأحباب،الهجرة يا أحباب.

قال الأمير النور ود سعدبيكلم الأمراء المعاهو: مرق أحمد فضيل ومعاه أربعة آلاف من الأنصار عشان يلحق سيدي الخليفة في كردفان وعلينا نجهز في جردة جاية على القضارف سدو الفرقة الله حي.

في قعدة الأمير النور ود سعد جاتو خبرية أنو وصلت فرقة من الجيش الإنجليزيبي البوابير لي سنجة بقيادة هنتر باشا بدأت تطارد، وتعرف أخبار

الدراويشوالأمير أحمد فضيل اللي كان زاحف لي الدندر عشان يقطع بحر أزرق ويلحقو الخليفة في كردفان.

(4)

قال عبد الواحد بيحكي: بتاريخ5 أكتوبر1898م، وصلت القوات الإنجليزية لي قرية سيرو الجعليين، وهي قرية صغيرة جنوب ديم سنجةوتقع في الضفة المقابلة لـكركوج.

حاج الماحي: يازول والحصل شنو بعد داك؟

قال عبد الواحد: في يوم ستة أكتوبر كان جيش الإنجليزبيحاولوا أنو يعبروا النيل الأزرق وكانت قوات أحمد فضيل احتلت حلةخور أم الحسنوعملوافيها معسكر كبير في المساء، كانت هناك قوة كبيرة من الدراويش والمعسكر جاضي، وكل طرف بيحاول يعرف تحركات الطرف التاني.

(5)

القوة الإنجليزية عبرت البحر لي حلة كركوج ومعاها مية من رجال الهجانة تحت قيادة البمباشي هنري والبمباشي ريقمنت وارتكزوا في شكل دفاع.

واصل عبد الواحد وقال: في يوم سبعة من شهر أكتوبر البارجة المسلحةناصر جات،وقطعتقوات القائمقام قاليز بيك البحر،وأمرت بقية قوات الفرسان أنو يعبرواالبحربخيولهم. وفياليوم داك اليوم كانت كل القوات الإنجليزية قد عبرت النهر، وعند تكامل القوة وتعزيزها بالبوارج الحربية بدوا في عمليات الاستطلاع المسلح وجمع المعلومات الاستخبارية.

قال عبد الواحد: الأمير أحمد فضيل ماقام بعملية عبور النيل، وفي اعتقادي أنه كان عايز يجمع المعلومات حول القوة المعادية ليهو، وإمكانية عبوره البحر، وكان بقى الأمر صعب سينسحب جنوباً ويعبر من مكان آمن لي جيشو.

حاج الماحي: دا تدبير الحرب كدا.

واصل عبد الواحد وقال: قوات الفرسان بتاعت الإنجليز شكلوا دوريات جنوب وشمال كركوج،عشان يمنعوا تسلل وعبور أي قوة تتبع للأمير أحمد فضيلمن عبور النيل الأزرق، عشان كدا تم تفتيش القرى القريبة وجمع معلومات عن أي تحركات للأنصار.

(6)

قال الجنرال هنتر، وهنتر كان قائد حملة إعادة احتلال النيل الأزرق قال لي ضباطو بيحكي ليهم: في صباح اليوم التامن من أكتوبراتحركتقوات الفرسان والبمباشي قاليز لي اتجاه قرية خور أم الحسن.

واحد من الضباط: قاليز وقوتو كان وحا يهجموا على قرية خور أم الحسنيا سعادة؟

الجنرال هنتر: لا ولكن ماكنا مستعدين في الساعة ديك لي معركة وكنا عايزين بسالمعلومات عن طبيعة البلد ديك خصوصاً المنطقة بين النيل، وهذه القرية تلتأرباع المسافة بين النيل وقرية خور أم الحسن كلها غابات كثيفة ومستنقعات، وبتمنع الحركة للجيش.

ضابط تاني سأل الجنرال هنتر قائد حملة النيل الأزرق والقضارف، وقال ليهو: يا سعادةوالحصل شنو؟

رد عليهو هنتر وقال: كان الكلام دازي الساعة 4:30 مساءً والمنطقة دي تبعد حوالي 21 ميل من كركوج، ولكن دليلالقوة راح وضهب من الطريق،

ودا خليالقوة تتحركلي الشمال، ولمنصححوااتجاهملي الجنوب كانواقاموابي دورانية كاملة حول حلة خور أم الحسن.

واصل هنتر وقال: القوة لقت قدامها راجلين عماية في حتة ضيقة، وفيها قش طوال مقابلة للقيفة الغربية لنهر الدندر،وبالتالي لقوا أنفسهم مشوا في شارع ضيق جديد أي راحوا في اتجاه الشمال الغربي وعبروا منطقة منخفضة عشان يصلوا لي الدندر، ولقوا أنوفي قريتين محتلات بواسطة الدراويش، وكانوا كتار خالص.

واصل هنتر: من استجواب الراجلين أخدنا معلومات قيمة، وبعد داك فكوهم ناس المخابرات على أساس يجيبوا معلومات جديدة.

(7)

الدرويش بيحكي وحانت منه التفاتة وكورك: يا ولد جيب موية، أه ديكأيام صعبة خالص.

واستطرد الدرويش بيحكي وقال: يحكي الأمير سيدي أحمد فضيل طلع ناسووبعد دالقيت مجموعة منالأنصار بفتشوا على أكلوجزء منهم طواليضرب نار في قوة الإنجليز بقيادة قاليز، لكن نيرانهم كانت ما مؤثرة لأنها كانت قصيرة المدى.

واصل وقال: الأنصار لمن رد على نيرانهم الإنجليز بي قوة هربوا من قدامالإنجليز، ورجعوا بلغوا معسكر الأمير أحمد فضيل.

بقى بيحكي قاليز عن ورطتو واكتشاف أمر قواتو، وقال: بعد داك سلكنا طريق جديد من الدندر لي كركوج عشان نتخارج لأنو الدراويش حا يهجموا علينا وأنحن مهمتنا نجمع معلومات وبس،وأنحن كنا في منطقة تبعد زي 3 أميال من كركوجووصلناها في المغرب تماما، ومنها رجعنا لي معسكرنا بي سلام، ودا كان الساعة تلاتة ونص صباحاً من اليوم التاسع من شهر أكتوبر 1898م.

واصل قاليز وقال: الرجال الليكانوا معاي اتصرفوا بي شجاعة ورباطة جأش. وكنا شفناحوالي مية وخمسين من الدراويش ومعاهم عدد كبير من العبيد وكلهم شايلين بنادق، ولكننا رجعنا لي معسكرنا ومعانا إتنين من الدراويش أسرى.

على الجانب الآخر كانالجنرال هنتربيتكلم مع عدد من الضباط في الخرطوم،وقال: الأمير أحمد فضيل كان مراوغ وراجل مؤمن متعصب لي مهديتو ما استسلم لحدي ما مات في أم دبيكرات مع الخليفة.

وواصل الجنرال هنتر بكلم صاحبوا عن أحمد فضيل، وقال: عن الجزء من شرقي سنجةالمنطقة دي بين كركوج والدندر، للأسف ما تصلح لحركة قوات الفرسان والجيشوبرضو الطريق ماممكن أنو تتحرك فيهو قوات الهجانة لأنو الأشجار في المنطقة دي عالية وكثيفة والقش طوال خالص.

واصل هنتر وقال: قواتنارجعتبي طريق واسع نوعاً ما، ولكن في مسافة تقدر بأميال مابيصلحاستخدام الخيول والهجن للتحرك فيها، وإذا فكرنا في الهجوم على قرية خور أم الحسنبواسطة قوات المشاة أعتقد أنو الأمر فيهو خطورة، لأنو أي كمين ينصبو العدو في المنطقة دي حا يوقعوا فينا خسائروسط القوات بتاعتناعشان كدا أمرتهم ما يهجموا.

وواصل وقال: الدراويش ممكن يتحركوا بي حرية من أعلى لي أدنى بحر الدندر الليبيوفر ليهم حماية، ودي أرضهم عارفنها كويس عشان كدا فضلت أنو قواتي تناور وتستطلع وتجمع المعلومات بس لحدي ما نلقى أرض كويسة للمعركة ونقضي عليهم.

قال ليهو ضابط معاهو: برافوو يا كمندان الحرب تخطيط ومعلومات برضو.

(8)

أشار الأنصاري العجوز اللي بيحكي للمجموعة اللي بتنصت في هدوء: بعد مغادرة أحمد فضيل لينهر الرهد كانت الذخيرة في يد الأنصار قليلة والحال صعب مافي تموينات كافية ود سبب هلع، برضو إضافة لي أخبار أسلحة الإنجليز القوية، وكسرت الأنصار في النخيلة وكرري، وانسحاب الخليفة للغرب، كلو كان عامل زنة في كتير من ريسين الأحباب، وبعدين في ناس كتار قلبوا على الأمير أحمد فضيل وبقوا بحاربوا في جيشو.

واصل وقال: كل جيش الترك الأورطبتاعتهم مسلحة بي بنادق جديدةومعاهم حوالي تلتمية من الفرسان.

واصل وقال:الأنصار عرفوا في جزء من عبيدهم بيفكروا يهربوا من المعركة اللي حسوا أنها خسرانة خسرانة،أهاا قاموا هددوا الجهادية الليبيفكروا في الهروب بالقتل.

قال الأنصاري العجوز:الأمير أحمد فضيلعينالأمير فضل حسانة، ودا كان قائد ربع من أرباع الأحباب في الوكت داك، وكان مشهور أنو حاسم عشان يمنعأي هروب من جيش أحمد فضيل.

سألو واحد من الجماعة القاعدين: أها وبعد دا في ناس هربوا؟

الأنصاري: أيوة هرب واحد بيقولوا ليهو شيخ أبكر، ودا كان كارثة، وساق معاهو عدد من الرجال وسلم للإنجليز وكمان بقوا بيحاربوا أخوانهم ووقفوا مع العدو، ودا أزعج الأحباب، لأنهم عارفين أي حاجة عن جيش أحمد فضيل.

سألوواحد من القاعدين: يا عبد الواحد قصة البقارة التلاتة شنو؟

صلحقعدتو وقال: أهاا يا سيد اللمنتي ليكقولوا كدا وواصل حديثو: هو وتلاتة من الرجال كبار في السن من الجهادية مشوا لي قرية خور أم الحسن

مركز قيادة سيدي الحبيب أحمد فضيل التعايشي في المساءسراً،ودافي محاولة منهم عشانيقنعواالجهاديةللهروب من قوات أحمد فضيل.

حاج الماحي: اللهيخيبهم مشوا بي راي الإنجليز كمان وشن سوا معاهم الحبيب أحمد فضيل؟

واصل وقالعبد الواحد: ديل بحكي ليكم عن إعدامهم قدام أصبروا.

(9)

قال قاليز: بصوت خافض في يوم تمانية من نوفمبر سنة 1898م في الساعة تسعة صباحاً جانافي معسكرناواحد من أهالي قرية خور أم الحسن.

واصل وقال قاليز: استجوبنا المواطن وذكر معلومات مهمة وقال إنو كان ممسوك من قبل الدراويشوشالوهوسجينوقدم لينا وصفعجيب ودقيق لقوة الفرسان بتاعين الدراويش.

سألو ضابط إنجليزي: قال شنو جديد المواطن دا؟

قاليز رد عليهو: وصف لينا لبسهم وتسليحهم وإنهم بيقوموا بنقل المعلومات بصورة سريعة إلى أحمد فضيل القاعد في حلة دبيكري جنب الدندر وأنو قواته اتكاملت في قرية خور أم الحسن، وكان أحمد فضيلقد وصل لي القرية دي برضو، لكن طلع منها لي حلة فوق في الضهرة.

(10)

واصل قاليز بيحكي، وهو يستعرض جرح في ضراعو الشمال في يوم تسعة نوفمبر جانافي معسكرنا عربيتاني من قرية خورأم الحسنأيد المعلومات بتاعت العربي الأول.

العربي قال: إن أحمد فضيلأمر بتجميع العيوش من الاهالي وأنه قد أمر قواته بالاستعداد للتحرك غرباً، وإنه يعمل على جمعالعيوش لقواته والحيوانات العندو.

قاليز قال: كانت حرب معلومات أنحن جندنا تلاته من الأهالي يدونا خبر الدراويش وكتي.

أها والحصل شنودا كان سؤال مباشر لقاليز من ناسو المعاهو.

قاليز قال: ثم في يوم عشرة نوفمبرالجهادية التلاتةالليرسلناهملي قرية خور أم الحسن جو راجعين في المساء وطوالي عزلناهم من بعض وبدينا في استجوابهم بواسطة ضباط المخابرات.

الجاسوس الأول اسمو عبد الباري وأفادنا بالآتي: وصلت لي بيت عجب سيدو ناسي جنبمحل الأمير فضل حسنفي مساء يوم تسعة نوفمبر، وسألت عجب سيدو ناسي لي ما سلم هو ورجاله لي قوات الحكومة؟

عجب سيدو قال لي عبد الباري: إنوالأمير أحمد فضيل أجبرهم على أنو يحلفواالمصحف بأنهم ما بيسلموا أنفسهم.

عبد الباري قال: عجب سيدو قال لي أنوحا يلاقي رأس المية كوكووبنسق معاهوعلى التسليم للحكومة نفسه ومعاهو كل بلوكة المكون من 50 راجل.

عبد الباري واصل كلامو عن كوكو، وقال: كوكو قاليهو إنو أربعين من الجهادية هربوا من المية بتاعتو والبقية ذاتهم فتروا من الحربوالهربو الآن راجعين للقضارف أو في الحلالوالكلام دا قبال خمسة أيام قبل من يوم أربعة نوفمبر.

(11)

قـال هنـتر وهـو بتذكـر: نـاس المخابـرات جابـوا لي إشـارة مسـتعجلة قالوا إنهـم مسـكوا درويـش مـن دراويـش أحمـد فضيـل وحصيلـة الاسـتجواب كانـت بتشـير ليأنـو في حـالات هروبكتـيرة في جيـش أحمـد فضيـل بالأخـص مـن الجهاديـة.

واصـل هنـتر وقـال: أتذكـر أنـو اسـم الدرويـش عليمحمـد الحسـن وأدانـا معلومـات عـن ربعفضـل الحسـن، ودا أقـوى ربـع في جيـش العـدو.

قال هنتر: عليمحمد الحسن الدرويش الأسيرقالينا إنو مجموع الجهادية في ربع الأمير فضل الحسن أربعمآية راجل وعدد الفرسان تلاتين فارس، وقالإنو العرب أكتر من الجهادية من قبايل البديرية، الرزيقات، الهبانية، التعايشة، الحوازمة.

الأسـير الدرويـش قـال لي نـاس المخابـرات: التعايشـة عددهـم حبةوبرضـو الجوامعة مـن كردفـان عددهـم أقـل في جيـش الأمـير أحمـد فضيلوأنوبرضـو في عـدد قليـل مـن الحريـم والأسر مـع الجهاديـة ماشـين معاهـم.

قـال عجـب سـيدو للإنجليـز: إنـو لمـن كان في بيتصاحبـو كوكوفجـأة ضربـت الأمباية بتاعت الأنصارومرق وشاف أحمد فضيل، وسأل من الزيطة قالوا ليهو إنـه تـم قبـض تلاتـة مـن الجهاديـة يتجسسـوا لصالـح قـوات الحكومـة الترك،وقـد أعلنـوا إعدامهـم في الحـال.

واصـل عجـب سـيدو، وقـال: اتكلمـت مـع كوكـو صاحبـي وحددنـا مـكان وزمـان نتلاقـى فيهوعشـان نسلمأنفسـنا لي قـوات الحكومـة. كوكـو حايمـشي في مهمتـودي بكـرة الصبـاح قـال.

(12)

وقال الدرويش المشارك في جيش أحمد فضيل: نفدنا من الترك بعد كتال في الدندر وانسحبنا جنوباً بعيد من القيفة لحدي الروصيرصالواطة بقت لينا أمان.

وصل الدرويش وقال: الكتلة حصلت لينا قدام في جزيرة اسمها الداخلة جنوب الروصيرص المكن صبّ فينا رصاص كتير استشهد منا رجال وأحمد فضيل طلع منها سليم.

وبعد الحرابة ديكقبضوني وشالوني للسجن، وبعد فترة من سين وجيم فكونا الكفار أولاد أم زقدة، لكن بيجي اليوم البنكاتل فيهو تاني.

قالها بصوت عالي وكورك وقام يا ناس الصلاة يا ولد املأ الإبريق.

وعلى البعد خلف البحار أحس قاليز بنعاس، وقال لمن حوله نواصل مرة تانية، وبحكي ليكم أنا فترت يا جماعة الخير.

***

معركة الروصيرص

من يوميات مفكرة المخابرات البريطانية عن السودان 26/ 12/ 1898م

معركة الروصيرص

من يوميات مفكرة المخابرات البريطانية عن السودان 1898/12/26م

(1)

قال عبد الواحد بيضجك دي من التاريخ غير المنشور والمنسي ذاتو،وأحكي بعد طول غياب، وها قد عدت يا سادتي للحكاوي من جديد.

ضحك عبد البين: خلاص يا الطيب صالح وضحكوا كلهم.

حاج الماحي: أي والله تشبه بداية قصة موسم الهجرة للشمال، الله يرحم الأديب الطيب صالح، وكل مبدعي بلادنا دي.

عبد الواحد: بتعرفوا للنظريات أقوليكم تاريخ منسي تعملوها قصص وروايات والله جنس محن.

عبد البين: أحكي والله قصصك مش ولابد ياخ مقضين بيها زمنا وضحكوا.

عبد الواحد: كنت حكيت ليكم عن الأمير أحمد فضيل وهجرتو من القضارف والأحداث في الدندر وأم الحسن وكركوج وسيرو الجعليين وسنجة صاح.

حاج الماحي: صاح مش ديل كلهم بيقولو عليهو خط الفونج.

عبد الواحد: أيوة كلهم واحد ومعركة الروصيرص أو الداخلةامتداد للقصة السابقة اتذكروها واربطوها يربطكم في الزريبة وضحكو كلهم.

عبد الواحد واصل وقال: وقصة جبل كلقو برضو في نفس الخط قريبة من الروصيرص.

أما معركة الروصيرص دي وقعت في النيل الأزرق في القيفة الشرقية وفي جزيرة تقع جنوبي مدينة الروصيرص اسمها جزيرة الداخلة، وأسع الجزيرة دي اختفت بعد تعلية خزان الروصيرص، المناطق الأثرية عندنا دائماً مهملة.

(2)

واصل عبد الواحد، وقال: كانت قوات الحملة الإنجليزية اللياندفعت من أم درمان وتستغل البوارج الحربية يقودها الجنرال هنتر وزي ما بيقولوا في الغنية القديمة: سايق ليهو هنتر وعامل فيها عنتر، وعنتر دا أقصد هنتر باشا أتحرك عشان يحتل أبو حراز ومدني وسنار وسنجة وكركوج والروصيرص وفازوغلي، والحملة دي سموها حملة النيل الأزرق.

حاج الماحي: الكترابة، دا كلو يحتلاهو سايق معاهو مليون عسكري أصلو، والله صحي عامل فيها عنتر.

عبد الواحد: أصلو الخواجات بحبوا المجازفات عشان الشهرة ما ياها جنتهم في الدنيا وضحكوا.

وصل عبد الواحد، وقال: كنت حكيت ليكم عن قوات المهدية اللي جاية من القضارف ماشة تلحق الخليفة عبد الله التعايشي في كردفان وبيقودها الأمير أحمد فضيل.

عبد البين: بالحيل كمل كمل دي ما سمعت بيها والكاشف أخوي دا أطرش وأعمى كمان واستغرقوا في حالة من الضحك.

قال عبد الواحد: كان على الأنصار أن يقطعوا من القضارف إلى نهر الرهد ويعبرواحظيرة الدندر ويجوا لحدي ما يقطعوا نهر الدندر، ومنها يصلوا النيل الأزرق ويقطعوا البحر ويعبروا بي جنوب الجزيرة الخضراء، ومنها لي النيل الأبيض ويقطعوا بحر أبيض، ومنها تووف لي سهول شرق كردفان يلاقوا الخليفة دي كانت خطتهم.

(3)

قال هنتر باشا قائد حملة النيل الأزرق في الوكت داك: كانتمشت على معركةأم درمان أربعة وعشرين يوماً،فيهااحتل الإنجليز الجزيرة والقضارف، ووصلت قوات مطاردة الخليفة بقيادة سلاطين باشا لي قرية الشقيق شمال الدويم، وتراجعت وكان مع سلاطين باشا جزء مقدر من قوات العرب الشرقية الأصدقاء.

وصل وقال هنتر: تحركت قوة بالبوارج الحربية تمشط النيل الأبيض بقيادة الكابتن كتشنر الصغير، ووصلت إلى الدويم، لكن آثار الخليفة تبخرت في فيافي كردفان، وما فضل في السودان النيلي غير قوات الأمير أحمد فضيل في القضارف، وقوة صغيرة للغاية غير ذات أثر مع عثمان دقنة، وكانوا متخفيين ذاتهم في رفاعة ومنها مشوا لي جبال البحر الأحمر.

سألو ضابط: يا كمندان يعني لسع في مقاومة؟

هنتر: لا هي جيوبصغيرة هنا وهناك في ود مدني وفداسي والمسلمية كل الجيوب دياستسلمت بعد ماعرفوا هزيمة الخليفة وتأثير الأسلحة الحديثة وقوة نيران البوارج الحربية الهائلة كانت تسبق زحف القوات الإنجليزية وتفت من عضد المقاومة.

السردار كلفني بتأمين وقيادة حملة النيل الأزرق بعد أن خلف كتشنر إبان مأموريته المشاها لي فشودة للنظر في التوسع الفرنسي، ودحرهم من وادي النيل، وبعد عودته أصدر أمراًلي بأن يتحرك لإجلاء، وهزم الأمير أحمد فضيل في القضارف والنيل الأزرق.

(4)

أها قولواإنو معركة الروصيرص أنهت وجود أكبر قوة معادية مسلحة في السودان النيلي وقوة الأنصار كانت زي أربعة آلاف راجل مقاتل من قبائل كتيرة، وانضموا ليها جزء فلول الأنصار اللي جو جارين من معركة النخيلة اللي وقعت جنب نهر عطبرة وانهزموا فيها.

قال عبد الواحد: جزء كبير من الدراويش سلم أنفسهم في الرحلة الطويلة لأنو البوارج الحربية كانت بتسد في النيل الليل مع النهارمع الهجانة والفرسان، إضافة لإنعدام الأكل وفصل الخريف في نهايتو الدنيا شهر تسعة، وما أدراك بي مطر شهر تسعة وعشرة في الجزء دا من بلدنا.

عبد البين: أمس في القصة الفاتت ما قلت الجهادية سلموا وحاربوا ضد أحمد فضيل، ولّا نسيت يا حاج.

عبد الواحد: ما نسيت صبرا يبل الآبري وينقع القرض ما معاك، والله إنتو عليكم شفقة ما بعدها شفقة أصلو، وضحكوا كلهم على تعليق عبد الواحد.

عبد الواحد واصل، وقال: لكن كان في عدد كبير من الجهادية اللي شافوا المكن ونارا في النخيلة، وما كان عندهم حماس يحاربوا تاني من جديد، وبقى الجيش بتاع أحمد فضيل كل يوم ماشي ناقص، لكن برضو هو كان عازم ومتقدم عشان يلحق بي الخليفة عبد الله التعايشي في كردفان ويحاربوا مع بعض من جديد.

واصل عبد الواحد، وقال: أما الناس بقوا مختلفين في المهدية واحدين بيقولوا مهدية وانتهت، وتانيين ماسكين في كلام المهدية وعازمين على المقاومة، وواحدين شردوا دقشوا الخلا والصي.

عبد الواحد: لكن في النهاية طلع أحمد فضيل ومعاهو سبعة من أخلص أعوانو اللي مات، واستشهد في المعارك الجانبية واللي سلم وخلاص، واللي انضم للإنجليز زي شيخ أبكر لما رجال كتار من جيشأحمد فضيل وحارب بيهم، غايتو في جنس قصص منسية في بلدنا دي.

(5)

قال عبد الواحد: وكانت المعلومات الاستخبارية التي تحصل عليها قلم المخابراتالمتقدم مع قوات كتشنر باشا بقيادة ونجت باشا، كانت تفيد أنو الخليفة كان يتوقع أن الهجوم حا يكون من محورين محور شرقي جاي بي اتجاه كسلا،عشان كدا خلّى قوات الأمير أحمد فضيل وماشركهم في معركة كرري.

حاج الماحي: كلامو وتقديرو صاح لأنو قوة بارسونيز هاجمت القضارف. وبرضو مرة حكيت لينا عن تقدم نص الكتيبة الخامسة المصرية بقيادة عبد الجواد برهان من سواكن لي بربر.

عبد الواحد: برافو بقيت بروف عديل والله ياحاج الماحي.

وكمان جيش نيلي جاي من الشمال في طابورين محورعلى النيل البوارج الحربية ومحور على البرالقوة الرئيسية مشاة وخيالة،عشان كدا كانت قوات أحمد فضيل تتمركز لتغطي المحور الشرقي، وتحمي ضهر الخليفة في حال وجود تهديد شرقي.

(6)

قال عبد الواحد: الواقع أن نصف الكتيبة المصرية الخامسة بقياد البكباشي برهان جواد قد تقدمت من سواكن في عشر وثبات من سواكن إلى بربر، ودي أول قوة تشقالطريق دا بعد انسحابالأمير عثمان دقنة لي أم درمانعشان يشارك في المعركة الرئيسية كرري.

حاج الماحي: عليالطلاق الناس ديل ماشين وقلبهم في يدهم بيكونوا ميتين من الخوف.. يا زول عثمان دقنة ما بتقابل، والمثل بيقول ما تجرب المجرب، والشيخ فرح قال القدر ما تهاظرو، وضحكوا كلهم من كلامو.

عبد البين: خبر نص الكتيبة الخامسة دا مذكور وين يا شيخ عبد الواحد.

عبد الواحد: كتبو الإنجليز في التقرير رقم 60 ملحق تقدم نصف الكتيبة الخامسةالمصرية من سواكن لي بربر.

واصل عبد الواحد، وقال: القوة الثانية تحركت من كسلا بقيادة الكابتن بارسونيز عشان تحتل القضارف واشتبكت مع قوات الأمير سعد الله اللي خلفه الأمير أحمد فضيل حاكم للقضارف، وبعد انسحاب أحمد فضيل لي كركوج ومنها إلى قرية حور أم الحسنجنب مدينة الدندر الحالية زي ما قلنا قبال كدا.

(7)

عبد البين قال: الإنجليز قالوا كل ما مرت قواتهم بعد كرري في مدينة أو قرية الناس تصفق ليهم عشان خلصوهم من المهدية، وتتجمهر، وتبارك ليهم نصرهم دا.

قال عبد الواحد: الواقع كانوا في ناس فرحانين وناس خايفين، وناس لابدين عايزين العاصفة تمر، واعتبروها استراحة محارب، المهم كلو ناس فوق رأيهم، وضحكوا من تعليق عبد الواحد.

واصـل وقـال: الوكـت داك أحمـد فضيـل خـلى في القضـارف النـور ود عنقـرة ومعاهـو الأمـير سعد الله الأنصـاري، جيش الكابتـن بارسـونيزقربو يهزموهـو التفـوا ليهـو مـن الخلـف، لكـن المعركـة قلبت وانهزمـوا واضطـروا يستسـلموا لأنـو المهديـة هزمـت في كـرري، وكان قصـة يواصلـوا بـلا إمـداد صعبـة للغايـة خالـص.

حـاج الماحـي: مـا قـصروا سـووا العليهـم وماتـوا رجـال مـش زي نـاس قريعتـي راحـت ديـل.

عبد البين: إنتو قصة مثل ناس قريعتي راحت دا قصتو شنو؟

حاج الماحي: ها زول خلينا في قصتنا يحكوها ليك المرة الجاية وضحكوا.

عبـد الواحـد: أمـا أحمـد فضيـل طلـع عشـان يحصـل الخليفـة بي جيشـو، لكـن الحركـة التقيلـة والنـاس الكتـار والشـفع والنسـوان والبحـار القدامـو، ومكـن الإنجليـز خلوهـو وصـل بي سـبعة مـن رجالـو مـن أصـل أربعـة آلاف أنصـاري.

حـاج الماحـي: كان الله يرحمـو مكشـوف في تحركاتوكلهـا، وفي نـاس ببلغواعنـو محل مـا قبـل، لكنـو واصـل هجرتـو، ومـات جنـب الخليفـة في أم دبيكـرات ومـا رضـا بالاستسـلام.

(8)

عبد البين:أحكي عن دخول الإنجليز للروصيرص.

عبـد الواحـد: الإنجليز لمـن وصلوا الروصـيرص لمـت فيهـم حمـى ولّا وِردةغربيـة خـلاص كانـت قـوة الإنجليـز متـين وخمسينعسكري منهـم متـين رقدوا سـلطةبالحمى منهـم، وعـشرة لحقـوا أمـات طـه، ماتـوا زت ودفنوهـم في العـوالي بتاعـت الليلـة جنـب المستشـفى قريـب لحـي القـرشي ومبنـى الحكومـة المركـز بتاعالبوليـس في الروصـيرص يـاااخ.

حاج الماحي: ديل ما انقرضو قرضة غنم رحمة.

عبد البين: والله أمثالك دي عجيبة وغريبة يا حاج الماحي شغل دراويش جد.

عبد الواحد ما اشتغل بي مناقرتهم، وقال: عشان كداالجيش الإنجليزي قرر يمشيجبال فازوغلي وتكون الحامية هناك لأنو الهواء والجو حلو. أنا شفت جبل فازوغلي بس جبل لمن تقرب منو تقول براهو بملأ السماء من حجمو الكبير خانق البحر، وعاصر الضهرة، وكانت فيهو مملكة قديمة عندها قصص بحكيها إن ربنا مدّ في الآجال.

واصل وقال عبد الواحد: لكن الحامية الإنجليزية في الروصيرص يوم 10/10/1898م قامت وعملت مقاس لي بحر أزرق، واعتبروا أول مقاس وأي زيادة ولا نقصان بتتحسب من اليوم داك عليها.

عبد البين: يعني استاندرد عديل كدا.

حاج الماحي:محن الكفار بحسبوا في مويتنا وعرقنا ويكتلوا رجالنا، غايتو الله غالب بس.

(9)

عبد البين سأل عبد الواحد: يا حاج عبد الواحد إنت قبال دا قلت قصة شيخ أبكر وانقلابو على سيدو الأمير أحمد فضيل، أها تم لينا قصتو ياخ.

عبد الواحد قال: شيخ بكر قالوا من الهمج وناس قالوا من دارفور، والراجح إنو من دارفور، والمهم هو جاء من الأبيض وعليهو سمو ديم بكر في القضارف، دا كان من أمراءجيشأحمد فضيل وانسلخ منو، وبقى الأخطر عليهو، لأنو عارف أي حاجة وبأثر في الأنصار، وكان بيقول مهدية وانتهت الميتين ليهو

شنو؟ وكمان حارب مع الإنجليز في معركة الروصيرص، وكان خبير بالشوارع وعارف ممكن جيشأحمد فضيل برتكز وين وبيعمل شنو..

حاج الماحي: لا حولا ديل أعوان الاستعمار والدمار.

عبد البين: الراجل عاقل حسبا صاح ووقف مع القوي والصاح بلاش مرقع وجبب معاك.

قال عبد الواحد:كانت معلومات شيخ أبكر ذهبية عرت قوات أحمد فضيل، وكشفت عن أعدادها وتسليحها، وماعندهم من خيول وحمير وموقف المؤن والذخائر.

عبد البين: خلاهم في السهلة المعنى يعني.

حاج الماحي: خيانة غير مشروعة وضحكوا.

عبد الواحد: كمانإنو رجال شيخ بكرنجحوا في استقطاب ناس كتار من جيشالأمير أحمد فضيل، وقاموا بعمليات الاستطلاع، ومراقبةتقدم أحمد فضيل، وكمان هاجموا مؤخرةقوات أحمد فضيل التعايشي.

حاج الماحي: المعنى عذبوهم عذاب الفيلة.

عبد البين: والله إنت حبوبة بتاعت أمثال، قلت لي عذاب الفيلة كمان.

الكتلة في معركة الداخلة أو الروصيرص لمن وقعت استمرت من الصباح لي تلاتة ضهر نار في نار والإنجليز ورجال الشيخ بكر ما خلوا حتة ما ملوها نار كثيفة،كانت البورج بتضرب من البحر من مواقع ضرب نار جيدة والأنصار بقاوموا بي حماس، لكن الله غالب في النهاية مرق أحمد فضيل ومعاهو 22 من رجالو، مرقوا عوم، المثل بيقول الراجل يا كراعو يا ضراعو، وديل ذاتهم بقوا سبعة في النهاية..

(10)

عبد الواحد: قولوا كدا الأنصار بعد معركة جزيرة الداخلة أو الروصيرص الإنجليز حسبوا الشهداء الأنصار لقوهم 500 شهيد وقبضوا2127 أسير، ديل سلموا أنفسهم، و576 بندقية هلكانة ومهلهلة والإنجليز كتلنا فيهم 41 وفي 145 انجرحوا، وكان قائد المعركة كولنيل لويس ومعاهو ميجور فيرغسون، ومعاهو الميجور بارسونيز.

حاج الماحي: الله حي، ربنا يتقبلهم جميعاً.

ضحك عبد الواحد وقال: الميجور فيرغسون مصيبة نقلوهو بلاد النوير اغتصب بت من بنات النوير.

عبد البين: يا زول دي عند الإنجليز جريمة.

عبد الواحد: وكتلوهوأهلها بالحراب طعن.

حاج الماحي: أهاااياها القصة الزمان اللي قلتها ذاتهاا، أنا أخوك إنت، وبي سببو قامت ثورة النوير.

عبد الواحد: أصلو كل ضباط حملة السودان ماتوا بي طرق غريبة حتى كتشنر غرق في البحر، وما تلقى جثمانو، وقول عيبيك.

هوي تلقى هسع البوليس الحربي بتفتش لي وعامل لي أمر قبض وضحك.

حاج الماحي: والله مثقف وحكاي إلا عيبك خوفك من الولية.

عبد الواحد: الما بخاف من مرتو الضحك شرطو، وضحكوا كلهم.

وبقى عبد الواحد مارق وظهرت العازة في نهاية الشارع وصاحبنا سرع من خطوتو والجماعة تموها قرقراب.

***

عثمان دقنة أمير الشرق

مسمار مربع في خرم مستدير

عثمان دقنة أمير الشرق
مسمار مربع في خرم مستدير

(1)

عن الأمير عثمان دقنة أمير الشرق جلست أحكي لي أصحابي، وأنا مستشعر ذكراه العطرة وفضايلو الجميلة، والله أحس بالفخر إنو الأسد دا بشيل بي يدو ريسين العدو، وهو مفخرة لي كل سوداني اختلف معاهو ولّا اتفق.

وهو العمل العمايل وكسر المربع الإنجليزي عنوة واقتدار والمربع، غلب نابليون لمن حارب الإنجليز في معركة واترلو الشهيرة على الرغم من أنو عثمان دقنة ما دخل كلية حربية من أصلو.. قالها عبد الواحد زي التكنو بيرمي في دوبيت، ولا بيغني براهو، وهو بيحكي في قصة عثمان دقنة أمير الشرق.

بيحكي عبد الواحد عن عمليات الأمير عثمان دقنة، وقال: كان الجنرال جراهام باشا يقود جيشه في البحر الأحمر ومعاهو أعظم الضباط البريطانيين في الوكت داك ومعاهم أحدث أنواع التسليح كانت معاهو.

حاج الماحي: الرجل الله يرحمو كان فارس.

عبد البين: الفارس دا لكن باعو راعي.

عبد الواحد: ياخ تشي جيفارا برضو باعو راعي المشكلة وين دائما عاين للجانب المشرق في القصة اختلفت معاها ولا اتفقت يا عبد البين.

عبد البين سميناها رضينا أحكي ياهو قصص من اتلمينا.

عبد الواحد: نحن بنحكي في المنسي في تاريخنا ودي عشان ننور الأجيال الجاية التاريخ ما للحكي، التاريخ بكرر نفسو، ومنو ممكن نطلع بي منهج علمي لترتيب المستقبل.

واصل عبد الواحد وقال: الأمير عثمان دقنة عندو تاريخ طويل من الانتصارات العسكرية، وكان ماكر ومخادع برضو،أهاااا الإنجليز لمن عجزوا عن عمل حاجة مفيدة مع الثعلب العجوز أمير الشرقلقوا مافي حل غير جراهام.

حاج الماحي: وجراهام دا منو كمان؟

عبد البين: ياخ ما بتعرفودا من أعظم جنرلات الجيش البريطاني وكتها.

عبد الواحد: أيوة هو جنرال إنجليزي كان من عصبة بسموها المنتصرين دوماً، ديل ضباط قادوا جيوش وقهروا العالم،أصلو ما جو منهزمين كلو، وكانوا زي ما بيقولوا نجوم في جيش فيكتوريا بودوهم للحتات اللي فيها أزمات واللي بتغلب الرجال عشان يحققواأهداف بريطانيا التوسعية في الوكت داك.

(2)

واصل عبد البين ورفع كتابو القديم وبقى بيقرأ بي صوت عالي، وهو بيشرح لي أصحابو وقال: في بريطانيا طلعت الحكومة قرارها بأنو يمش الرجل القوي إلى السودان الشرقي استدعى جراهام باشا عجل، وهو جنرال مرموق من عصبة الضباط المنتصرين دوماً، وهم مجموعة من الضباط قادوا جيوش بريطانيا ورفعوا اسمها واستعمروا شعوب العالم.

سكت عبد الواحد شوية، وقال وهو بيضع الكتاب بي جنبو وقال: وهم في نظري ليسوا إلا قتلة وسفلة محترفين من ناس الخمور اللندنية العتيقة ومرتادي الرذيلة وعشاق النساء، شردوا شعوب كتيرة واستعمروا دول كتيرة تفوق بريطانيا في مساحتها وشعبها. أهااا الجنرال دا بي انتصاراتو رسلو عشان يؤدب الأمير عثمان دقنة، ولمن وصل نزل في جزيرة سواكن في شرق السودان معاهو قواتو، ولقيإنو حدود سواكن حصونها بس، وكان عثمان دقنة يحاصر سواكن وماف رجل ود مرا بيطلع برة سواكن، والبيطلع بيلقى حراب البجة في صدرو.

(3)

قال عبد الواحد في فخر عن بطل الشرق اللي حير الإنجليز: إنو قبال ما يصل جراهام لي سواكن حاول العقيد كتشنر باشا اللي كان حاكمً لسواكن واللي سموهو فيما ما بعد (لورد أوف خرطوم)، وهو اللي هزم الأنصار في معركة كرري، كان حاول قبال كدا أنو يخرج لي البر ليطرد قوات الأنصار ويوسع محيطها الأمني ويطرد البجة المحاصرين لي سواكن.

حاج الماحي: أهااا وحصل ليهو شنو معاهو الكافر ود الكلب دا؟

قال عبد الواحد: كتشنر باشا أول ما من جزيرة طاردتو قوات عثمان دقنة وهزمت جيشو واضطروا يهربوا من قدامو وانضرب كتشنر باشارصاصة في حلقو، الدكاترة بتاعين سواكن ما لقوا ليها حل طبي غير يبلعها. وبعداك ما حاول الإنجليز على الخروج من سواكن كلو كلو.

حاج الماحي: حسبها لعب وضحك.

عبد البين: أنا عندي قناعة لو كان عثمان دقنة قائد كرري ماكانت تكون ستة صفر، لكن أمر الله نافذ يا جماعة.

عبد الواحد: ماقلتإلا الحق يا عبد البين.

حـاج الماحـي: سـبحان الله أول مـرة تقـول كلام يعجـب يـا عبـد البـين الظاهـر عليـك عاجبـاك سـيرة وأعـمال الأمـير عثـمان دقنـة.

عبـد البـين: الحـق حـق الراجـل دا أنـا معجـب بيهـو.. واصـل يـا عبـد الواحـد خليـك مـن الدرويـش دا، وأشـار بي صباعـو لي حـاج الماحـي وانخرطـوا في ضحـك عجيـب.

(4)

قـال عبـد الواحـد: الجنـرال جراهـام زول جاهـز كان، المهمإنـو قـرر يسـتخدم تكتيـك قـوي قبـال مـا يمـرق مـن سـواكن، وهـو إنـو يفعـل شـغل المعلومـات، ويهتـم بي عمـل المخابـرات، وقعـد يراجـع في أي معلومـات عـن شرق السـودان مـن الأرض والمنـاخ والقبائـل الموالـية والمعاديـة ونقـاط قـوة الأنصـار ونقـاط ضعفهـم المهـم عمـل تقريـر نظـري مـا يخـر مويـة، وكـمان راجـع أسـلوب عثـمان دقنـة الحـربي والمعـارك الـلي خشـاها.

حاج الماحي: كلو ما بحلو ياخ.

واصـل عبـد الواحـد في كلامـو بعدهـا قـرر أن يطلـع بي جيشـو في هيئـة مربـع عسـكري عشـان يضمـن تماسـك قواتـو وكثافـة نيرانهـا، ويخـت القيـادة والسـلاح الطبـي والإمـدادات في الوسـط وكـمان، ويؤمـن بـر سـواكن وخـرج في مربـع عتيـد هـي تشـكيل عسـكري إنجليـزي رهيـب عجـز نابليـون بونابـرت أن يكـسروا في معركـة واترالـو المشـهورة في التاريـخ الإنجليـزي قالهـا عبـد الواحـد، وهـو بتبسـم بي خبـث ظاهـر في عيونـو.

عبد البين: الـزول دا وكـت قـرأ أسـلوب دقنة وأخـد وكتـو مـا عـرف إنـو الـزول دا مـكار.. يـاخ دا الوحيـد الـلي بحترمـو العـدو وكل النـاس لأنـو مميـز في أسـاليبو الحربيـة وضحـك عبـد البـين وباقـي المجموعـة.

الجنرال جراهام مرق من سواكن وهو بيقول للضباط المعاوبي فخر عجيب إنو قصة دقنة بنتهي منها، والمسألة وكت بالنسبة لي، وأنا البأدبو، وكت ما لقى البأدبو، وبيعرف جيشي وأكيد بريطانيا جرائدها بتكتب، وناس ونساتها بيلقوا موضوع يحكو بيهو.

واصل عبد الواحد بيحكي، وقال: إنو جنود الملكة فيكتوريا اللي نزلوا في سواكن كانوا منظمين ولبسهم زاهي، كان الكاكي بتاعهم موحّد وشايلين بنادق القرابين القصيرة وسيوف السنج الإنجليزية اللي بتلمع ومدفعية تقيلة يركب فرسانهم خيول مدربة متعودة على الحرب، وما عردت قدامعدو الجيش دا منتصر طوالي.

قرأ عبد الواحد من كتابو، وقال: وقف جراهام وقال (إن الزرارة واحدة نحاسية في جيب أقل عسكري عنده تساوي تجهيزات قوات دقنة كلها)، وواصل، وقال وهو بيقرأ بلغ بيهو الحماس جراهام قال: إنو قواتو لن تؤمّن بر سواكن، ولكن ستفتح إلى مدينة بربر وتؤمن مساحة كبيرة فهم أيقونة جيش الملكة من الرويال سكس والبلاك ووتش وقوات البحرية الإنجليزية، ويعاونهم فرسان شجعان والقوة لا تضم مصريين بؤساء ولا سودانيين أشقياء، أقلهم قوات هندية ومن البنغال، وهم ساسة الخيول والنصر مضمون فهم في نزهة قصيرة في أرض الشرق، وأن من يسمونه أسد الشرق سيفر أمام زحفهم المطرد، وأن غبارهم كفيل برفع راياتهم المنتصرة دوماً.

(5)

ماكانعارف الجنرال المافون أنو أرض البطولاتماانتصر فيها شقي أو عدو، وأنو ثعلب الجبال الأمير عثمان دقنة ينتظر برجاله الحفاة ذوي الشعر المجعد، والذين هم من طوع الجبابرة وكسروا غرور الإنجليز والمصريين ببراعة، وفي خفة غير معهودة خالص.

حاج الماحي: الفوشار بتاع الإنجليز لمن يحكوا عن عظمتم دا ما بخلوه أصلو، هو بعد ما قلته قرأ وسمع الباقي يشوف الما شافو في حياتو، والله قصص.

عبد الواحد قال: البجة كانوا أصحاب الأرض والجمهور، وإنو خطط دقنة عجز كل من وقف قدامها، فقد كان دقنة محارب غيور ومخطط لا يشق له غبار ومعاهو رجال فرسان الشرق اللي عندهم سيوف ماضية وحراب جربت دماء العدو، وكمان خفاف ونشاط، ياخ ديل أسرع من خيول الإنجليز وبيعرفو للمناورات والهجوم المتواصل في شكل موجات زي موج البحر الأحمر من اتجاهات مختلفة، وبي طريقة المفاجأة والهجوم من الخلف.

وقال عبد الواحد: البجة متعودين على الحر والعطش والجوع، وعندهم صبر يحير، وإنهم صدوا كل غازي حاول في أرضهم يهزموا من محاولات الفراعنة، وكل من جا بعدهم من القادة ما قدروا عليهم.

(6)

في نفس الوكت كان عبد المحمود من أعيان سواكن اللي رحلوهم الإنجليز سنة 1910 بعد عملوا ميناء بورتسودان بيحكي عن تاريخ سواكن وعظمتها والأحداث في شرق السودان في أيام المهدية وسيرة عثمان دقنةلي مجموعة من شباب البجة عن حملة جراهام والأيام ديك.

أوشيك اتكلم، وقال: لكن يا ياعم عبد المحمود سواكن كانت مهمة عشان كد جابو ليهو قائد وجيش كبير.

عبد المحمود: أيوة سواكن كانت فيها تجارة وبعدين لو مسكها عثمان دقنة بيهدد مصالح إنجلترا ومصر والملاحة للهند، أسكت ساي على وجع سواكن خربوها الإنجليز، عشان يمحوها من التاريخ، ودا حقد منهم ساي على خيباتهم العسكرية في شرق السودان كلو.

عبد المحمود قال: طلع جراهام وجيشو في تشكيل المربع الإنجليزي القوي في زهو عجيب والقوات الحارسة أبواب سواكن فتحت الأبواب لأول مرة من زمن طويل.

سواكن ابتسمت ليهم وهي بتودعهم واطمأنت القاهرة ولندن، وقالو إن ظاهرة عثمان دقنة وجيشو مسألة وقت فقط، خرج الفرسان وخلفهم المربع وفي وسطه القيادة والمحمولات وساسة الخيول وعلب اللحم المعلب من البلاك بيف وخمور البراندي والشري، وفرقة موسيقية تعزف في ألحان أعياد الميلاد والمقطوعات الإنجليزية العريقة للجبال اللي كانت قدامهم،وكانو متأكدين من النصر وشغالة الفرقة تعزف موسيقى القرب عاملة زيطة وزمبليطة كان حفل كبير.

قال عبد المحمود: إضافة لي جمال نقل الموية والذخاير والخيام وفرقة طبية والشرطة العسكرية لاعتقال الأسرى من أبناء الشرق طلعوا على المارشات العسكرية والغبار يفتح أمامهم نفاج في مغامرة صغيرة مضمونة.

واصل وقال: الكل يترقب اشتباك تطبَّق فيه نظريات كلية سانت هيرست العسكرية ويرجعوا بقصص يضيفوها في سيرتهم وأعينهم على أوسمة الملكة فيكتوريا اللي حايضيفوها إلى صدورهم المثقلة بمداليات عديدة من حرب البوير والماساي والهند وجنوب إفريقيا ويوغندا، وغيرها من المعارك السهلة اللي خلوا جثث عدوهم للصقور والهوام.

وكلهم يتخيلوا القصص اللي ممكن تكتبها الصحافة الإنجليزية زي صحف التايمز وذي استاندرد وصحف أمريكا كلها ومعاها الجرائد المصرية تتطلع لصور عثمان دقنة مقتولاً ببنادق القرابين أو سيوف السنج الإنجليزية أو مربط بي الحديد وماشين بيهو على السجن.

أوشيك ضحك وقال: والله إنتو صاف وصف التقول كنت معاهم.

عبد المحمود: ضحك وقال سيرة عثمان دقنة كلها عجائب ومقالب يا ولدي.

(7)

عبد الواحد استعدل في جلستو، وقال: في الوكت داك في كتاب اسمو سودان هاند بوك دا كتاب فيهو مقالات وتوثيق للحياة السودانية، وبلقى الضباط فيها إرشادات عن البلد، ويمكن تكون فيهو ملاحظات قيمة.

عبد البين: الإنجليز ناس توثيق مميز بكتبوا أي حاجة ماعندهم حاجة منسية، فعلا سودان هاند بوك فيهو كلام مميز،أنا شفت نسخة منو إنت قريتو يا حاج عبد الواحد.

عبد الواحد: الشي ما بتقري كم جزء والكتاب الواحد أكتر من ستماية صفحة المهم أنا قزقزته فيهو، ودا ما المهم، المهم إنو دقنة كيف استفاد من ملاحظات الإنجليز عن السودان، وكيف وظف الكلام دا في حروبو ضدهم، ودي عبقرية عثمان دقنة، ودي الحتة اللي عايز أركز عليها.

(8)

عبد المحمود استطرد وقال: في يوم الثلاثاء 1884/ 3/ 14م طلعت القوات الإنجليزية بي قيادة الجنرال جراهام عايزة تحرق وتدمر معسكر الأمير عثمان دقنة وتنتهي من إزعاجو.

كان القرار مهاجمة الأسد في عرينو في قرية تاماي وكانت معلومات المخابرات بتقول إنو عثمان دقنة معاهو قوة صغيرة وسلاحها السيوف والحراب ومعنوياتهم ضعيفة وأمورهم بايظةوأي ضربة بتكون قاضية.

أوشيك: يعني دي نظرية الضربة القاضية في الحتة الفاضية، وضحكوا كلهم من كلام أوشيك.

عبد المحمود: أيوة، لكن وصفك عجيب ياهو ذاتوو.

واصل عبد المحمود، وقال: الإنجليز كانو عايزين أنو يجيب وتارهم ويرفعوا كرامة بريطانيا في معاركها السابقة ضد البجة اللي فقدوا فيها أعداد كبيرة من رجالهم وسلاحهم وعايزين يرجعو سمعتم وخبرتم بأي تمن اللي فقدوها في معارك شرق السودان.

أوشيك: دا درب حار وملان نار ما بقدروا على عثمان دقنة والبجة.

عبد المحمود قال: عسكرت قوات الجنرال جراهامجنب حلة التاماي وعملوا زريبة كبيرة محمية بالسلاح والمدفعية.

كان أي قرار من عثمان دقنة بي الهجوم المباشر على الإنجليز بيعني الموت، وهم زي حق كرري عشان كدا خت خطتو بي مهارة وسرعة كبيرة، ودا الجنن عبد القادر ذاتووو.

وقام عثمان دقنة بالشغل بسياسة عدوك سهرو ولا نومو،فكان بضرب بي البنادق في معسكر الإنجليز بكميات نيران ثقيلة في الليل من كل الاتجاهات واللي بيضرب بيختفي زي البعاتي في الظلام، ودا نفس تكتيك الأمير محمد عثمان أبوقرجة اللي اشتغل بيهو في وقت سابق مع قوات الجنرال هكس الذي ما اتهنأ بليلة ينوم فيها مطمئن.

أوشيك: ياخ الكلام دا اتعلموا من وين البجة هم ناس مواجهات بشيلو الرأس برة عينك يا تاجر دا كلام يحير الله يرحمك يا دقنة كان عسكري بي الفطرة.

عبد المحمود: بقى الجيش الإنجليزي يرد على رصاص رجال عثمان دقنة بإطلاق أعيرة ظلامية وهوائيةفي اتجاه العدو والشجر والقمر والجبال، وما

وقفت الرصاص الناري إلا يسمعوها في جهة جديدة من المعسكر بتاعهم في اتجاه آخر من المعسكر، وفجأة تدور النار بي اتجاه تاني.

عبد الواحد قال وهو بتبسم بي خبث: كان للحركة دي فعل السحر، فقد خوفت الإنجليز وساهرت بيهم سهر جد وعرفوا إنهم بيحاربوا في أشباحما بشر زيهم.

عبد المحمود واصل، وقال: كانت أطول ليلة والإنجليز زعلانين عايزين الواطة تصبح عشان يتقدموا من معسكرهم اللي طفو فيهو أي نار، والكان صعب لمن ينضرب جمل من جمال الشيل أو حصان يهيج ويجري ويعفص الإنجليز اللي ما لقو حل غير ينبطحوا في الواطة، راجين الشمش تطلع عليهم، وينتقموا من الأنصار ويقطعوا دابرهم لكن ليل الشرق بقى ليهم طويل خالص.

(9)

عبد الواحد بقى يضحك ويحكي كانو في نص اليوم داك يتكلم بي يدينو ويرفع صوتو ويخفضو، وهو بيقول: الإنجليز في فهمهم إنو المقابر بتعني رايات على قنا وأكوام تراب وشدرات وإنو السودانيين ما بكاتلو فيها، كانت برضو فيهو معلومات عن الجغرافيا والانثروبولوجيا والعادات اللي بتقول إنو مقابر بتعني وضع استراحة للجيش وإنو عبورها آمن وإنو أرض المعركة فيها عبارة عن نزهة قصيرة.

في الصباح أمر الجنرال جراهام تشكيل مربعين عشان يتقدموا الأول بقيادة جون ديفز والتاني بقيادة الضابط المشهور بحبو للقتال بالسيف، وهو ريدفرز. كانت الأوامر تقضي بأن يقاتل كل مربع منفرداً عشان يقللوا الخسائر وعشان يكونخط ضربنار طويل، ودا بيمكن من تطويق وحصار قرية التاماي واللي تقع على وادي تحيط به الأشجار والصخور وعزيمة رجال عثمان دقنة.

واصل وقال: تقدمت قوة الاستطلاع المكونة من الفرسان في نص المقابر، وهم في حالة نشوة يستطلعوا الأرض، فمرق ليهم من المقابر والشدرات فجأة ناس عثمان دقنة، وكانت المسافة بينهم صغيرة للغاية وكانوا متلبدين كويس وعاملين كونفلاش مع الواطة والشدر.

وبي سرعة هجموا وجربوا فيهم الحراب والسيوف في الفرسان ومن هول الصدمة عرد فرسان الإنجليز لي جوة المربع القدام، وبي ذات السرعة جرى معاهم رجال عثمان دقنة بنفس سرعة الخيول كلهم دخلوا سوا مع الفرسان، المربع كل من فيهو بقو مندهشين واتسمروا من المنظر العدو والصديق جايين عليهم بي سرعة واحدة يضربوا لا لا ما يضربوا لا لا.

يضربوالا لا ما يضربوا لا لا، لحدي ما كتمت فيهم.

(10)

قال عبد المحمود لي شباب البجة اللي بقوا بيسمعوا ما عايزنو يوقف أصلو: من هول الصدمة اتحير جيش الإنجليز في المربع إن فتحوا النار بضربوا الفرسان ورجال دقنة مرت دقائق عصيبة ثمينة من الدهشه، كان وقتها عثمان دقنة ورجاله كسرو الضلع الأمامي للمربع وبقى العدو والصديق في التحام سيوف البجة السريعة شغالة بتر وكسر وطعن في الإنجليز اللي ما هزمو كلو كلو.

أوشيك: وين القيادة ووين سيوف السنج والشجعان وفراسة الإنجليز.

عبد المحمود: عثمان دقنة استغل معارف الإنجليز وكسر المربع بي سهولة ويسر.

واصل عبد المحمود وهو بيحكي بعد ما ختّ فنجان القهوة وقال: وبعدها حسم الإنجليز الموقف إن وقفو كدا ناسهم بموتوا، وإن ضربوا نار بموتوا لكن أمر الجنرال جراهام بضرب النار على العدو والصديق، وبدأت البنادق تحصد الإنجليز والفرسان ورجال عثمان دقنة.

أوشسك: آاوووو شايب اشتغل.

(11)

تقدمت قوات البلاك ووتش في المربع الأول وهي تطلق نيرانها مسرعة ودا فتح ثغرة ثمينة من بين القوات اللي خلفهم. الثغرة قبال ما يغلوقوها كانت قوات الأمير عثمان دقنة مرقت من تحت الواطة من الشقوق والحجارة وجري وملت الثغرة، فبقى يكورك الضباط وقائدهم جراهام، لكن وين ياا كانت الأسود طلعت خلاص ودا اللي خلى قوات المربع التاني،تطلق نيران على العدو أم الصديق ولّا تعاين ساي ودا الزمن اللي كانو محتاجنو أسود الشرق قالها وهو بيضحك.

واصل عبد الواحد قال: قوات دقنة الخفيفة والسريعة اندفعت في الثغرة ضربت قواتالبلاك ووتشفي الميمنة وقواتاليوركشير وقوات الانكستر في الميسرة، وشتت المربع الأول المتقدم وقاموا بالهجوم على المؤخرة اللي تحميها قوات البحرية الملكية، وبقى كل عسكري إنجليزيقاتل لوحده وعمت الفوضى.

وتزامن دا مع هجومين من الجانبيناليمنى واليسرى، وكأن القصف الذي حرق الوادي كان قصفاً عشوائياً وتحللالمربع الأول في كيمياء الشرق وسحره ولم وما قدر المربع الثاني إلا إنو يتفرج مذهول في المعركة الخاطفة، ولم يطلق سلاحه لدقائق مهمة في عمر المعركة كان أنجز رجال عثمان دقنةفيها المهمة، وفقدت كرامة إنجلترا وسمعة الجنرال جراهام أصبحت تحت أرجل أدروب السودان.

اضطـر الجنـرال غراهـام للجـري بأقـصى سرعـة، كـما تعلمفـي كليـة سـانت هيرسـت الحربيـة (المرعبة)احتمـى في المربـع الثـاني، وبقـى عبـد الواحـد والمعاهـو بيضحكـوا بي قرقـراب شـديد.

واصـل وقـال عبـد الواحـد: جراهـام اضطـر يجـري ويحتمـي بي المربـع التـاني، ومـن مـا وصـل المربـع التـاني سـالم أمـر بإطـلاق النـار عـلى العـدو والصديـق، وهـو قـرار جبـان لكنـو اتخـوف مـن تكـرار التجربـة القاسـية مـع المربـع التـاني. وكـدا حصـد الإنجليـز رفقـاء السـلاح في المربـع الأول المكسـور.

لكـن المدهـش أن قـوات الأمـير عثـمان دقنةفـور فتـح بنـادق ومدافـع المربـع الثـاني النـار تبخرتوانسـحبت سريعـاً لتـترك الأخـيرة الإنجليزيـة تنـال مـن الدمـاء الزرقـاء الإنجليزيـة، وينتهـي الـشرف العسـكري وكل نظريـات الحـرب والزمالـة ومفهـوم الدفعـة العسـكري.

عـلى الفـور كانـت توجيهـات الجنـرال غراهـام الانسـحاب للخلـف وضـم مـا تبقـى مـن قـوات المربـع (المكسـور) والمربـع (السـليم) مـع المحافظـة عـلى مسـتوى تغطيـة ناريـة ورفـع مـن يمكـن رفعـه مـن الجثـث والجرحـى.

(12)

عبـد المحمـود قـال: وفي نـص الفـوضى انسـحب رجـال عثـمان دقنـة بي تكتيـك عجيـب وخلـو الإنجليـز المواصلـين في ضرب النـار بي خـوف وكثافـة يضربـوا ناسـهم، المـوت كان أكـتر مـن الإنجليـز بي سـلاح الإنجليـز نفسـهم في أول سـابقة في تاريـخ جيـش الملكـة، وضحـك عبـد المحمـود والمعاهـو.

واصـل وقـال: لمـن وعـي الجنـرال جراهـام وأمـر بوقـف الـضرب كان المربـع جـزء منـه قـام جـري صـوف في اتجـاه سـواكن وبـدون نظـام، وفي فـوضى عجيبـة وجماعـة

عثمان دقنة اختفت زي البعاعيت، ولّا الأشباح، وخلو الإنجليز ضباطهم بكوركو أوقف الضرب أوقف الضرب.

أوشيك: كلام والله تاني بيجو.

أهاااا الناس البكتبو قالوا: سواكن التي كانت تنتظر أخبار النصر لتشاهد قوات الإنجليز الهاربين للاحتماء بسواكن نفسها التي كانت تتوقع رأس عثمان دقنة نفسه محمولاً في كيس، أعد مخصوص عشان يختو فيهو رأس عثمان دقنة.

أعاد جراهام تنظيم قواته وحاول أن يتوجه نحو العدو اللي تبخر، ومالقى نفسه بيحارب في المقابر والشجيرات ويلعق جراحه في أسوار سواكن.

تم سحب جراهام من شرق السودان الملطخ بعار الهزيمة التي لم يتذوق طعمها منذ أن تخرج في كلية سانت هيرست الحربية ولا كأنوأعظم جنرال في تاريخ جيش الملكة.

(13)

حاج الماحي: الله حي الله أكبر ولله الحمد أولاد أم زقدة حسبوها لعب.

عبد البين: لكن والله قصة عجيبة هو الإنجليز قالوا قروا عن دقنة ما عارفنو مكار للدرجة دي بتخيل فيهم منظرهم جبان ياخ.

مصطفى: يا عبد الواحد وأثر الكلام دا شنو على الجنرال والإنجليز؟

عبد الواحد: رجع الجنرال جراهام حزين لي بريطانيا وأول مرة يضوق طعم الهزيمة المر في حلقو هو وجيشو المنصور طوالي، وهناك الشمات بشعو بيهو جنس بشاعة، ما فضلت جريدة ما كتبت عن هزيمتو دي.

وفي مجلس العموم اتكلم وكترو النضمي النواب من ناس الياقات البيضاء بقوا يسبوا ويهترشوا زعلانين من تخاذل جيش الملكة اللي اتهزموا من رعاع ما عندهم أدنى تجهيزات جيشهم لا سلاح ولا لبس ولا تموين ولا تخطيط زيهم كيف يهزمهم.

وقال جزء من النواب إن شيطان الشرق مرمغ كرامة الملكة، والسبب غرور جراهام وتهوره الأعمى، كيف يحصل كلام زي دا؟ لازم يحاسب.

أهاا كان جراهام قاعد يستمع وهو زهجان ولمن أدوهو فرصة قال كلمات بسيطة وفي غضب (إن عثمان دقنة عصي صعب ماكر وهزيمته تعني محاولة تثبيت مسمار مربع من الصلب في خرم مستدير من الصلب)، وشال نفسو وقعد في أقرب كرسي القاعة صنت في صمت شديد.

رفعت جلسة مجلس العموم البريطاني دونما أن يضرب رئيس المجلس مطرقته الخشبية، وغادر النواب في صمت، وحسواإن جراهام ماقصر، لكن أسد الشرق شالا حمرة عين.

(14)

قال عبد الواحد بي فخر واضح: لله درك جدنا الشهيد عثمان دقنة إنت مفخرة السودان وجمرتو الحية في كرعين الغزاة أصحاب الدماء السكسونية الزرقاء، عشت بطل واتحبسته أسد ومت شهيد.

وواصل، وقال: كمان وقف شاعر الإمبراطورية كبلنج الإنجليزي العتيق اللي ولدوهو في الهند وطالما تغنى بنصر جنود الملكة، وقعد يصور جيشها بيلعق جراحه ويطهر الدماء الزرقاء بملح البحر الأحمر عشان يواسي القلوب المرعوبة، ويعالج النظرات الحزينة في قصيدته المشهورة (الفظي وظي)، وهو بيمدح الأسود أم لبد في الخشش وحارسه عرينها، وهي بتهجم على المربع

وتخليهو فوضى والعالم كلو من قرأ وسمع قصيدة (الفظي وظي) اللي عمت الآفاق، وكلنا قريناها بفخر واعتزاز مافي حاجة اقولها ليكم لأنها معلومة بالضرورة لكل من يعرف تاريخ بلدنا.

قال عبد المحمود لأصحابو: خسائر الأمير عثمان دقنة كانت متواضعة قدام خسائر الإنجليز،إذ قدرها إسماعيل الكردفاني صاحب كتابسعادة المستهدي بسيرة الإمام المهديبنحو 2000وخسائر الإنجليز قدرها نفس المصدر بنحو 8000 قتيل وهالك، وقد ذهب أستاذ الأجيال البروفيسور عبد المحمود أبوشامة في كتابو حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تلسهاي مقدراً الخسائر بنفس الأعداد تقريباً.



المصيبة المعلقة بالسبيبة . .

إن انقطعت السبيبة وقعت المصيبة

المصيبة المعلقة بالسبيبة . .
إن انقطعت السبيبة وقعت المصيبة

هكـذا كان الشـاب الـذي لم يبلـغ مـن العمـر تلاتـة وعشريـن سـنة ولدوهـو لأسرة يهوديـة، ولكـن بعـد مارحلـت لي بريطانيـا سرعـان مـا اعتنقـت المسـيحية وقدامبنعرفأنـو ردولـف فـون كارل سـلاطين أو عبـد القـادرأو شـواطين كلهـا أسـماء تشـير لماكـر واحـد الـلي اعتنـق الإسـلام لمـن اتزراثـم عـاد للمسـيحية.

إنـه المجـرب والمغامـر والمفكـر والانتهـازي الباحـث عـن الثـراء ولا غـرو، وقـد وفـد إلى السـودان، وصـار ذا شـأن عظيـم بعـد كان ضابطـاً بـلا شـأن ونصـف عاطـل، يبحـث عـن وظيفـة يسـتجديها مـن غـردون باشـا ليحقـق طموحـه ويـرضي مغامراتـه.

فإفريقيـا هـي بـلاد السـود والنمـور والتماسـيح والمتخلفـين، وكل مـن يريـد أن يلمـع عليـه أن يذهـب إليها،وتـدرج في الوظائـف في السـودان إلى أن أسر وصـار مـن المترجمـين الشـخصيين للخليفـة عبـد الله التعايـشي في فـترة حكمـو، ومـن الذيـن تعرفـوا عـلى كل الأجانـب الذيـن قتلـوا أو أسروا بواسـطة الثـورة المهديـة في السـودان.

قـال عبـد الواحـد: لازم سلاطينالاسـم الـذي سـماه الأنصارليهـو شـواطينباشـا، وبقـى مـن ملازمـي الخليفـة عبـد الله التعايـشي في أم درمـان، وحكـوا عنـو قصـص كتـيرة وعجيبـة لمـن كان حاكـم دارفـور أو لمـن كان سـجين الخليفـة أو لمـن جـاء مـع جيـش كتشـنر باشـا.

قال عبد الواحد: كان شواطين باشا يقول عن نفسه (أنا المصيبة المعلقة بي السبيبة إن انقطعت السبيبة وقعت المصيبة)، ونجح سلاطين في الهرب وكتب كتابو الشهير السيف والنار في السودان، مابيخلو كتابو من مبالغات ومغامرات وتمجيد الذات وجلد المجتمع السوداني والتبشيع بيهو.

حاج الماحي: المصيبة دي إن قطع الخليفة راسو كان ارتاح منو.

يقول سلاطين عن نفسه: إن أول زيارة ليهو للسودان كانت سنة 1878م، ووقتها كان ضابط صغير في السن وكانملازم في الجيش النمساوي مع كتيبتو في حدود البوسنة.

واصل وقال: كان شاالإجازة وزار مصر ومنها دخل سائح في بلاد السودان، وزار الخرطوم وزار جنوب كردفان، وقعدفي مباني البعثة التبشيرية النمساوية في الدلنج، ومنها حاول إنو يزور دارفور.

لكنكانت هناك تعليمات تمنع دخول الأجانب لي إقليم دارفور وكتها، وكان حكمدار عام السودان إسماعيل باشا أيوب كان ما بيرغب في الأجانب والجلابة في تلك في الجهات ديك.

قال عبد الواحد: وفي ذلك الوقت كان غردون باشا مدير المديريةالاستوائية، وكان مقيماً في اللادو، وحاول رودلف سلاطين ومعه الدكتور أمين الألمانيأنو يزورالاستوائية بأي طريقة.

لكن الأخبار الجاتو من أوروبا أجبرتو على أنو يرجع لي بلدو النمسا، وسافر الدكتور أمين الألماني لى الاستوائية، وطلب منو سلاطين أنو يذكرو بخير قدام غردون باشا اللي بقى مشهور في الوكت داك.

قال عبد الواحد: وبعد تلات سنوات من الكلام دااتسلم سلاطين جواب من غردون باشا بيدعوه للعودة للسودان للعمل معاهو وداي كانت بداية شقاوتو.

قال عبد الواحد: ولما وصل مصر لقى علاء الدين باشا الليكتلو في معركة شيكان مع هكس باشا جاي للسودان، فزاملو في السفر للسودان.

واصل وقال: فركبوا سفينة لي سواكنوعلى القوافل لي بربر، وفي بربر ركب في ذهبية غردون باشا لي الخرطوم. وأول وظيفة عينو فيها في السودان كانت وظيفة مفتش ماليودي وطيفة ما كان بيحلم بيها.

الخرطوم التي كانت واحة الأجانب في قلب إفريقيا وقتها تمتع بشرب الويسكي والبرادي وارتياد الكنيسة يقول سلاطينمرقت منهاعشان أعد تقرير عن شكاوى الأهالي من نظام الضرائب في السودان، ودا أول تكليف رسمي لي.

قال سلاطين بيحكي: ومع مرافقيني أعديتلي رحلتيعشان أسافر إلى المسلمية وسنار وفازوغلي وجبال كشنكرو ودي بتقع بين قيسان والكرمك على الحدود مع الحبشة، شايل معاي منظارمقرب وبندقيتي ومعاي عدد من الرجال كحرس اجتزت البوادي والقرى وصعدته لي ديار الفونج عشان أعرفشكاوي الأهالي.

قال عبد الواحد:ولما جاء كتب تقريرعن وجود فساد في نظام الضرائب وتهرب بعض المحسوبين على الحكام من الضرائب، والضرائببتقع على عاتق الفقراء وصغار الملاك وتثقل كاهلهم.

واصل: ولقى إنوإصلاح نظام الضرائب أمر معقد طوالي قدم استقالته من وظيفة مفتش مالي لعجزه عن تصور نظام مالي وضرائبي أفضل للحكومة والأهالي ولقى إنو العلة في دولاب الدولة الخديوية في السودان كان العساكر والإداريون أكتر سرقة لدماء الشعب في الوكت داك.

قال عبد الواحد: وعينوا غردون بعد داك مدير لمديرية دارة في جنوب دارفور، وطلب منه مقابلتوفي شمال الدويم في منطقة الترعة الخضراء طوالي ركب الباخرة وفارقها قبالة الترعة الخضراء.

حاج الماحي: المعنى لقوا ليهو شغل ود الهرمة وضحكوا كلهم.

عبد الواحد قال: مع أمر التكليف بتاع المديربرضولقى تكليف أنو يقود حملة لحرب السلطان هارون الفوراويالليبيحاول أنو يستقل بإقليم دارفور وإرجاع ملك أهلو اللي شالو منهم الزبير ود رحمة قبال كم سنة.

قال سلاطين بيحكي: وكان السلطان هارون مستعصم بالقمم العالية في جبل مرة وجنن الحكومة، إضافة لي مشاكل الصراع القبلي وتهريب السلاح والذخائر لقوات سليمان ود الزبير باشا.

واصل سلاطين وقال: وبالإجمال كانت الرحلة لدارفور خطر كبير في الوكت داك. عبد الواحد قال: غردون باشا كان أصدر أمر بطرد التجار الجلابة من مناطق المسيرية والرزيقات والهبانية والحمر ودارفور كلهاواتهمهمبأنهم بيدسوا المهربين من الجلابة في الوكت داك، وكان داأول عزل ممنهج لبعض المناطق والقبائل، ودا زاد من نشاط النهابةكتلو التجار الجلابةوقبضوا منهم كتار وسلموهم لي مراكز الحكومة بعد نهبهم في الطويشة وأم شنقة ودارة.

يقول سلاطين: وصلت دارفور في سنة1879م، وفي الطريق شاهدته فظائع نهب التجار الجلابة على أيدي النهابةوقطاع الطرق. ولمن وصلت لي الفاشر لقيتها بأنها بتتكون من جزأين شرقي وغربي وفي النص وادي تندلتي، وفي الجزء الغربي مباني الحكومة وفيها القلعة وبحيط بيها خندق وفي وسطها مباني المديرية وسكن موظفيالحكومةوبعد وصولي لى مكان عملي الجديدقدت حملات حربية ضد السلطان هارون انتهت بي قتل السلطان هارونوانتهى التمرد على الحكومة.

عبد الواحد قال: وكان سلاطين مكار ومسيحي متمسك بدينو لكن كان زي الحربوية، من خلال خبرتو الطويلة في العمل في السودان فهم أنو عساكر وبحبو القائد الراجل الشجاع والمسلم اللي بتواضع معاهم.

عشان كداما كان الدين هاجس في حياتو خالص، لكنو سمح بهجرة واحد من أولاد الفراتيت لي أوروبا وتنصر هناك، وكان الصبي دا اسمو كبسون، إضافة لياهتمامه الشخصي بالبعثة التبشيرية الكالولكية النمساوية في الدلنج قبلقيام حوادث الثورة المهدية، وبعد وقوعهم أسرى في يد الأنصار في أم درمان.

قال عبد الواحد: وسلاطين يميل في كتاباتو لي إبراز شخصيتو الليبيحاول إنو يصفها بأنو رحيم ومناصر للحق وعادل وقادر على بذل كل نفيس عشان خاطر الغلابة.

وهو بهذه الصفات يعيش في مجتمع تغلب عليه الأنانية والجهل والصراعات ولا يعرف سبيلاً للمدنية وتعمه الفوضى، أي كأنه (المسيح وسط اليهود)، ويدعى أنه سلاطين ناضل مع عسكره لمنع الحروبات الأهلية، وفي عام 1881م وبعد زيارة صغيرة للخرطوم وبعد وصوله إلى مقر عمله في مديرية دارة، وصلته برقية تحذره من نشوب تمرد صغير بقيادة درويش اسمه محمد أحمد، وأنو عليه أن يمنع الأهالي من الانضمام اليه بأي تمن.

ويقول سلاطين: في كتابه السيف والنار عن أبرز أسباب قيام الثورة المهدية: هي السياسات الخاطئة في جمع الضرائب والفساد الإداري، إضافة إلى محاولات منع الرق وهو أمر كفله الدين ولم يمنعه، والأرقاء هم الشغيلة في نظام الإنتاج، فيزرعون الأرض.

قال عبد الواحد وهو بيقرأ مقتطفات من كتاب شواطين باشا: ويقول سلاطين عن الرق في السودان الدين يأذن بالرقيق، وقد كانت الأرض منذ عهد

بعيد تفلح بالعبيد، وكان العبيد يوكلون بالماشية، ولست أشك في أن النخاسة كانت تتطلب ارتكاب فظاعات، ولكن لم يبال بها أو يفكر فيها مشترو العبيد، وكانوا على وجه العموم يعاملون عبيدهم معاملة غير سيئة، وكنا نسمع شكاوى العبيد ونحرر العبد الذي يشتكي من مولاه، ولكن العبيد يعودون لسادتهم أيضاً.

عبد البين: لكن كيف الكلام دا وبريطانيا واحدة من مزاعمها تحرير الرقيق ويجي يقول خلو الرق في السودان.

حاج الماحي: كل وثائق المهدية حاربت الرق ومنعت النخاسة.

عبد الواحد: صاح كلامك لكن سلاطين كانت عندو نظرة براهو وطبقها رغم المعارضة لي سياستو دي.

قال عبد الواحد مواصل كلامو: وكانت نظرة سلاطين باشا تجاه الرق قد وثقها في تقرير حكومة السودان بعد عودته مفتشاً عاماً للحكومة الاستعمارية بعد مجاعة 1902م المنسية، التي اضطر الإنجليزيجيبو ذرة من الهند لإغاثة الأهالي اللي هجر العبيد مزارعهم، وقل منسوب النيل والأمطار، فسمح تقرير سلاطين بنوع من الرق على الرغم معارضة المجتمع المعادي للرق في بريطانيا وقتها.

وبعد انتشار المهدية وبقت قوية اضطر أنو يسلم ليها، ويعلن إسلامووشال الأنصارسلاطين أسير، ورافق كل حملات المهدية بعد سقوط كردفان ودارفور، واستسلم كارهاً وغير دينه وادعى الإسلام.

قال عبد الواحد: وبعد فتح الخرطوم تناوب عليه الدهر بين التقرب للخليفة عبد الله ومجالسته وبين حبسه في السجن وإهمالو، لكن الحدث الأهم بعد

هروبو الشهير، ولمن وصل مصر اتكلمعن معاناتو مع الأنصار ومعاناة الأسرى الأوروبيين، واتكلم عن فظائع المهدية في فتح الخرطوم وحكى قصص، وحكم الخليفة عبد الله التعايشي بالسجن وسجن الساير في أم درمان والفظائع الفيهو.

ورسم سلاطين صوراً ذهنية عن السودان، ووصف البلاد بأنها متخلفة، ووصف القبائل بالمتناحرة والهمجية والبربرية، وكان لكتابه (السيف والنار في السودان) دور في التشجيع لإعادة احتلال السودان.

قال عبد الواحد: سلاطين باشا جاء راجع مع الحملة الإنجليزية كرابع أقدم ضابط في جيش كتشنر باشا، وهو اللي أعدم الأسرى من الأنصار من ما يتعرف على أمير أو زول منهم يقول أعدموهو، وأعدم عدد كبير منهم بي قراراتو اللي كانت بي مثابة محاكمة ميدان عسكرية في الوكت داك، وما طلع من أحكامو إلا أصحابو القدام، وما كان في قلبو رحمة دوت.

ختم عبد الواحد كلامو عن المصيبة شواطين، وقال: وعين سلاطين في منصب المفتش العام، يعني رئيس الوزراء في الحكومة الاستعمارية الجديدة، وهو من اقترح وأسس النظم الإدارية في السودان وقسم المديريات والمراكز بي خبرتو القديمة. وقبلها تولى قيادة أول قوة عسكرية لمطاردة الخليفة عبد الله التعايشي، ووصل إلى قرية الشقيق شمال الدويم ولقى أنو الخليفة عبد الله التعايشي غادرها قبل يومين، وكان متحرق يقبضو حي عشان ينتقم.

حاج الماحي: جدنا الشيخ فرح ود تكتوك قال من فشّ غبينتو ضيع مدينتو وضحكوا كلهم.

وقال عبد الواحد وهو يقرأ جزءاً من مقال عن سلاطين باشا الذي جاء فيهو تحليل شخصية: كان الأكثر جدلاً لأنه خبر وعجم ثقافة وطبائع الشعب

السوداني، وظل هو الأكثر حنكة ودراية، لمن وضعت استراتيجية تحويل المهدية لى طائفية بنلقي أنو أوراق سلاطين بتتكلم عن المجتمع المتدين المتصوف السني الوسطي ومداخل اختراقه عن طريق تبني استراتيجية تحويل الأنصار إلى طائفة ومنحها الأراضي، وخلق حالة من التنافس مع الختمية للسيطرة على المشاعر الدينية ومن ثم السيطرة على السيدين، وبالتالي يضمن الإنجليز إنو ما تقوم ثورةجديدةزي المهدية، مع التركيز على تثبيت نظام الإدارة الأهلية ادو رجالاتها سلطات واحتراماً كبير.

***

المهدية والحبشة

حجوة أم ضبيبينة

المهدية والحبشة
حجوة أم ضبيبينة

(1)

ياجدو الليلة مزاجك حلو وبعمل ليك شاي مظبوط،قالتها زنيب حفيدة عبد الواحد اللي كان مهموم بمشاغله الخاصة في البيت، وبفكر يمرق لي أصحابو اللي متأكد أنهم منتظرنو في دكان صاحبو حاج الماحي.

عبد الواحد: أكيد عندك رأي يا زنوبة دا ما كلام شاي مجاني.

زينب: أي ياجدو أحكي لي عن المهدية والحبشة قدر ما حاولت أفهم الدرس دا ما وقع لي.

قعد عبد الواحد وقال: أمري لله جيبي الشاي واستطرد، وهو بينفخفي الهواء والتفت يمين وشمال، وقال: العلاقة بين الثورة المهدية والحبشة بدأت بعد انتصار المهدية وتحريرها الخرطوم، وبقت المهدية دولة تحكم رقعة كبيرة من أراضي السودان، بما فيهاتخوم الحبشة.

واصل وقال: في الوكت داك بدأت الحبشة الإمبراطورية في فهم الثورة الجديده الليبتجاورها حدوداً ووجوداً، واستعانت بي بعيونها وحلفائها القدامعشان تعمل تقدير موقفللأوضاع في السودان الليانتفض على حكومةسموها كضب ساي بي التركية السابقة، وهي ما تركية شوفو ليها اسم غايتو أنا بسميها الاستعمار الأول.

زينب: ماعلينا بي الغلاط في اسمها واصل يا جدو.

والتركية اشتبكت مع الأحباش في عدة حتات واحتلت مصوع وثبتت أقدامها في شواطئ البحر الأحمر الغربية والقضارف وكسلا، يعني يا زنوبة بقوا في تماس مع خلاف في العقيدة والفكرة بين الترك والحبش ونفس العقدة تاني وقعت مع المهدية نفسها.

(2)

رشف عبد الواحد من الشاي المنعنع عاين لي زينب، وقال ليها: يابت يا مكارة أنتي عايزة إيه بالتاريخ، بيقولو(يصبح التاريخ مجرد هراء إذا قام الأموات)وضحكوا زينب وجدها عبد الواحد.

قالتليهو زينب: خلي مقدمات المثقفاتية دي وخش في الموضوع تووش يا جدو.

ضحك وختّ كبايتو وقال وهو يحدق في الأفق: أمري لله، وعلياعتبار المهدية ثورة بتاعتالأهاليضد الترك كان على الحبوش التفكير في إقامة حلف إفريقي يضم القويالوطنية في إفريقيا لمناهضة الاستعمار الأوروبي الليبلعأراضيالقارةالإفريقية ودمر السلطنات والمالكودكّ حصونها واستعبد سكانها.

واصل عبد الواحد وقال: فكان الملك يوهانس عايز التواصل مع المهدي واتراسلو بي عددمن الجواباتمن قبل وفاة المهدي في الخرطوم،لكن النبرة بينهم كانت حادة شوية، وتمسك كل طرف برؤيته، ودا أظهر مدى الخلاف بين السودان والحبشة أو بين الرجلينفي الوكت داك.

(3)

زينب: والحصل شنو وليه يختلفوا؟

عبد الواحد: المهدي دعا امبراطور الحبشة والنقوسلي الدخول للإسلام والانقياد فيسلك المهديةوقاليهم (وإلا فإن عليهم إثمهم وإثم من تبعهم) وحا تنتهي علاقة السودان بالحبشة بحرب مروعة ووعدهم بالهزيمة. بذات قوة الراسكان رد إمبراطور الحبشة وبادر بدعوة المهدي للدخول في المسيحية وإلا أنه سيغزو السودان ويقتحم عرش المهدية اللي بدأت في توطيد أركان دعوتها ودولتها، الدبلوماسية وعلاقة الجوار دقشو بحاجز الدين اللي بدا يعبئ كل طرف السودان والحبشة قواتو لمعركة تفصل بين الحق والباطل كلو طرف حسب رؤيته.

(4)

اعتدل عبد الواحد وقال لي زينوبة: مسرح الأحداث كان حافل بوقائع كتيرة أبرزها إنو المهدية المنتشية بتحقيق حلم الدولة الإسلامية رغبتها في التوسع وفتح مكة ومصر والشام وضم ليبيا لأراضي الثورة.

زينب: يعني يا جدو المهدية ما محصورة في السودان بس.

عبد الواحد: طبعاً لا المهدي كانت أحلامو كبيرة والسودان جزء منها إن كانت صاح ولا غلط أفكارو.

واصل وقال: المهدية في فكرها هي الحق وبس وما سواها الباطل وعلى الجانب التاني كمان كانت للأحباش أطماع توسعية في أرض السودان من زمنعرفناتاريخياً عن حملة الملك عيزانا اللي دمر مملكة مروي شمال الخرطوم، الحبشفايفينأنوعندهم حق السبق على المصريين والإنجليز اللياحتلوا السودان.

زينب: والله دا كلام جديد كمان عشان كدا ماعايزين يمرقو من الفشقة ومناطق الزراعة شرق القضارف.

واصل وقال: وكمانالحبششايفيننفسهمأنهم قلعة مسيحية في وسط محيط إسلامي هائج عشانكداقيام دولة إسلامية غربها أو جنوبها أو شمالها أمر خطير ومعادي ليهم، وتاريخيا ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة قربت أن تسقطمملكة أكسوم الرمز الديني والسياسي للحبشعشان بدأ كدا نذر المواجهة في غرب الحبشة وشرق السودان.

واصل عبد الواحد، وقال: أها قولي يا ستي الامنتي ليككان واضحأنو الرؤيتين المتناقضين، وكل طرف عندوأطماع مع الصراع الديني وشايف كل طرف إنوبكاتل من أجل عقيدته، ودا سرع بي الصدام بعد الجوابات الليبتحمل نبرة التحدي والرغبة في احتواء التاني، عشان كداماكان هناك مجال لحلف إفريقي عماده الحبشة والسودان، لكن نذر الحرب لا محالة ودي عادة الأفارقة زي الدجاج يتصارعوا داخل القفص عشان يهزم طرف ويجوا الخواجات يضربوا الطرف التاني.

(5)

في دكان حاج الماحي كان قاعد عبد البين ومصطفى منتظرين عبد الواحد يظهر ليهم زي كل يوم.

حاج الماحي: الليلة عبد الواحد دي ما عوايدو يغيب لي الوكت دا إنشاء الله المانع خير.

عبد البين: يكون في الحجر الصحي أصلو اليومين دي عمك مهروش يكون بغسل في العدة وضحكوا.

من طرف الشارع ظهر عبد الواحد جاي على الدكان، وهو ماشي سريع على جماعتو، ومرة مرة يتلفت وهو ماش.

مصطفى: خير يا مولانا الليلة مالك كمان؟

عبد الواحد: خير ماف عوجة تب ياها مشاغل الدنيا وبس.

عبد البين: مشاكل الدنيا تجبرني أخالف وعدي وأتلوم وضحك.

عبد البين: والله البنية سألتني سؤال وقلت أرد ليها والزمن جرّ معاي.

حاج الماحي: خير.

قعد عبد الواحد وحكى ليهم عن قصتو اللي سألوهو منهاهي قصة الحبشة والمهدية والحرابة البينهم.

قال عبد الواحد مواصل في القصة: في بلاط الأحباش كان فيه الطامعين فيهو كتار، وكان للأمراء نوع من الاستقلال، خصوصاً بعد مقتلالملك يوهانس في القلابات.

بذات القدر ماكان ملك الخليفة عبد الله التعايشي بارد، فكان عليهو إنو يواجه ثورة الأشراف، وإنو يقمع كل من هو غير راض عن حكمه، وإنو يخطط لمنع الثورات، وكمانما يخليالأنصارالفرحانينبي انتصاراتهم في حالة خمول قدامو فتوحات كبيرة،وكمان ورث من فكر المهدي اللي كان بيطمح أنويتمددبره السودان.

في الوكت داك قسمت إفريقيا لمناطق نفوذ وبدأ الزحف الأوروبي اللي كان بيمثل القوى العظمى في وقتها، فالمسرح الداخلي بدأ في الفوران والتجهز للصراع وحتى الأوروبيين كانت أطماعهم فيما بينهم شديدة ودا خلى التسابق الأوروبي نحو إفريقيا خطركبيربيهدد ممالكها،وفي الزمن داكأوروبا طورتأسلحة حديثة واستراتيجيات خبيثة على رأسها استراتيجية فرق تسد.

عبد البين: صحي وأنحن بنتعارك وما جايبين خبر للحاصل.

(6)

عبد الواحد: قولو كدا عشان تفهمو كويس أنو العالم برة فيهو شنو.

واصل وقال: كان القرن التاسع عشر عصر أوروبي بامتياز، فقد دخلت فيه ما بعد عصر النهضة والثورة الصناعية وثورة البخار، وطورت وسائل النقل والتصنيع، فظهرت السكك الحديدية والبواخر الجديدةفي وقتهاوصنعت أسلحة ومعدات حربية حديثةمن حيث القوة التدميرية والمدي القاتل.

عبد البين: أها وناس قريعتي راحت لسع في الرامحتون والخشخشان وبنادق أبو لفتة والله صحي ظهر الفارق في التسليح والتخطيط والذي منو.

عبد الواحد: فعلاً كانت أسلحة الأفارقة متخلفة كتير عن ما أنتجته المعامل الأوروبية، وظهرتشبكات التلغراف وتطورت في الكتير من المنجزات العلمية ، و ناس اوروبا حلو مشاكلهم في مؤتمر برلين في العام 1885م، ودا نفس العام اللي كانت بوادرالصراع بين الحبشة والسودان، تتعالى وتزداد لهجة المراسلات بين المهدي ويوهانس حدة.

(7)

قال عبد الواحد لي زينب: أها دبلي لي الشاي.

ضحكت زنوبة وقالت ليهو: ما تدبل إلا في الشاي ياجدو واستغرقوا في ضحك.

ردت حبوبتهااللي اتسلل الشيب من رأسها: يا مجنونة جدك مالو ماعرس مرا، برا النضمي بتاع الجن البحكي ليك فيهو الضيعوا شنو.

ضجك الجد وقال: أسكتي أنا لسع في السووق وسوقي حار. وضحكوكلهم.

وكبت زنوبة من الشاي واعتدل عبدالواحد، وقال: المهدية في سنة 1885م كانت شبعانة بالانتصارات على الحاميات المصرية المتهاكلة الليكانفيها المرتزقه من

كل مكان وما عندهمهمإلاجمع المال أو من اللي نفاهم حكام مصر وتخلصومنهم في فيافي السودان.

واصل وقال: بعد وفاة المهدي مك الخليفة وكان حكمو ما فيهو هوادة، وفتحت جبهات في نص القبائل والحدود كلها حسمها بالسيف، وكان أخطر تهديد من الحبش عندهم جيوش ماليها حد، عشان كدا كان لازم يحسمهم وإلا بضيعوا ملكو ويغزوا السودان.

(8)

قال عبد الواحد: كانت آراء الأوروبيين متفقة على إنهاء حكم الخليفة، فزحف البلجيك من الكنغو مستعمرتهم في حملة كبيرة بقيادة الكابتن قورتمنادي، ووصلوا لي اللادو في جنوب السودان، واشتبكوا مع المهدية التي كان بيقود قواتها الأمير عربي دفع الله وزحف الفرنسيين بقيادة المارشال مارشند،وأسسوا حداشر نقطة، واشتبكوا مع المهدية في مشرع الرق ومشرع الشول، لكن الفرنسيين والبلجيك مااتقدموا أكتر من دا.

حاج الماحي: يعني الخليفة عبد الله التعايشيكان بيحارب في العالم كلو ما فضلت دولة ما حاربها زيادة على دا الجبهة الداخلية بقت شبه معادية ليهو كتل القبائل الكبيرة وأعدم قيادات وغيرها.

عبد البين: لأنو حكم الخليفة كان صعب ومعادي الكل ماف زول بهديهو كلو كلو.

عبد الواحد: أعتقد أنو الخليفة كان مبسوط من الحروب دي، خصوصا وأنها كلها كانت في الأطراف وما هددتو ووصلت لي أم درمان إلا في سنة 1898م في كرري، كان عايز جيشو في حالة حرب والناس مشغولة، لكن دا كان عندو تمن برضو.

حاج الماحي: والتمن شنو كمان.

عبد البين: مجاعة سنة ستة وفي النهاية الإنجليز هزموهو في كرري لأنو كانت حروب في الفارغة والمقدودة.

حاج الماحي: لو خلاهم ما بيخلوهو وأحسن يبادر ليهم بدل ينتظرهم أي حاجة عندها حد.

(9)

قال عبد الواحد لي زينب: عارفة إنو الصراع كان على أوجه بين المهدية والحبشة، وفي أطماع كتيرة من الطرفين والخواجات طمعانين فيهم الاتنين ولازم أحكي عن ميدان التنافس.

ضحكت زينبوقالت: جدو لازم تديها شمار وكسبرة، أمري لله، احكي يلا.

واصل وقال بي صوت جهوري: والقلابات مدينة صغيرة تقع على ضفة خور أبونخرةمن جهة الغرب وعلى الضفة التانيةفي قرية المتمة التي هي جزء من أراضي السودان اللي وهبها الإنجليز للأحباش تخليداً لذكرى مقتل الملك يوهانس، ولأن فيها قلة من المسيحيين خافوا عليهم إنو يتحولوا للإسلام.

والقلابات برضو سوق يتبادل فيها التجار من النقادة والتكارير وأهلناالعربالساكنين في ضواحي القضارف مع الحبوش، وكانتبتمثل نقطة جمرك في زمنالترك، وبعد انتصارات المهدية عينو على القلابات الأمير محمد ود الأرباب، ودا من التكارير بتاعين القلابات.

واصل وقال كانت القلابات معبر للدبلوماسية اللي كانت في شكل الرسائل ومعبر للجيوش وموقع للحرب بين النظامين في الوكت داك ودا على الرغم من أهميتها التجارية.

(10)

زينب: طيب المهدية عندها معارضين ومؤيدين وكل واحد عندو رأي فيها؟

عبد الواحد رد عليها: طبيعي أنو يكون في معارضين ومؤيدين لكل شكل من أشكال التفاعل لكن المعارضة والتأييد، لازم تخضع لي مقاييس واقعية وعلمية ودينية، والمشكلة الكبيرة أننا بنحاكم التاريخ بواقع اليوم، ودا أكبر غلط لكل زمان ظروفو.

واصل عبد الواحد: ويا بتي المهدية العاقلين من المهتمين بي تاريخها بقسموها لي مرحلتين الثورة، وشارك فيها كل الناس، والترك ما خلو زولما زعلوهوكلاالقبائلحاربت الترك، وإن كان في ناس كانو واقفين مع الترك، وديل كانت مصالحهم مربوطة بي الترك في الوكت داك ومرحلة الدولة، ودي كان حاكمها الخليفة عبد الله التعايشي، ودي فيها خلاف كتير ما في داعي نجيب سيرتو.

واصل وقال: المهم بعد وفاة المهدي وتم الأمر للخليفة ظهر للسطح الخلاف الحبشي السوداني، لكنكانت التجارة كانت بتجيبدخلكبير ومهم للدولتين عشان كدا التجارةما اتأثرتبي الخصومة بين الدولتين كتير.

زينب: وطيب الجاب الحرب والخصومة شنو؟

عبد الواحد: قام الملك يوهانس بأمر جيشة بالهجوم وطرد الأنصار من القلابات وحرقها، دا حصل سنة 1887م، واستطاع جيش الحبوش الدخول للقلابات وتدميرها، واستشهد الأمير محمد ود الأرباب عامل المهدية.

واصل وقال: بعد داك انسحبت جيوش الحبوش من القلابات لي داخل العمق بتاعهم، وكان الملك يوهانس عايز يوصل رسالة للخليفة عبد الله التعايشي اللي كانت لهجة خطاباتهأشد ومتحدية، وكانت رودود الأحباش أكعب منها، ودا سبباندفاع جيش الأحباش لتدمير القلابات وهزم قوات الأنصار.

أها والخليفة عمل شنو بعد ما كتلو ناسو والأمير ود الأرباب؟ دا كان سؤال زينب لي جدها.

عبد الواحد: الخليفة طوالي قام بادر الخليفة بإرسال عامل الجزيرة الشجاع الأمير يونس ود الدكيمعشان يسد الفرقة في ثغر القلابات، ويوقف أي محاولة للاندفاع للعمق السوداني، قام يونس ود الدكيم وقاد حملات صغيرة على القرى الحدودية في الحبشة ودمر كنائس وغنمها، في الوكت داكما اهتم الملك يوهانسبي غزوات مناوشات ود الدكيم لأنو طلائع الجيوش الإيطالية كانت بتهدد الحبشة نفسها.

(11)

حمدان أبوعنجةدا قصة براهو من قبيلة اسمها المناضلة وحارب بقوة، وكان بخطط صاح، ودي في ناس حبوهوا، وناس اتضرروا منو، وديل ما حبة.

واصل وقال: هو القائد المنتصر كان في جبال النوبة استدعى على عجل ووصل أم درمان في نهاية 1887م وتحرك عبر الجزيرة والقضارف ليصل لي القلابات ودعم حصنها.

وعلى الفور وفي يناير 1888م غزا الحبشة ووصل لي قندر وغنم منها على الرغم من رداءة الجو ووعورة الطرق وقلة المؤونة،إلا أن رجاله عبروا المانتق والجبال ونزلوا الأودية، وأظهروا شجاعة انهزم أمامها الأحباش.

وعاد حمدان أب عنجة للقلابات إلا أنه توفي متأثراً بالمرض واستلم بعدهاالقيادة الأمير الزاكي طمل، في الوكتداكحرك الملك جون جيوش كبيرة وكتيرةلمن قالوأنوالأسود والنمور كانت تجري قدامها من كترتها وغبار بيكون ماسك في الهواء اليوم كلو.

قـال عبـد الواحـد: مـا خـلى الملـك يوهانـس راجـل وراهـو جـا بي كل جيوشـو واندفـع نحـو القلابـات في ذلـك الوقـت اسـتعد الزاكـي طمـل وبنـى دفاعاتـو في حصـن القلابـات الشـهير وبقـى منتظـر في حالـة دفـاع.

(12)

قـال عبـد الواحـد. الحبـش زمـان زمـن الملـك عيزانـا ملـك أكسـوم في التاريـخ القديمدمـرو مـروي وغـزو السـودان، لكـن مـا قعـدوا محتلـين كلـو كلـو.

وفي القلابـات هزموهـم الأنصـار، بالتـالي أي تغيـير سـياسي ولّا عسـكري في البلديـن بأثـر في التـاني، ودي سـببها لعنـة الجـوار والعلاقـة بـين الهضبـة والسـهل.

قالت زينب: جدو خلى التحليل وتم القصة.

ضحـك وقـال: في القلابـات دارت أكـبر وأعظـم معركـة بـين القوتـين الـلي خسرو رجـال وقـوات كانـت بتمكنهـم مـن صـد العـدوان الخارجـي الاسـتعمار الأوروبي.

وبطلقـة طائشـة بعـد اشـتباك لعـدة أيـام قتـل الملـك جـون، وانهـزم الحبـوش، ومـا طاردتهمقواتالأمـير الزاكـي طمـل، لكـن معركـة خـور أبونخـرة أو القلابـات علامـة فاصلـة في تاريـخ الدولتـين السـياسي.

يابتـي قصـص الحبـش مـع السـودان كتـيرة وشـاهيك كمـل وكملـت الحدوتـة بـإذن الله.

***

مشاهدات ونستون تشرشل لكمين عثمان دقنة

في معركة كرري 2/ 9/ 1898م

مشاهدات ونستون تشرشل لكمين عثمان دقنة في معركة كرري2/9/1898م

(1)

عبد الواحد بقى بيقرأ من الكتاب القدامو والكتاب دا اسمو حرب النهر كتبو شرشل اللي قال فيهو بكل وضوح (هأنت كنت كحب الأرز الذي يلقيه شخص غاضب في زيت ساخن)، كتب الملازم آنذاكونستون تشرشل في كلامو مع دفعته الذي قاد قوة الفرسان لاقتحام أم درمان في معركة كرري.

حاج الماحي: أهاااا دا زولك بتاع الشمارات داك؟ واستغرقو في الضحك كلهم.

عبد الواحد قال: السير ونستون شرتشل لمن كان ضابط جديد،وبقى عاوز إنو يشتركفي حملة إعادة احتلال السودان لأنوكان الاشتراك في الحروب الفيكتورية بيعدوهو نوعالفخر للضباط، ويجو ملقطينللأوسمة والنياشين، إضافة لي إنوبيرفع من سيرة الضابط في الوكت داك.

عبد الواجد واصل وقال: ماكانت أهداف الملازم ونستون تشرشلتختلف كتير عنضباط الجيش الإنجليزي وقتها عشان كدا كان التنافس في الانضمام للحملات يحتاج لي علاقات مع كبار ضباط الجيش البريطاني وكتير من كسير التلج.

حاج الماحي: يعني حرابة وموت وعايزة واسطات وكسير تلج.

وفوق دا كلو كانت سمعة تشرشل سابقاهو إنو كان بيكتب في الجرايد ورفض كتشنر مشاركته، لأنه كان يكتب في جريدة الصباح اليومية اللي اسمها ذا مورننق الشهيرة، ويحب الشمارات،وفي الحملة دي كان معاهو عدد من دفعته وأصدقائه وأصحابووكانو شايفنو أنوصحفي ميداني أكتر من ضابط في حرب حديثة.

السير ميجور جنرال هيربرت كتشنر أوف خرطوم قال: إنو الضابط ونستون تشرشل بيفتش على الأمجادبس والفوشار، وهو ذاتو كان بديل لي ضابط تاني كمان يعني ماهو ضابطأصيل في الحملة.

قال عبد الواحد: في الواقع تم تعيين دفعته ود الملكة فيكتوريا في الحملةلأنهأقدم من تشرشل بي نمرة عسكرية واحدة، الضابط دا كان ترتيبو في الدور الداير بتاع العمليات عليهو،فهو ود الملكة فيكتوريا وأبوهأمير ويلز، يعني ولد عزةورضاعة بزة، يفكوهو عشان يكاتل الدراويش، لا لا ما أظن دا بيحصل.

ضحك عبد البين وقال: أوعى قالو يجي الخرطوم يحارب في السودان خواجات وجنو والله يلمو فيهو ناس قريعتي راحت يلحقوهو أمات طه.

حاج الماحي: علياالجزيمة دا ياهو البمجغوهو ذاتوو الوليد قايل المهدية لعب.

عبد الواحد: هوي ارتاحو ساي الإنجليز ذاتهم دقو جرس وكوركو قبالكم إنتو، الجرائد هاجت، والرأي العام أعلن رفضه لحماقة إشراكود الملكة.

وبقوا بيسألوا ماذا لو قتل الدراويش هذا الأمير؟

أو تمأسره؟

سمعة بريطانيا تروح وين ياناس؟

بتم مرمطة بريطانيا في التراب.

(2)

عبد الواحد: رئيس الوزراء في الوكت داك منع ود الملكة من التحرك مع الحملة وعين الضابط الأحدث منو، والبعدو في الأقدمية طوالي، وكان هو الملازم ونستون تشرشل، وكان هو ذاتوو منتظر الفرصة دي من زمن، وعين في الحملة كما يقول العساكر بالبدل يعني ما أصلي.

حاج الماحي: والله قصتو سمحة عديل.. واصل واصل يا الحاج.

عبد الواحد قال: السردار كتشنر عرف إنو الضابط المعين بي البدل لي ود الملكة وبيراسل صحف وجرائد بي اسم مستعار، ويبحث عن شهرة وإنو متعجرف يدعي إنو مفكر وفيلسوف. ودا يناقض الضبط والربطالليا شتهر بيهو الجيش الفيكتوري في الوكت داك، فالضابط مفروض ما يعرف إلا قتل العدو والنساء والخمور، فهو كائنخلق للحرب والقتل وإدارةالجنود ونيران الأسلحة وليس معاقرة الورق والفلسفة والكتابة على الجرائد، دا كان نمط تفكير الضباط خريجي كلية سانت هيرست الحربية الشهيرة في بريطانيا.

(3)

قال عدد من عساكر الإنجليز عن الملازم ونستون: اعتبر السردار كتشنر باشا أن الملازم ونستون تشرشل عالة على الجيش وحمولة زائدة، تم التخلص منها بأن يحرممن شرف الاشتباك مع العدو ومنعه تحقيق رغباته.

وفي حوارهم قالوا: إن الأوامر الصارمة كانت من الميجور كتشنر إلى الكابتن أر. أن. كيبيل بأن يشدد عليه الرقابة، فهو مجرد ملازم متعجرف.

وقالو: ونستون تشرشل استوعبته بوارج حملة النيل ضيفاً ثقيلاً، أجبره النقيب كيبل على أن يكون ضمن قوة البوارج الحربية عشان يحرموا من الشمارات.

وقالـو: بعـد كل هـذا كان يحـارب بخيالـه وسـمعه وبـصره عـلى الرغـم مـن أنـه لم يـدُس عـلى تـراب المعـارك كتـب سـفره الموسـومحرب النهـر، بعـد أن بقـي مـن المتفرجـين في البارجـة ملـك أو أجـبر عـلى ذلـك.

وقال عساكر كتشنر في همساتهم في أمسيات السودان الساخنة: كانلتشرشلمنظار مقـرب أو نضـارة ميدانيشـاهد المعركـة ويـدون ملاحظاتـه ويكتـب، وكان الضبـاط والعسـاكر في وهـج الحـرب والغبـار في كـرري، كانـت بدلـة ونسـتون نضيفـة وطاقيتو العسـكرية بتلمـع، والبـوت بتاعـو بيلمـع زي نخـرة الكلـب.

قـال العسـاكر برضـو: كان يراقـب إبـادة قـوات الخليفـة عبـد الله التعايـشي مـن منظـاره برضـو ويكتـب في مفكرتـه ويـوزع قواتـه والنـيران في الهـواء، ويفـترض أنـه يديـر نـيران المعركـة يكـورك ويجـري ويـوزع التعليـمات ويعلـق ويحاسـب، وهـو عـلى كرسـيه في سـطح ملكالتـي كانـت تقصـف وتدمـر دون أن تعتـبره موجـوداً عـلى سـطحها مـن أساسـه، وإن كان يعامـل معاملـة ضابـط، لكنـه منـسي أيضـاً.

ونسـتون تشرشـل كان بيـدون في أوراقـه المبعثـرة ملاحظـات، وكل البسـمعو بكتبـو طوالي، ودا كان ذكاء منـو كتـب في مذكراتـو بعـد كـرري(لم ننتصر عليهـم بـل أبدناهم،إنهـم أشـجع مـن مشـى عـلى سـطح الأرض، إنهـم همجيـون ومتوحشـون وسـتنتصر عليهـم الحضـارة).

عبـد الواحـد قـال: ونسـتون تشرشـلما ضرب طلقـة واحـدة، ولم يوجـه جنـوده لأنـه كان بـدون مهـام، مجـرد حمولـة زائـدة عـلى البارجـة ملكالـلي كانـت تمطـر سـهل كـرري نـيران مدفعيـة الهـاوزر والمكسـيم وبنـادق لي متفـورد، ودي كانـت أحـدث صيحـة في عـالم السـلاح وقتهـا.

لكـن كان ونسـتون شرتشـل يولـع سـجائره الإنجليزيـة الفاخـرة، ويكتـب عـن محـارق المكسـيم وقتـل الجرحـى واسـتخدام الذخائـر المحرمـة النابـالم، ويشـاهد بي عدسـات منظـارو الخوازيـق وعـلى الرغـم مـن أنـو كان في دكـة الاحتيـاط إلا أنـو بقـى مشـهور بـها كتبـو عـن كـرري وحملـة النيـل.

(4)

وصـار بطـل المعركـة عندمـا نـشر كتابـه (حـرب النهـر) ومقالاتـه في الصحافـة الإنجليزيـة عـن الأحـداث بتفاصيـل، لم يشـترك فيهـا بـل سـمعها مـن خاضوهـا، لأنـه مغضـوب علية مـن قبـل قائـده الماسـوني ميجـور جنـرال كتشـنر الـذي كان يناديـه باسـم الضابـط الـذي اسـتبدله نكايـة بيهـو.

عشـان كـدا نشأ غـل خفي بـين الضابـط الصغـير وقائـده الميجـور جنـرال هيربرت كتشـنر باشـااللي حرمـه متعـة رحلـة الصيـد البـشري باسـم الحضارة،والاتنـين مسـتعمرينمافيهم فائـدة.

(5)

قـال عبـد الواحـد: المـلازم وقتهـا ورئيـس وزراء بريطانيـا في الحـرب العالميـة الثانيـة السـير ونسـتون تشر شـلكان يدون،شـاهد فجـأة70 فارسـاً مـن قـوات الأمـير عثـمان دقنـة ماعندهـم شـغلة غـير حراسـة طريـق أم درمـان بـس سـبعين فـارس، يرقصـوا بأحصنتهـم ومعهـم رايـات لا يهمهـم المـوت المـدور في سـهل كـرري.

وكتـب في مفكرتـه بخـط أنيـق رقصـة مـوت الفرسـان هـؤلاء كأنهـم في حفـل راقـص، كانـوا شـمال خـور شـمبات اسـتغرب لرقصـة المـوت عنـد السـودانيين المتوحشـين المتخلفـين.

عبـد البـين: يرقصـوا في نـص الحرابـة والمـوت واقـع في الدراويـش ديـل ماهـم كـمان.

واصـل عبـد البـين، وقـال: فجـأة حـرك منظـاره تجـاه قيـادة الجيـش الإنجليـزي شـاهد دفعتـه المـلازم بيتيمـن قـوات البحريـة الملكيـة،يتحـدث مـع القائدكتشـنر،ومعه رئيـس قلـم المخابـرات الجنـرال ريجنالـد ونجـت باشـا تابعهـم بي منظـارو وشـكلو كلامهـم مهـم وجـادي خالـص.

كان كتشنر بيقول لليوتانت بيتي اندفع بكتيبة الفرسان الرماحةواحتل مدينة أم درمان أثناءالمعركة، فمعلومات الاستخبارات وقتها تقول إن قوة حماية الشارع المؤدي والـلي بيمر عابر خور شمبات لي أم درمانفيهو 70 فارس بس.

حاج الماحي: الكلام دا كيف؟معقولة الأنصار مخلين الشارع لي لعدد بسيط من الفرسان؟ طبيعي يندفع الإنجليز ويخشو يحتلوها.

عبد الواحد قال: مهمة سهلة للغاية فيها أمجاد لي الملازم الباحث عن المجد والشهرة، والسلاح يحصد الأنصار، ونتيجة المعركة شبه واضحة لتفوق القوة النارية الإنجليزية الـلي صنعوا أسلحة ذات مدى يفوق بنادق قوات الخليفة عبد الله التعايشي القديمة، وتغيرت تكتيكات الحرب، وانتهت أسطورة حروب المجاميع لصالح التسليح والتخطيطوالإسناد.

عبد البين: يعني لو نجح حا يكون مشهور بأنوقوتو أول قوة تخش أم درمان وعييك وضحكوا كلهم.

واصل عبد الواحد وقال: قوات كتشنر تمدها السكة حديد والبواخر والبوارج ومستشفى ميداني متحرك ومعلومات قلم المخابرات التفصيلية عن أم درمان ياخ النتيجة للتحضيرات المميزة كانت شبه واضحة ستة صفرلي صالح الإنجليز.

عبد البين: لاياخ فر جمع الطاغية والنهر يطفح بالضحايا وبالدماء الغانية وضحك.

(6)

عبد الواحد قال: اندفع الملازم بيتي بقوة الرماحة بعنف عشان يزيح القوة الراقصة من فرسان الأنصار والـلي غير مهتمين بالمعركة، وكان الرماحة في وضعية هجوم طاير طيران على فرسان الأنصار.

حـول ونسـتون تشرشـل نظارتـه المقربـة تجاه فرسـان الأنصارعشـان يلقـي آخـر نظـرة عليهـم، ويـدون مـا يـراه فجـأة شـاف في منحـدرات الخـور 700 مـن البجـة جالسـين ورماحهـم إلى الأعـلى في هـدوء وترقـب.

واصـل وقـال عبـد الواحـد: حـاول تشرشـل أنويرسـل إشـارات يحـذر لي دفعتـو الملازم بيتـي مـن الكمـين الـذي شـاهده، والملازم وقوتـه مندفعـين، والفرسـان يرقصـون في مـرح.

صرخ ونسـتون تشرشـل ولكـن مـن يسـمع تحذيـره؟ مـن يهتـم بـه؟ في لعلعـة السـلاح، ولا يهتـم بـه أحـد لا العسـاكر ولا الضبـاط، فهـو مجـرد حمولـة زائـدة في البارجـة المسـلحة ملـك.

حاج الماحي: الله حي والحصل شنو؟

وعنـد اقـتراب الرماحـة المندفعـين انسـحب فرسـانالأمير عثمان دقنـة واختفـوا في الخـور لمدة دقيقـة، وعـبروا الخـور جنوبـاً ووقفـوا يرقصـوا مـرة تانيـة كانـت سياسـة جـر السـنارة وتأكيـد الطعـم.

ابتلـع فرسـان كتيبـة الرماحـة الإنجليزيـة الطعـم بشـهية، وونسـتون تشرشـل بيكـورك وينطـط ويلـوح بي يدينـو الاتنـين وصوتـو انقـرش وبقـى بيرجـف، ومـاف زول شـغال بيهـو أصـلاً، كأنـو مـا موجـود في سـهل كـرري يـوم 2 سـبتمبر 1898م.

ونسـتون تشرشـلبيكورك وبيقـول: لا وقفـوا لا، قدامكـم كمـين، هـوي هـاااا مـازول شـغال بيهـو الـكل ملخـوم في مهمتـه والأنصـار تتسـاقط جثامينهـم في صفـوف وأصـوات الانفجـارات والرصـاص والدخـان والمـوت والعـرق ولهيـب الشـمش مـا مخـلي زول شـغال بيهـو وهـو بيكـورك.

وواصلـت قـوة فرسـان الرماحةالإنجليزيـة ذات الدمـاء الزرقـاء اندفاعهـا، ووجـدت الخـور العميقأمامهـا ولم تكـن هنـاك فرصـة للتوقـف سـوى الاندفـاع والدخـول بحوافـر خيولهـم في كمـين أمـير الـشرق، وقائـد الفطـي وظـي.

(7)

قال عبد الواحد: استقبلتهم قوات كمين الأمير عثمان دقنةبالرماح والسيوف وأعملوا فيهم الأنصال وقتل من قتل وجرى من جريوحصين الإنجليزمايها فرامل رمت الرماحة في حراب البجة والنجا هرب سريعاً عشان يلعق جراحه، وشرشل بيكورك زي المجنون.

واصل عبد الواحد وقال: كان كمين عثمان دقنة الله يرحمو هوالوحيد اللي انتصر، ولكن باقي القوات هُزمت،انسحب البجة بسلام لا خسائر وسطهم.

حاج الماحي: لاحول ولاقوة إلا بالله والله يرحم الأمير دقنة كرري كانت صحي نكبة في تاريخنا والله غالب.

كتب الضابط ونستون تشرشل الليكان في كرري مجرد رحالة وصحفي وبلا مهام (كان عثمان دقنة يستمتع بقتل عناصر الرماحة، ومن هرب من كمين خور شمبات كان هروبه مخزياً).

وقال ونستون تشرشل لي دفعتو الملازم بيتيبعد المعركة حينما سألهبيتي: كيف كان منظرنا ونحن نقع في كمين خور شمبات؟

قال تشرشل:أه منعثمان دقنة كأنكم في يده حبات أرز ويلقي بها في صاج فيه زيت ساخن.

وواصل تشرشل وقال: لقد استمتع دقنة بقتل رجالك وانسحب في هدوء وبشجاعة.

(8)

الغريب أنو السير ونستون تشرشل قاد بريطانيا للنصرفي الحرب العالمية التانية،واشتهر بمساخته وسرعة ردوده، وكان حاضر البديهة وعندو نكات وأخذ جائزة نوبل، لكن ما نسي يوم معركة أم درمان اللي كان قاعد فيهو كنب،ضحك الجميع، وقالوا عايزين تاني قصة.

ولد النجومي

جبة متروزة وحربة مركوزة

ولد النجومي
جبة متروزة وحربة مركوزة

(1)

عبد الرحمن النجومي دا من أحد أبرز أمراء المهدية في السودان وأشجعهم من قزمة الجهلقام يتيم أمه اسمها زينب بت الشيخ إبراهيم جدها الشيخ خوجلي أبو الجاز يعمي ولد صلاح عديل، وهو جعلي ولدوهفي قرية مويس جمب شندي سنة 1854م،أبوهو مات وأمو رحلت لي قرية الصبابي في بحري،أهلها هناك وديل ناس معروفين.

عبد البين سأل عبد الواحد عن كلام ودا وقال ليهو:أول بالتبادي هو اسمو الصاااااحمنو.

ردا عبد الواحد وقال اسمو بالكامل عبد الرحمن ود أحمد ود محمد ود عبد الرحمن ود محمد إدريس، لكن اشتهر بي ود النجومي، ودا لقب ليهو.

وواصل وقال:أول مرة قابل فيها محمد أحمد المهدي في خلاوي الغبش في بربر لمن كان المهدي بقرأعلى يد الشيخ محمد ود الضكير، وبقوا أصحاب وبينم محبة، وفي سنة 1881م كان ود النجومي مسافر لي جنوب السودان، ولمن حصل الجزيره أبا لاقى المهدي للمرة التانية والمهدي، ورّاهو الدعوة بتاعتو وبايعو،واشترك معاو في معركة الجزيره أبا ضد المصري محمد بك أبو السعود،

وهاجر معاو لي كردفان واشترك في كل حوادث المهدية، وبعداك اشترك في تحرير الخرطوم،وكان عندو دور كبير فيها.

حاج مصطفى قال لي عبد الواحد: المعنيإنو ولدو في مويس جعلي ولا ما صاح.

رد عليو عبد الواحد وقال: أاااي جعلي نافعابي وهم أولاد عم النفيعاب.

عبد البين قال: استشهد في كرري ولا مات ساي.

عبد الواحد: أصبر خلاص بحكي ليكم عن ود النجومي في توشكي، بسم الله عليهو، توكلنا.. وبدأ يحكي.

عبد الواحد رد وقال: استشهد في معركة توشكي شمال السودان في يوم 3 أغسطس 1889م يعني قبل 10 سنوات بالضبط من معركة كرري، وخلوني أحكي ليكم قصتو..

(2)

قال عبد الواحد: كان من خطة المهدية فتح مصر، وقد زاد اهتمام الخليفة عبد الله التعايشي بهذا الفتح بعد أن صار السودان كله تحت حكمو، فرسللي رؤساء القبائل والعشائر في صعيد مصر وناس شمال، واستنفرهم للاشتراك في فتح مصر. الجيش الإنجليزي المصري كان قائدو الإنجليزي غرانفيل اللي كان بيقود قوة مشتركة بتعمل في حماية الحدود الجنوبية لمصرمع السودان.

عبد البين: عليالحرام الخليفة ما كان عارف إنو الدنيا اتغيرت وبقت ساهلة، والعلم أضاف معارف وعلوم جديدة في التسليح والنقل، وحتى تصنيع الشراب ذاتوو وضحكو.

حاج الماحي: عليالجزيمة ياهو البهمك من قصصنا موضوع الكبة واستغرقوا في ضحك عجيب.

قال عبد الواحد: كان عبد الرحمن النجومي عاملاً على دنقلا، وكان الأمير مساعد قيدوم من أهل التعايشي وكيلاً له، وكان المستر شرمسيد باشا قومندان حلفا في ٢٨ أبريل سنة ١٨٨٧ انتصر على الأنصار اللي أميرهم النور الكنزي في واقعة صرص، ولكن النجومي أرسل الأمير عبد الحليم مساعد مع جيش احتل صرص.

في أم درمان اعتدل الخليفة عبد الله التعايشي في جلسته والمجلس بتاعو تام بعضويته وجه حديثه للأمير عبد الرحمن النجومي ومعه الأمير مساعد قيدوم بحضور يونس ود الدكيم: إت يا ولد النجومي لمتين قاعد ما تموت زي الرجال الماتو قدامك، لمتين بتحب الحياة، عزلناك من الأمارة وعينا ود الدكيم أمير على دنقلا، وأنت تقوم بي جيشك تفتح مصر.

ود النجومي: الموت والحياة بيد الله والشهادة نعمة كبيرة، ويا سيدي السمع والطاعة أنا بتحرك بي جيشي لي مصر ومنصور الدين بإذن الله.

الخليفة عبد الله التعايشي: منصور بإذن الله وأمر المهدية بالغ، ودا وعد المهدي لينا قوم جهز ناسك.

قال عبد الواحد وهو بيحكي: غادر أم درمان ولد النجومي ومعاهو الأمير يونس ود الدكيم والأمير مساعد قيدوم في جيش كبير، فيهو أربعة آلاف مقاتل ومعاهم نسوانهم وأولادهم من الجعليين والدناقلة والرباطاب والمناصير وقبائل شمال السودان التانية، وديل كانوا متهمينهم بأنهم ثورة مضادة ومناصرين للأشراف اللي ثاروا على حكم الخليفة عبد الله التعايشي.

عبد البين: العارفو أنو جيش ولد النجومي مرق من أم درمان بي تموين ضعيف ولّا أقول بدون تموين أصلاً،عايز الخليفة يتخلص منهم، وإن وفتحوا مصر مكسب وإن انضربوا هم واستراح منو، ولّا مش كدا يا عبد الواحد.

عبد الواحد: أصلاً كان فهم الخليفة إنو الجيش دا تشونو قبائل الشمال بي الأكل والرجال على اعتبار أنو المناطق اللي بيمرو بيها هي مناطقهم، عشان كدا ما أداهم تموين كافي،ودا خلى القوة دي جعيانة وبتعاني في الأكل والموية لأنو كانت القوات الإنجليزية والمصرية منعتهم من ورود البحر، واللي بيجي القيفة بيموت، ودي من أسباب هزيمة ود النجومي في توشكي.

بعد وصولهم دنقلا وبعد صلاة الضهر تلى أمر الخليفة عبد الله التعايشي في الجامع بتولية الأمير يونس ود الدكيم عاملاً على دنقلا.

فقام ولد النجومي ختّعِمتو وشالو وسيفو وسكين ضراعو وحربتو، وأعلن موافقته أمر الخليفة عبد الله التعايشي.

وقال عبد الرحمن النجومي لود الدكيم: أنا بين يديك كالميت بين يدي غاسله، أمرك يا الحبيب ويا مولانا.

يونس ود الدكيم قال:أنت شجاع ومن أبكار المهدية وماعايز ليك إلا الخير، فتقدم لي مصر بجيشك حسب أوامر سيدنا الخليفة عبد الله، خليفة المهدي عليه السلام.

واصل يونس ود الدكيم وقال: أما الأمير مساعد قيدومأنتقوم أخدلك طلقة،أي جرية، فحملالأمير مساعد قيدوم حربته وجرى مسافة وهو يلوح بحربته وعاد كاراً على مجلس ود الدكيم.

يونس ود الدكيم بغرور: كرر الطلقة تاني.

فكررهاالأمير مساعد قيدوم تلات مرات وهو بيجري ويكر بي حربتو وبيكورك في شأن الله..الله أكبر..ولله الحمد.

فقالالأمير يونس ود الدكيم للحاضرين من الأنصار: ما خليتو زي العبد.

حاج الماحي: هوي كلامك دا ما سمعنا بيهو كلو كلو جبتو من وين يا عبد الواحد.

قال عبد الواحد: الكلام دا كتبو شاهد عيان وهو بابكر بدري في كتابو تاريخ حياتي في الجزء الأول اللي بيتكلم فيهو عن المهدية ومشاركتو في جيش ولد النجومي اللي مفترض إنو ماشي يفتح مصر في فترة حكم الخليفة عبد الله التعايشي.

(3)

أهاا ود النجوميا تحرك بالجيش بتاع الأنصار ليمدينة صرص وفركة ومفركة دي قرى في مناطق المحس الفوق ومعه العائلات والأطفال بجيش قوامه ٤٠٠٠ راجل ما شايلين إلا أكل بسيط.

عبد البين: والله الجيش ما يفتح مصر غايتو كانت حماقة وبس.

عبد الواحد: الأكعب من دا كان نقص الموية على الرغم من أنو النيل قريب ليهم ليهم، لكن بواخر العدو بتضرب أي زول بينزل البحر وعطشتهم خالص.

واصل عبد الواحد وقال: وتتعقبهم البوارج الحربية تمنعهم الأكل برضو اللي كان هو التمر الأخضر، فمات منهم عدد كبير، وهم في ضفاف النهر عطشى أو على رؤوس النخيل، فتصيبهم نيران العدو، حالتهم صعبة كانت.

عبد الواحد كلامو وقال: كان جيشاً من البؤساء لكنهم مؤمنين بالمهدية أغلبهم من من عاهد المهدي اتفقنا معهم أو اختلفنا معاهم في فهمهم للمهدية والمهمة الماشين ليها.

حاج الماحي: صحي والله، متوكلين على الله، وما خايفين خالص.

كانت القوات المصرية بقيادة الجنرال الإنجليزي وود هاوس الذي عرف أحوال جيش ولد النجومي وأسباب تحركه الذي عزته مخابرات الإنجليز بأنه تخلص من هذه القوة عشان كدا عمل على فتح حلقة اتصال مع ود النجومي عن طريق المراسلات والجوابات عشان ينهي أي تهديد محتمل ويخت حد لتقدمه ليمصر.

فكتب الجنرال وود هاوس إلى الأمير عبد الرحمن ودالنجومي يدعوه للتسليم وقدم ليهو عروض له أن يحيا كريماً في مصر وإنو مصر هي أحسن حالاً من السودان ليهو ولرجاله وأن مصر جنة فيها الجميلات والأكل الطيب، وكان عايزو يسلم ليهو، وينهي الفي مدا.

فرد عليه ولد النجومي قائلاً قولته المشهورة

(إن كتلناكم لقينا ما قلتوا لينا ودا من فضل الله علينا، وإن هزمتونا ما بتلقوا عندنا غير جبة متروزة وحربة مركوزة). ودارت عدة معارك واشتباكاتآخرها في توشكي استشهد فيها ود النجوميوعدد من الأمراء، وتم أسر عدد كبير منهم وتم ترحيل الأسرى إلى مصر.

(4)

كان ود النجومي من القادة الأفذاذ ما هاب الموت اللي كان ماشي عليهو، وظل وفي لي بيعتو للمهدي، على الرغم من أن الخليفة ظلمه ظلم حار،قالهاعبد الواحد.

وواصل بفخر: ناس ود النجومي كانوا ما ناس دنيا ولا سلطان، حاربوا بي شرف، وماتوا وهم رجال عشان البلد.

رد عليه عبد البين: ياخ أسكت كان مشى مصر ما كان أحسن ليهو من حرابة بلا بيعة ولا غيرو.

ضحك عبد الواحد وقال: ماف أحر من تعب الأسر وذلة السجن، أقوليك جبة متروزة وحربة مركوزة دا أبلغ رد وليهو وللكل على شجاعتو وعدم نكوصو عن بيعتو للمهدية. استشهد ولد النجومي وهو ماسك سيفو.

***

بعشوم الادو

عربي دفع الله

بعشوم الادو
عربي دفع الله

(1)

قال عبد الواحد وهو يحكي لمن حوله يا أصحابي البلد الطمعانين فيها كتار والحصل فيها ما هين عشان يروح ساي، لازم نتذكر كل القصص اللي حدثت فيالشمال والجنوب والغرب والشرق ووسط السودان، وأي حاجة لازم ما ننساها عشان نعرف تاريخنا، ومنو الكان بلعب بي البلد دي؟ والاستعمار كلو شر وما بمجدوا عاقل تب.

لو جيت أتكلم عن جنوب السودان في فترة نهاية حكم الترك وبداية المهدية بنلقى أنو فظائع ارتكبها الترك منسية، ودا الوكت عشان نحكيها ونطلعها بره.

عبد البين: ما سمعت المثل البيقول الترك علمونا لبس القميص وحلو الحديث.

عبد الواحد: والله الدخلوا في البلد دي ما مرق من الفتنة بين أولاد البحر والغرب من زمن غردون، ودخلوا الرشوة والمحسوبية والزار الواحد دا، وكمان لي أول مرة يدخل اللواط ومحافل الماسونية كلو في زمنهم وياريت لو كانوا ترك.

عبد البين: الما بتدورو بتحدر لي في الضلمة وضحكو.

حاج الماحي: الليلة عبد الواحد زعلان خبارو لامي في الجماعة زي ما بيقولو مذمة.

(2)

اعتدل عبد الواحد وقال: كانت الأطماع لي احتلال السودان من قبل القوى الأوروبية المتنازعة فيما بينها تستهدف أرض السودان من بلجيك وفرنسيين وإنجليز حاولوا يجو من يوغندا لي جنوب السودان، وحاول الطليان أيضاً التدخل في شرق السودان عبر كسلا، وكمان برضو قام الملك منليك إمبراطور الحبشة باحتلال الناصر والقلابات والروصيرص وإقليم بني شنقول وتوغل إلى كركوج، بل وادعى الإمبراطور منليك في إعلانو للقناصل الأوروبيين في أديس أبابا أنو حدود إمبراطوريتو مقرن النيلين في الخرطوم والنيل الأبيض، وكانت هذي المحاولات للتوسع واحتلال السودان في آخر أيام حكم الخليفة عبد الله التعايشياللي كان مشغول بالجردة التركية الجاية من الشمال.

حاج الماحي: ديل كلهم عايزين خيرات البلد دي وبرضو في ناس بيشكروا المستعمرين؟

عبد البين: هي لكن زولك ود تورشين هو الضيقا على الناس في عيشتهم عشان بقى هدف لي أي خواجة عايز يغني أو يملك واطة.

أخطر حملة كانت بتاعت الفرنسيين اللي وصلوا لحدي فشودة وعملو حداشر نقطة وحاربهم الخليفة عبد الله التعايشي، وقبل ما تتم هزيمتهم هزم الخليفة عبد لله التعايشي في كرري وحكيت ليكم القصة دي.

حاج الماحي: بالحيل عارفنها يا حاج عبد الواحد الجديد المزعلك شنو؟

عبد الواحد: وكمان جو البلجليك ووصلو لحدي الادو وحاربهم الأنصار لكن ما حقق قائد حملتهم الكابتن قورتماندي نصر ورجع بلدو. والبلجيك مسكو كل غرب الاستوائية وعملوا فيها نقاط عسكرية قوية.

عبد البين: والله مشاكل ماليها حد ياخ الله يستر التاريخ ما يتكرر بسبب فشلنا.

(3)

عبد الواحد بقى بيحكي وقال: أها وقعت الحرابة في كرري وكانت فها زيطة. الأنصار وقفوا لكن مكن الإنجليز كتلهم بالجملة، وكان العالم مشى لي قدام ولسع نحن مع الخشخشان وبندقية أب لفتة، ودقو فيل ومرمطون ومرتين وشنو ماعارف من البنادق القديمة.

جاء كتشنر شايل سلاح متطور بندقية اللي متفورد الحديثة والمكسيم والهاوزر ديل أول مرة يحاربوا فيالسودان عشان جنس الفرق دا في التسليح والتخطيط، وكمان بي البوارج الحربيةالكبيرة والسريعة، وكمان القطارات اللي قصرت زمن السفر والتقدم نحو كرريالي بقت مجزرة رهيبة في السودان.

عبد البين: دي حرب بين عالمين مختلفين تماماً عالم ما اتطور ومتمسك بي سلاحو وتكتيكو القديم القائم على المواجهة والمبارزة والطعن والرفس وعالم دخل في ثورة صناعية وتحديث فظيع في نوع السلاح وبعد المدى وحجم التدمير عشان كدا الصناعة والتروسهزموالحربة والسيف والجواد وناس زولي وزولك وسد الفرقة.

حاج الماحي: والله ماشاء الله شايف التحديث والتكنولوجيا وصلتك تب بقيت تتكلم زي المثقفين وكانت معاها ضحكة وضحكوا كلهم.

عبد البين: ياخ أنا ما عرست بدري وشلت الشيلة كان عالم ومفتي عديل كدا، ما زيك أنت من الكتّاب طردوك بي الباب والمدرسة ما شفت،وشغلوك ياهو لحدي ما شلت المعاش.

عبد الواحد: هوي أسكتوا، عليالحرام كل ما تكبرفي العمر بتتعلم كل يوم،وتكتشف أنك جاهل الإنسان، لازم يزيد من معارفو يقرأ، ويسمع ويشوف عشان إتطور.

واصل عبد الواحد وقال: بعشوم الادو عربي دفع الله واحد من أشجع قواد جيش الخليفة، وشارك في تحرير الأبيض، وحملة أبوعنجة على جبال النوبة وفي الحروب الحبشية، وكان تحت قيادة الأمير هنون النيل، ولكن هنون آمن بي نبوة آدم محمد في القلابات، وقال أنا نبي الله عيسى وبقى من أنصارو، فقتل الأمير هنون النيل وحذف إسمو من وثائق القلابات والأعدمو الأمير يونس ود الدكيم وظهر نجم عربي دفع الله بعد مقتل هنون الهباني.

واصل وقال: دا كلو هين، لكن الدور الأخطر ليهو كان في الاستوائية لمن اعتقل الأمير محمد عثمان أبو قرجة وإسماعيل الكردفاني ومحمد شجر الخيري ومحمد خالد زقل، وديل كلهم أهم وأعظم منو في المهدية،وكمان أشرف على السجن الأفظع في العالم سجن جزيرة الرجاف المرعب بحكي ليكم عنو.

عبد البين:والله كلامصعب وفتن ياها ما ظهر منها وما بطن.

حاج الماحي: يازول إدارة الدولة عايزة حزم بعدين ما تحاكم قضايا قبل مية وخمسين سنة على فواتها بي منطق الليلة حاكمهم بي منطق تاريخهم بتفهم الحدث، ولا دا ما كلامك يا حاج عبد الواحد.

عبد الواحد: حاج الماحي كلامك سمح بالحيل.

(4)

قال عبد الواحد: من خلال عمليات استجواب أسرى الأنصار في أم درمان وفشودة بعد نهاية معركة كرري كانت الأسئلة التي تبحث عن إجابات عن أيمحاولات للتدخل الغربي لاحتلال جنوب السودان؟

كانت مهمة قلم المخابرات بقيادة ونجت باشا إنو يرصد مش حركة السودانيين وبس حتى تحركات جيوش الأوروبيين الطامعين في بلدنا، ودا مش عشان الإنجليز بحبونا لكن عشان مصالحهم هم.

عبد البين: كلامك صاح هم جو عشان مصالحهم وكاتلوا فيها يخلوها بي إرادتهم المعنى.

حاج الماحي: لكن دا ترابهم البيجيبهم شنو هم ذاتم محتلين؟

عبد الواحد واصل وقال: لأنو الإنجليز ماكانوا عايزين أي منافسة عايزين البلد اللي كان بيحكمها الخليفة ومن قبلو الخديوي، واعتبروها واحدة من حياذاتهم، وما عايزين أي خواجة يمسك منها متر واحد.

(5)

كانت الإفادات اللي اتحصل عليها الإنجليز من الأسرى الأنصار أنو كان في أسير أنصاري أداهم قصة خلتهم منتبهين.

قال الأنصاري الأسير: في العام 1897م دخلت قوة مسلحة خواجات جايين من الكنغو.

واصل الأنصاري في الاستجواب، وقال: مشينا نشوف خبرا الوكت داك أنا كنت ضمن قوة الأنصار في الاستوائية هذه القوة بتاعت العدو في مديرية الاستوائية، وكنا بنقول ترك لحدي ما عرفنا إنو القوة دي تتبع لملك البلجيك ويقودها ضابطاسمو قورتماندي.

سألوا الضابط الإنجليزي: أها وبعد ماعرفتو سويتو شنو؟

الأنصاري: جانا أمر نقوم بي كتلهم لكن ما اتحركنا عليهم طوالي لأنو كان في مشاكل بين الأمراء الكبار عندنا.

الضابط الإنجليزي: اشرح كلامك كويس ما فاهم.

كان جاناالأمير عمر صالح، وكان نشيط، ودا في زمن الترك داقشهم لحدي ما انسحبو لي يوغندا، وكان قايد الترك أمين باشا.

الضابط الإنجليزي: أهاا واصل.

الأنصاري:بعدو جانا أب قرجة ودا من أكابر المهدية وقريب المهدي وراجل ما هين واصل جهادو، وكانت الناس بتحبو شديد.

الضابط الإنجليزي: وحصل معاهو شنو أنحنلقينا عربي دفع الله.

الأنصاري: لمن قامت ثورة الأشراف جاء عربي دفع الله على اعتبار أنو تحت قيادة أبو قرجة، وفي يوم في نص صلاة الضهر قاموا البقارة اللي في الديم ربطوأبو قرجة بي الحبال وطوالي قروا للأنصار خطاب من الخليفة عن أبو قرجة واشتراكو في الجوطة والتمرد بتاع الأشراف والحكم عليهو من قبل الخليفة عبد الله التعايشي بالسجن في جزيرة الرجاف.

الكلام دا عمل بلبلة وقاموا ناس منهم واحد اسمو يوسف،ودا كاتب ومعاهو أنصاري تاني نسيت اسمو، لكن هو بقولوا ليهو راس مية يعني قائد مية نفر،ديل حاولويكتلو عربي دفع الله وبقت الحالة في ديم الأنصار ما ياها وكشفوهم.

الضابط البريطاني قال للأنصاري: واصل دا كلام كويس وكورك عسكري جيب موية للراجل.

قال الأنصاري: اشتبكت قوات ملك البلجيك مع الأنصار.

كاتب في قلم المخابرات اللي حاضر الاستجواب دوّن الآتي:(لقد هزم البلجيك الدراويش وهزموهم وقواتهم من جنب جبل الرجاف في 14 فبراير 1897م، الأنصار كانوا تحت قيادة الأمير عربي دفع الله وقد تراجعوا إلى بور حيث مقر قيادتهم) إفادات الأنصاري س. ج.

كما أنالإنجليز تحصلوا على معلومات من خلال الاستجوابات التي قاموا بها بأن الخليفة لم يعمل على دعم قواته لدحر البلجيك الذين أيضاً تراجعوا بعد

اشتباكهم مع قوات الأنصار، وذلك على حسب المعلومات الاستخبارية التي توصل إليها قسم قلم المخابرات برئاسة الجنرال ونجت باشا وبقت موثقة في تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان 1898م.

والإنكتب كتير عن الأحداث في الفترة ديك قالها عبد الواحد لكن المنسي كتير خالص.

(6)

عبد الواحد قال: في الوكت داك كان عربي دفع الله التعايشي جاء الاستوائية وقاعد في الادو وسجن أمير البرين والبحرين أبوقرجة ومؤرخ المهدية إسماعيل عبد القادر الكردفاني ومحمد خالد زقل ومحمد شدر الخيري ومعاهم زي 95 من الأشراف في سجن جزيرة الرجاف، وجو البلجليك بقيادة كابتن قورتماندي وهزموا الأنصار وحرروا المساجين اللي مات جزء كبير منهم بسبب المرافعين والحشرات والمصايب في سجن جزيرة الرجاف السيئ السمعة.

أهااا قولوا الإنجليز لمن مسكوا أم درمان والخليفة ود تورشين طلع منها لي كردفان ومعاهو عدد زي الأربعة تالاف.

سمعوا ليك الإنجليز من واحد أمير جاي من فشودة اسمو سيد صغير ولا صغيرون من ناس كلي، جعلي جايي وماعارف الخليفة إتهزم، ووقع في الأسر طوالي وسألوه جايي من وين؟ قال من فشودة في سواحين بيض احتلوها؟

الإنجليز قالوا خلاص ديل الفرنسيين ولا البلجيك وجن جنونهم وطوالي ركبوا البوابير وجري على فشودة ودا مدخل القصة، ياولد قول لي أمك الغداء وين؟

(7)

أهـاا قبـل كـرري بي شـهر كدا..قالهـا عبـد الواحـد وهـو بغسـل يـدو ولا أزيـد إمكـن أااي اتذكـرت.

وقـال: في يـوم 29 نوفمبر 1898م رسـل الأمـير عـربي دفـع الله الـلي قالـوا عليهـو بعشـوم الادو سـبع رسـائل لي الخليفـة عبـد الله، وكان عـربي عبـد الله اعتقـل الأمـير محمـد عثـمان أبقرجـة أمـير الدراويـش، وبيـشرح في ملابسـات الأوضـاع وظـروف اعتقـال أب قرجـة وجماعتوواختـار رئاسـتو تكـون في بـور.

واصـل عبـد الواحـد وقـال: لكـن رسـائل الأمـير عـربي دفـع الله الـلي رسـلها مـع رجـال مؤجريـن بي قـروش مـن قبيلـة الدينـكا مـا وصلـت لي فشـودة عشـان يتـم إرسـالها لي الخليفـة عبـد الله التعايـشي في أم درمـان.

حاج الماحي: كيف رجال مؤجرين بي قروش؟ ديل أنصار عدييل.

عبـد البـين: في دينـكا وفراتيـت أنصـار كانـوا وحاربـوا معاهـا، لكـن الرسـلهم عـربي دفـع الله مـا كانواأنصـار لأنـو خايـف يقبضـو أي أنصـاري عشـان كـدا دفـع ليهـم.

حاج الماحي:ورينا يا حاج عبد الواحد.

عبـد الواحـد: دي مـا النقطـة الأساسـية المهـم إنـو عـربي عايـز يوصـل للخليفـة الوضـع عنـدو لأنـو كان عايـز دعـم بي الذخايـر والرجـال عشـان المشـاكل مـن كل اتجـاه جايـة عليهـو.

عـربي دفـع الله كان بعيـد عشـان كـدا الرسـائل وقعـت في يـد العدو،وعرفـوا إنـو ناقـص ذخيرة وعنـدو تمـرد في ديشـو، وحصلـت أنهـم كان عايزيـن يضبحوهـو، وهـو نايـم أكملهـا عبـد الواحـد، وقـال ليهـم نتلاقـى بعـد العصربـإذن الله.

(8)

وبعد صلاة العصر مرق من الجامع عبد البين وحاج الماحي وجو طوالي على ضل الدكان، وانتظروا عبد الواحد اللي وقف مع جماعة من المصلين في حوش الجامع.

بعد المطايبة والسلام حاج الماحي قال بي استعجال: أهاا كنا وين وبقينا وين؟

رد عليهو عبد الواحد: كنا تحت ضل دكانك ومشينا اتغدينا وصلينا وتاني جينا لي ضل دكانك دا وضحكوا من كلامو.

قال عبد الواحد وهو بيمسح ويبرم في شنبو: فور وصول قائد القوات الإنجليزية كتشنر باشا الذي احتل السودان من كم يوم بس إلى فشودة عشان يشوف شمار الرجال البيض ديل شنو.

واستطرد عبد الواحد: وكان مع كتشنر عدد من البوابر الحربية وبيرافقوا ونجت باشا وماكسويل وبيكي الشقي، حكيت ليكم عنو، وضحكوا.

حاج الماحي: أي حكيت عنو، لكن معاهم جيش براهم كدة؟

عبد البين: أصبر ها زول.

قال عبد الواحد وبعاين في حاج الماحي: مشى ومعاهو كتيبة من الكتائب السودانية، ودا كان يوم 10 ديسمبر1898م، يعني كدا بعد كم يوم من معركة كرري، ودا بورينا أنو الإنجليز كانوا مقلقين من أي تقدم لأي خواجة، كأنو البلد دي ما حقت ناس أصلو، ولقوها فاضية زي القطب الجنوبي.

حاج الماحي: ما اختلفنا أهو زي كلامي.

عبد البين: كلامك صاح يا شيخ عبد الواحد البلد بي ناسا لكن دا قانون القوة في الوكت داك ما بتحمل أي تنافس.

حاج الماحي:ونحن لينا الله وعيشة السوق.

(9)

في الخرطوم كان قسم قلم المخابرات اتحصل على رسائل الأميرعربي دفع الله، وحولوها لي قسم التاريخ اللي كان بيديرو نعوم شقير عشان يشوفو الجديد شنوفي الاستوائية قبال سنة من معركة كرري.

شقير قال لي الضابط المعاهو: الجوابات دي كان من المفترض أنو تصل لي أم درمان لإبلاغ الخليفة وتنويرو بالأحداث في جنوب السودان في الوكت داك، وواصل وهو بقلب في الأوراق اللي تعبت من السفر والتنقل، واتمسح جزء منها.

قال نعوم شقير: كشفت الرسائل أوضاع قوات الدراويش في الاستوائية ومعاركهم مع البلجيك وأعدادهم وتسليحهم.

رد عليو الضابط: دي قوة ما ممكن تحارب بدون إمداد من زمن طويل، وما اتصلت بي قيادتها وماعارفة تحارب في ياتو اتجاه.

نعوم شقير: منو القاليك إنت؟ليك كم في السودان؟

الضابط:شهرين ونص.

نعوم شقير: عندنا درويش واحد عندو طلقة واحدة بتاعت رامجتون كتل بيها الجنرال ايرل في معركة الكربكان، تقول كيف ما بيقاتلوا، لازم تفهم أنو الاستسلام آخر حاجة يتمسك بيها المحارب السوداني.

نعوم شقير فتح ملف كبير قدامو، وقال: في يوم 31 يونيو وصلت الرسائل المرسلها عربي دفع الله لي قيادة القوات الإنجليزية في فشودة في إقليم السوباط اللي كان قائد الحامية الميجور جاكسون وصلت الرسائل ومعها الشلكاوي المدعو كيوكوان ود الرث اللي مات بيحارب مع الحكومة في معركة قدير في كردفان، وكان عايز يرجع ويكون حاكم على الشلك، وطالب إنو يكون رث شلك،وهو اللي شال الرسائل من الدينكا وسلمها لي جاكسون.

واصل نعوم كلامو: وكان مفترض تمش أمدرمان مع رسول دينكاوي يديها الخليفة عبد الله التعايشي، ولكن الرسائل اتأخرت كثير ووقعت في يد قوات الاحتلال الإنجليزي وسلمها الرث بتاع الشلك كيو كوان.

(10)

حوت الرسائل معلومات قديمة تعود للعام 1896م يذكر فيها حرب الأميرعربي دفع الله ضد قبائل النيام نيام في الأول من شعبان 1314ه الموافق 5 يناير 1897م، ويصف فيها قتالو للسكان، وإحضارهم أسرى لي الرجاف مع كميات ضخمة من سن الفيل.

كما تشير أيضاً إلى أنه في صباح الأحد 13 رمضان 1314هـ الموافق 15 فبراير 1897م البلجيك هاجموا الدراويش في الرجاف وقتلوا 93 درويش، وأجبروهم على الانسحاب إلى بور،وتركوا خلفهم مدفعين في الرجاف، الأمراء الذين قتلوا الأمير عمر صالح والأمير محمد خير بادي والأمير محمد حمدنا الله والأمير محمد الطريف والأمير عليود فايد والأمير ود الرقيق...الخ. البلجيك فقدوا 10 من القتلى و16 من الجرحى. كما تشير المعلومات اللي تم التحصل عليها بأن عدد الدراويش الموجودين في بور 700 دوريش مقاتل. ليست لديهم ذخائر ويحملون السلاح لقمع السكان المحليين فقط. تسليحهم الفاعل عبارة عن الرماح اللي غنموها من السكان المحليين في بور اللي بيصطادوا بيها السمك ويفتشوا بيها عن الأكل.

(11)

عبد الواحد قال: بعد هزيمة عربي دفع الله بعشوم الادو في الادو انسحب ليبور وكتب جوابات بي المعنيدا للخليفة ورسلها مع الدينكا.

واصل وقال: بعد وصول الأنصار تحت قيادة الأمير عربي دفع الله لي بور تم إعدام كل من يوسف الكاتب وراس المية بخيتواعتقال إسماعيل عبد القادر الكردفاني،ودا على خلفية اتهامهم بقيادة مؤامرة والعزم على اغتيال الأمير عربي دفع زي ما قلت ليكم اتفقوا يضبحوا، وهو نايم،وتم العفو عن البقية المشتركين في المؤامرة بعد أن حلفوا على المصحف الشريف.

نعوم شقير قال: الأمير عربي دفع اللهاستكشف النهر لي منطقة السدود ورسل بابورو الوحيدة اللي اسمها كاو كاو اللي فيها مدفع واحد إلى أقصى الشمال فيغزارات الكلاب.

الضابطالإنجليزي سأل شقير وقاليهو:الفائدة اللي بلقاها شنو من الاستطلاع دا؟ وليه لحدي المشرع بتاع غرازات الكلاب بالذات؟

نعوم شقير ضحك وقال: عربي دفع الله انتظر حتى يتم فتح وتأمين النهر عشان يصلو الدعم العسكري من قبل الخليفة، لكن ما كان عارف إنو أم درمان كانت مشغولة بي أخبار الحملة الجاية من الشمال لأنو كان مقطوع من العالم تماماً.

يملك عربي دفع الله كميات ضخمة من سن الفيل في مخازنو مع سلع نقدية،إلا أنها غير مفيدة ليهو، لعدم قدرتو على التحرك، قالها شقير، وهو يمد الملف للضابط الإنجليزي، وقال ليهو نعوم: اقرأ الملف دا بي عناية.

قال عبد الواحد: في يوم 20 سبتمبر 1898م في السوباط أرسل السرادار رسالة إلى أمير الدراويش في بور، وكذلك أرسل رسالة إلى ماكدونالد في يوغندا يعلمه فيها باستيلائه على أم درمان.

قرأ الضابط الإنجليزي العديد من البرقيات ومنها في يوم 9 نوفمبر 1898م وصلت تقارير تقول إن ماكدونالد قد وصل إلى فاتيكو، وإنه كان يعزم أن يصل إلى مكان القوات الإنجليزية إلا أن هناك تمرداً منعه من التقدم شمالاً، وفي يوم 12 يناير 1899م وصل تلغراف من ممبسا والميجور ماكدونالد ذكر في برقية له أن الكابتن كيركباتريك وسبعة من رجاله قتلوا في مكاوي وشرق ديفيل في شمال يوغندا، في 29 نوفمبر 1898م الميجور ماكدونالد ذهب إلى هناك.

كما ان الليوتانت كولنيل ماتير كتب من ديفيل في 29 سبتمبر 1898م: الجهد الذي بذل لاحتلال وادي يلي وديفيل لم ينجح، أنا أبحرت في هذا الجزء إلى بور، وكنت أطمح أن ندفع عدونا إلى موقي، كيري وبدين، وأتمنى أن أجد مستوى المياه جيد، لكي أتمكن من العبور إلى الضفة الشرقية، لكي أصل إلى المقاطعة التي تحكمها إنجلترا. عند وصولي إلى المنطقة بالقرب من بدين كنت أتمنى لو أن أزور قائد البلجيك في الرجاف، ولكن علمت أنه في الادو. بتاريخ 18 أكتوبر وصلت إلى منطقة بدين بالاستوائية في 18 أكتوبر وفيها فتحت قاعدة متقدمة. الحديث عن شمال يوغندا.

قال عبد الواحد: برد السودان للإنجليز بعد انسحاب الفرنسيين، وكان قد مشت عدة سنوات على انسحاب قوات ملك البلجيك، وانسحاب الحبش برضو.

وواصل وقال: اتقدم الكابتن بيكي الشقي بالبابور الحربي أبوكيلة، وبدأ يرسم في خرائط للأنهار، ويستمتع بي سخونة الجو والمناظر الخلابة والحياة البرية، وبي البابور زار أغلب الأنهار في جنوب السودان.

وكتب مذكرات عن الأرض والسكان والموارد، وأكمل التقدم في مناطق الاستوائية، إلا أن مذكرات الإنجليز أشارت إلى أن الطقس سيئ، وأن السكان بدائيون ويصعب التحكم فيهم، لكن الأرض عبارة عن جنة بكر تستحق العناء والدماء.

حاج الماحي: خواجة ود الإيه التقول دي دار أبوهو شم التراب دي بلدك؟

عبد البين: يشم شنو؟ بيكي ما نزل من البابور، والبابور بتاع الخواجات ماف تراب يشمو، وغرقوا في حالة من الضحك الجميل.

***

أبو رفاس في سنجة عبد الله

أبو رفاس في سنجة عبد الله

قالوا زمن الإنجليز في مفتش مصري مشهور بياسم أبورفاس، أها المفتش المصري دا كان طويل وعاجباهو روحو راكب حصانو شغال في الناس ذلة شديدة، وسنجة كانت دار كنانة ورفاعة وعقليين وقبائل السودان كلها، وكانوا الناس زهجانين من الإنجليز والمصريين وحركاتهم الكعبة.

(1)

قلت وأنا بحكي إنو أسماء المدن والقرى والفرقان في السودان ارتبطت بأسماء أشخاص أوالبيئة، فمثلاً الطلحة والهشابة وأم روابة وشبشة الشيخ برير والشيخ الطيب أمرحي وكدا.

عايز أحكي عن مدينة جميلة وقاعدة في خصر النيل، وهي منطقة تمازج وتعايش وزراعة وعلم وكرم وشجاعة، سنجة عبد الله وكلمة سنجة نفسها فيها كلام كتيرلأنو السنجة تعني الوزنة أو الحديدة اللي مقدارا رطل أو كيلو أو غيرها،وفي معنيتاني كمان سيوف السنج، ودي سيوف مشهورة وقوية، والإنجليز كانوا بيقولوا على سيوفهم السنج.

ودا ما القصد لكن منو هو عبد الله اللي ارتبطت بيهو سنجة، وصار من أعلام السودان والشخصيات المعروفة؟

وبالمقابل كان المأمور الحقار أبورفاس قاعد برضو في سنجة والإتنين حارين وصعبين، وهم على طرفي نقيض، عشان كدا لازم تقع مصيبة في سنجة في الوكت داك.

(2)

الحسن ود عبد الله الكناني من رجالات قبيلة كنانة، وهي قبيلة كبيرة تنتشر في السودان، وتمتهن الرعي والزراعة، وبعد نشوب المهدية حاربوا مع المهدي في كل وقائع الثورة، وقدموا أرتالاً من الشهداء والجرحى.

وبعد كرري عاد رجال كنانة لي قراهم ومدنهم، لكن جزء منهم كانو زهجانين وزعلانين ودايرين أي فرصةللثورة،وفي رجال رضوا بي حكم الإنجليز، لكن الإنجليز بدوا في تنظيم الأراضي في السودان، في ناس شافوا حقوقهم بتضيع قدام عيونم، وبدوها لي أغراب،استولوا على مالم يمكنهم الاستيلاء عليهو،عشان كدا أبديجزء منهم غضبهم وتجمعوا حول عبد الله ود الحسن الكناني،ودا كان ثائربرضو والكلام دا في سنجة، وفي قرية جنب سنجه بدأت اجتماعات وتجمعات الأنصار والحكومة الاستعمارية غائبة عن تلكم الأنشطة.

(3)

عبد الواحد قال: كان في مصري اسمو زكي قبطي في حكومة السودان الاستعمارية ونقلو جديد لي سنجة، عينوهوفي وظيفة مأمور، وكان نشاطو زائد وكثير الحركة،ويلف الشوارع،وهو راكب حصانو يتفقد ويكورك في وش الأهالي، وهوما عندو أخلاق، وبعد داك بيصل لي مرحلة متأخرة ويقوم بيرفس بي كرعينو ذي الثور الهائج ولا بهمو الرفسو منو.

واصل وقال: الكلام دا زي ما بيقولوا ساقوا للموت بي كرعينو وساعد في قيام الثورة ضد الإنجليز، لأنو المواطنين شعروا بالمهانة، وأنو لازم يعملوا حاجة.

حاج الماحي: والزول دا عاجباهو نفسو فوق شنو؟ ما لقى البأدبو؟

في الوكت داك في سنجة كان عبد الله ود الحسن من الناس المهمين في نص الأنصار، وما عاجباهو حركات الإنجليز الكفار ولا القبطي المغرور، وكان بدعو الناس عشان يثوروا على الحكومة في شان الله.

اتفق عبد الله ود الحسن مع رجالو إنهم يبدوا بي أب رفاس في يوم مرورو في سوق سنجة ويهجموا عليهو ويلحقوهو أمات طه.

عبد الواحد: أنا ماشي عليك أصبر شوية.

أها في يوم من الصباح أبورفاس ولّا زكي راكب حصانو ومعاهو العمد والشيوخ وعاملين مرور لاقاهم عبد الله ود الحسن.

وقبال ما يتكلموا هجم عبد الله ود الحسن وبي سيفو كف قطع كتف المفتش، وخلا دمو يشر، ووقع في الواطة.

أهااا العمد سووا الجري هم والعساكر وخلو زكي أبورفاس يشخر في الواطة.

العساكر والعمد وصلوا مركز سنجة واتلقاهم عمدة سنجة وقاليهم بي إذني تضربوا جماعة عبد الله ود الحسن.

أها العساكر شالوا سلاحهم ومشوا حتة كتلوا أبو رفاس ولا زكي القبطي، كلو واحد.

ولقوا عبد الله ود الحسن وناسو متلمين وهم بيعرضوا منتشين بي فرحة النصر طوالي فتحوا فيهم نار كتيرة من مواقع ضربنار قريبة ومؤثرة.

استشـهد عبـد الله ود الحسـن وعـدد مـن ناسـو لأنـوا ما عندهـم بنادق إلا سـيوفهم وحرابهم.

وانجرح عدد منهم والباقي قبضوهم أسرى وختوهم في سجن المركز.

المأمـور زكـي أبورفـاس دفنـوه في مقـبرة وعملـو فيهـا بنيـان عرفـت بمقابـر أب رفـاس. أمـا عبـد الله ود الحسـن اندفـن في كل قلـوب أهـل سـنجة والسـودان، ومـن ديـك وعيـك بقـت اسـمها سـنجة عبـد الله، وغـارت سـيرة أب رفـاس وارتـاح النـاس.

***

نبي القلابات

البرقاوي

نبي القلابات
البرقاوي

(1)

زي ماقلتليكم إنو القلابات كانت المنطقة الحصل فيهاالصراع الدامي بين الحبشة والمهدية، ودا كلام طبيعي نتيجة لتعنت الدولة المهدية والدولة الحبشية، عشان كدا بقت المسرح الخلاف الديني واتمسك كل طرف بدعوة الآخر لي دينوا ووقعت فيها معارك كتيرة انتهت بمقتل إمبراطور الحبشة، وعرفوها بي كتلة القلابات اللي انتصر فيها الأنصار على الحبوش.

عبد الوحد كان قاعد في ديوانو الكبير ومعاهو أصحابو اللي جو معاهو من الجامع وحلف عليهم إنو يشربو معاه القهوة في ضل ديوانو وقعدو في ونستهم.

قال عبد الواحد بيحكي: ولأنو القلابات كانت سوق تجاري كل طرف برضو سعي عشان يجمع منها الضرائب والعشور، وكان في القلابات التكارير من السودان والجبرتة من الحبش، وفي نفس الوكت كانت الملاذ الآمن للمعارضين لي نظام الحكم في الحبشة وبيجوا وبقعدوا لأنو نفس معارضين الخليفة وحتى الحاميات في نهاية التركية بقت تلجأ للحبشة، ودي كمان مصيبة قديمة ومتجددة في علاقات الحبش والسودان عشان كدا أنحن بنقول علاقتنا مع الحبش لازم تكون حلوة.

عبد البين: حلوة دي أهم حاجة كان في الفرح المعبي في القزاز ودا عارفنو ولا الما بقدر أقولو. وضحكوا على تعليق عبد البين.

حاج الماحي: والله ياهو البتعرف ليهو عمك قصدو علاقاتنا السياسية ما المزاجية. وواصلو ضحكتم.

واصل عبد الواحد وقال: إضافة لي إنو المنطقة بتاعت انتاج وقامت فيها مشيخة تكارير القلابات في التركية السابقة، وكان أشهرهم إدريس صالح شنقة، دا كان شيخ المشيخة وقرأ في الأزهر وخلف الشيخ جمعة اللي اعتقلو الترك وختوهو في السجن، وود شنقة هو البقى شيخ مشيخة القلابات.

عبد البين: إدريس شنقة من الناس المعروفين بي عداوتهم للخليفة والشيخ جمعى للترك لمن سجنوهو.

عبدالواحد: كان إدريس صالح شنقةوكيل الشيخ جمعة وبقى الشيخ الأبرز في تاريخ القلابات، وكان ود شنقة قرأ في الأزهر وراجل عالم وعارض المهدية، ووقف ضدها، عكس تكارير السودان التانيين لحدي ما هرب لي الحبشة وبقى مصدر إزعاج في القلابات ومناطق الحدود بالنسبة للأنصار.

عبد البين: والله الراجل عاقل مالو ومال الجبب والدقو وقلعو قروشو.

حاج الماحي: الراجل ضيع مشيختو وأهلو وخت نفسو بين الأنصار والحبش زي ما بقولو بين مطرقة وسندان كلهم داسو.

واصل عبد الواحد وقال: أها بعد المهدية عينوا أمير من الحتة دي اسمو صالح ود الأرباب وخش في دوشمان مع الحبش وكتلوهو وخربوا القلابات،وجاء بعدو يونس ود الدكيم، وجاء جيش حمدان وكانت المهدية بغيرو جوةأراضي الحبش برسلوا سرايا.

عبد الواحد واصل وقال: قبل معركة القلابات اللي كتل فيها الأنصار الملك جون أو يوهانس مات القائد حمدان أبوعنجة ومسك الرئاسة الزاكي طمل، وهزم الحبش هزيمة كادت تعصف بي إمبراطوريتهم لحدي ماجاء الإمبراطور منليك ومسك الملك، وكان زول عاقل وقوي ونجح في توحيد الحبش بعد صراعات في الحكم.

(2)

أها في الزمن داك اللي كان قاعد فيهو جيش المهدية في القلابات ظهر واحد تكروري، والتكارير هم مهاجرين من غرب إفريقيااستقروا من زمن في القلابات، وفي أماكن كتيرة في السودان،وجوا حجاج ماشين بيت الله أو فيهم ناس جوا للمهدية، لأنو عندهم نبوة بتقول المهدي بظهر في الشرق، ولمن ظهر المهدي كاتبهم وفي ناس نقلوا الخبر فجوا البلد عشان دا المهدي حسب اعتقادهم.. ودا كان كلام الحاج عبد الواحد.

عبد البين: وطيب وينا قصة نبي القلابات ما ياها حكوة الحبشة والمهدية؟

عبد الواحد يا خي ما تصبر في حكوة من غير فرشة؟ الشفقة ليك شنو؟

واصل وقال عبد الواحد: ولأنو السودان، ات الليلة الحاجة مالا أخّرت القهوة كدا قالها بي صوت عالي عبد الواحد عايز الحاجة تسمعوا.

كان عبد الواحد وأصحابو قاعدين في الديوان والونسة جرّت.

ردت الحاجة: القهوة جاهزة ودي القلوة.

عبد الواحد قال: أها قولوا كدا في فهم الناس إيمانهم إنو المهدي بملأ الأرض عدالة بعد جور، والناس ضاقت جور الترك وظلمهم، وكانوا الترك ملقطين شيءأرمن وشركس وجركس ويهود وإنجليز وفرنسيين وأمريكان وناس البلقان، والمهم ماخلوا جنس ماجاء البلد دي، وبقوا حكام وسادة، وكان همهم جمع المال ولقيط رزق الناس بي اسم الترك، ودا ما المهم هسي.

(3)

أهاا المهدي مات وانتقل لي رحمة مولاه بعد ما حرر الخرطوم بي كم شهر، وكانت صدمة كبيرة وحصل خلاف لحدي ما حسموا شيخ من المهاجرين من غرب إفريقيا اسمو محمد ود الداداري، ومعاهو أحمد شرفي خال المهدي، ودا كبير الأشراف لي صالح الخليفة عبد الله التعايشي، وحلوا الخلاف مؤقتاً، لحدي ماقامت ثورة الأشراف في أم درمان وقدر الخليفة ينتهي منها وسجن فيهم عدد كبير في سجن الساير وسجن جزيرة الرجاف الأسوأ في تاريخ السودان.

عبد البين: أي سمعنا حصل خلاف والأشراف قالوا هم أحق بي الخلافة من غيرهم التانين، وقربت تقع الطامة الكبرى في أم درمان ههههه.

عبد الواحد: اسكتالقصة دي براها نحكيها يوم تاني.

الحاجة جابت القهوة وجك المويـة وختتم قدام الضيوف، وقالت قهوة مظبوطةاتفضلوا يا ناس الحكاوي الطاعمة.

حاج الماحي: أزيد فضلك يا العازة أصلك بت حلال.

(4)

بعد ما شرب عبد الواحد من فنجان القهوة قال: أهااااا في فهم الناس بعد المهدي بيجي سيدنا عيسى وينتصر المسلمون وتقوم القيامة خلاص.

عبد البين: أها دا كلام ليك؟وليه ما قامت قيامتنا وضجك.

عبد الواحد واصل: وظهر كم واحد وقال أنا عيسى، لكن الخليفة عبد الله ود تورشين قرضم جت كان في سنجة ولّا دارفور ولّا أم درمان، لأهم بمثلوا تهديد حسب فكر المهدية، وبيعني أنو ملك الخليفة مو صاح.

ومن الناس اللي قالوإنهم سيدنا عيسى عليعبد الكريم من الأنصار المتشددين ومن الأشراف، بعد ما الإنجليز احتلوا البلد بي مدة صغيرة وبعد كتلة أولاد المهدي في الشكابة جنوب مدينة ودمدني، واستقرار الأمر للإنجليز في السودان ظهر عليعبد الكريم في مدينة أم درمان وتجمع حولو زي عشرين نفر آمنو بحركتو ودعوتو وكلام النبوة بتاعو.

أهاا قول ياسيد الامنتي ليك الخبر مرق ووصل لي الإنجليز وما خلوا خايفين من الفتنة واعتقلوهو بي سراع سراع خوفاً من توسع حركتو في أم درمان، شكل الإنجليز مجلس من كبار العلماء أدانو حركة عليعبد الكريم وادعائو أنو نبيالله عيسى، أها ود المهدي البقي مسؤول من الأنصار عبد الرحمن المهدي صرح، وقال دي حركة ملحدة، حاكموهو بعد لمو لي الشيوخ والناس البفتوا، ومسكوا النبي دا وختوهو في السجن، قالها ومعاها ضحكة.

عليعبد الكريم ختوه في سجن في وادي حلفا حتى توفي في سنة 1941م في سجن حلفا،أها وبرضو في زمن الخليفة أب جميزة في دارفور عمل قلاقل جد، لكن الخليفة رسل ليهو الأمير عثمان المعروف بي الجان وبقولوها عثمان جانو كان محارب جد ومات أب جميزة ومسك بدلوا أسامة أخوهو وكتلوا الأنصار، وانتهت زيتطو.

عبد البين: إت يا عبد الواحد دي مكة عشان يظهروا لينا أنبياء ورسل؟ وتماها ضحكة وضحك معاهو عمك.

واصل عبد الواحد في الحكاية وقال: بالتالي في أزمة وكتين المهدي مات وفي حياتو قال بعدو عيسى عليه السلام،أها وينو عيسى الناس كانوا بيتكلموا ويسألوا، لكن بي السر بدون ما يدخلوا نفسهم في ورطة ولا مشاكل كبيرة وكتيرة.

بعدين البتكلم بمش الساير، والله لا وراكم الساير دي كمان قصة برااااااها.

(5)

أهااا نرجع لي القلابات قالها عبد الواحدوهو ماسك فنجان القهوةوشال منو جغمة بي تلذذ وختاهو، وقال بي صوتجهوري مواصل في النضمي بتاعو: في القلابات في جيش تقيل عشان تهديد الحبش كان خطير في الوكت داك، وكل مرة في غارة من طرف على الآخر والنهب والسلب والتجارة المهم الوضع كان خطير للغاية.

ظهر واحد من التكارير اسموآدم محمد البرقاويوقال أنا نبي الله عيسى، برضو بي نفس القصة المكررة.

أها وأهلك التكارير ديل هوسا وبرقو وفلاتةوبيقصدو بيها كل زول جايي من غرب إفريقيا وكتها، وبرضو كانوا بيقولوا عليهم الفلاتة بدون معرفة أنو الناس ديل قبايل وخشوم بيوت كتيرة وكبيرة.

ضحك عبد البينوقاليهو: أهاا دا نبي القلابات ذاتو القاصدو يا حاج؟

رد عبد الواحد: أي ياهو بي ذاتو. آدم محمد البرقاويدا كان أنصاري على السكين، وحارب وشارك في كل وقعات المهدية، وكان عندو مقام كبير في وسط الناس المعاهوا لأنو كان نضام وحافظ الكتاب، وفي نفس الوكت متعصب للمهديةشديد، وزول بعرف في الدين، واعتبر أنو لازم يظهر عيسى، وبراهو شاف نفسو عيسى، والله البلد فيها محن وزاد عليها أصبروا عشان اتمها ليكم..

وبما أنو قصة نبي الله عيسى موجودة في كلام المهدي ومنشوراتو والناس عارفنو ماكان من الصعب أنو يدعو ليها ويتابعو ناس من المتعصبين، ولأنو الخليفة ماقالا، وقال هو خليفة المهدي ورسولو بقت عقدة نبي الله عيسى قاعدة وحاضرة في أذهان الناس[1]

(6)

أهاا الحبشة طلبتمن الأنصار في القلابات يسلموها متمردين عليها وناس شفتة، منهم واحد من الجبرتة اسمو علي الحاج، عليقالوامن النهّابة ولا المعارضين للحبش ماعارف غايتو كان قاعد في القلابات، أهاا لمن الحبش قنعوا من خير في الأنصار لمو جيش عليهو الرأس عدار ودا من انجض قواد الحبش، وهجموا القلابات وكتلوا الأمير محمد أرباب وجيشو، وحرقوا الديم بتاعها وشالوا غنايم وسبايا ومال كتير،وساقواالحاج علياالجبرتي لي الحبشة فيناير من سنة ١٨٨٧م.

وعين الخليفة عبد الله التعايشي الأمير يونسَ ود الدكيم عاملاً على القلابات، ودعا التعايشي الملك يوحنا ملك الحبشة للإذعان للمهدية ولا الحرابة وجون رد بنفس أسلوب الخليفة، وقال ليهو تبقى مسيحي ودي الطامة كانت برضو، ورسل الأمير يونس ود الدكيم مع جيش كبير وبقوا بشنوا حملات والسرايا في الحبشة بي شجاعة ماليها نظير.

أهاا في القلابات في شهر ديسمبر سنة ١٨٨٧م الراجل التكروري الاسمو آدم محمد البرقاوي، قال هونبي الله عيسى، وطلق دعايتو بي السر.

حاجالماحي: نبيالقلاباتدافيناسصدقوهو؟علياالحرامماسمعناليناببينبي زيدا.

عبد الواحد: والغريبةصدقوهو ناس كتار منهم عشرة من الأمراء،أشهرهم واحد أمير اسمو هنون النيل الهباني،ودا من أهلك البقارة ومن الناس المتعصبين للمهدية، وكان بيقود الأنصار، ويخش بلاد الحبش، ويجي راجع منتصر، ومحبوب في جيش الأنصار ومشهور انو شجاع وقوي ومحارب خطير.

(7)

وآدم ود محمد البرقاوي تبعوهو ناس كتار، لكن أبرزهم كان خمسة أمراء من جيش يونس ود الدكيم منهم الأمير هنون النيل الهباني، ودا كان من القواد الكبار في الجيش بتاع الخليفة في القلابات، وفي الوكت داك قام التعايشي بي تعييناالأمير حمدان أبو عنجة ومعاهو جيش ووداهم القلابات، وحاول غزو الحبشة في ٩ يناير سنة ١٨٨٨م، ودخل بلاد قدمبيا الحبشية، وجاء راجع القلابات ومعاهو الغنائم، ورجعتاني لغزو الحبشة في يونيو سنة ١٨٨٨م.

وكتب الأمير الزاكي طمل للخليفة: غزينا الحبشة ودخلنا المدن ولقينا كنائس كتيرة وطلعنا صليبا، و(طلعنا صليبا) بقت مثل سوداني وأداها ضحكة قوية.

عبد البين: ولسع أنحن صليبنا طالع وضحك.

واصل عبد الواحدالقصة وقال: وفي سنة 1889م وقعت حرابة القلابات اللي مات فيها الملك جون، وتم إعدام نبي القلابات البرقاوي وأكتر من عشرة من الأمراء وانتهت قصة نبي القلابات البرقاوي،

المغرب خشّأديني طاقيتي نلحق الفريضة في الجامع، يلا قوماك معاي أصلو حاج محمود شفقان بيصلي سريع التقول هو نبي القلابات البرقاوي.

***

تمرد الجهادية السود

تمرد الجهادية السود

(1)

حاج الماحي سأل عبد الواحد: إت ياحاج أنا سمعت لي كلام في تأريخنا حيرني عن الجهادية وقصص تمردهم، أنت الجهادية ديل شنو ومالم اتمردو؟

عبد الواحد: منو الحكى ليك عنهم؟ وضحك.

حاج الماحي: سمعتو طراطيش كلام ناس بيحكو وعاوزك تحكي لي عنهم الليلة.

عبد الواحد: الجهادية هم السود اللي خطفوهم من قراهم في فترات متفرقة في تاريخ السودان وكانوا قادرين على شيل السلاح، وتم تجنيدهم عساكر في الجيوش المختلفة من جيش محمد عليباشا لمن رسل ولدو إسماعيل باشا عشان يفتح سنار، ورسل نسيبو الملعون الدفتردار لي كردفان، كانالخديوي الكبير محمد عليبوصيهم على جمع الرجال والدهب.

واصل وقال: جاء بعدو الزبير باشا برضو عمل جيش منهم سماهم البازنقر، وبرضو كانوا من السود، لكن الزبير بيعاملهم معاملة كويسة، وحتيإنو جزء منهم بقو زي أولادووشالو اسمومنهم رابح الزبير، وفائق الزبير وغيرهم، والفرقة هنا الزبير ما خطف السود ولا اشتغل بي الرقيق، لكن اللقاهو حرروا واشتريوافتدى اللي مفروض يكتل عشان كداكان ولاؤهم ليهو غريب خالص.

عبد البين: يعني البازنقر ممكن نقول عليهم جهادية برضو؟

عبد الواحد: أيوة ممكن تقول كدا لأنو عساكر الزبير ود رحمة وقياداتو بقو قيادات في الخديوية المصرية والمهدية.

حاج الماحي: واصل واصل الليلة أنت ما جايبها لي بر أصلو.

واصل عبد الواحد وقال: في سلطنة الفور برضو كان بجندو الجهادية بس ما شايلين نفس الاسم، لكن قوام جيوش سلاطين الفور كانوا من السود واشتهروا بالشجاعة الشديدة وضربهم للحديدة، وبعدها جات المهدية وبرضو عملت منهم جيش قوي من الجهادية الـلي حاربوا في كل معارك المهدية.

وكمان جو الإنجليز وعملوا منهم كتائب من الكتيبة العاشرة لي الكتيبة تسعتاشر، وكان عددهم تسع كتائب حاربوا مع الجنرال كتشنر في كرري وبعدها عملوا قوة اسمها باندا، وسموها باندا خرطوم وباندا الفونج وباندا كردفان، ودي برضو قوامها من الجهادية، والكلام كتير ياخ عندهم قصص عجيبة ياخ.

(2)

قال عبد الواحد وهو بيحاول يكون دقيق في كلامو: اشتهر الأفارقة بأنهم مقاتلون بي الطبيعة والفطرة، عشان كدا كان أي قوة لازم تأخد منهم رجال عشان جيشها يكون قوي ويحقق أهداف السياسة، وكل المكونات السياسية عملت بي المبدأ دا.

رد عليه عبد البين، وقال: أهااا ورينا، والله الليلة فتحت جرح كبير في تاريخنا مالنا ومال الهموم.

ضحك الحاج عبد الواحد وقاليهو: صدقت، دا جرح ما بتنسي لكن عشان مابتنسي الكلام أمسك خشمك عليك وخليني أحكي براي زي المجنون.

رد حاج الماحي ومعاهو عبد البين: طيب يا بروف وضحكوا.

واصل عبد الواحد كلامو وقال: أول بي التبادي المصايب اللي في البلد دي جابها حكم محمد علياللي عمل انقلاب في مصر سنة 1805م، وشال والي العثمانيين خورشيد باشا وكتل المماليك في كتلة القلعة في القاهرة، والنجا من المماليك جرا جانا في السودان، ولأنو محمد علياباشا كان عايز يشرب حكومة الترك،عشان كدا كان بيلعب بي النار لمن ينعصربيقول إنو تابع ليهم، ولامن يلقى يدو يرجع لي جنو إنو يعمل إمبراطورية ويملك أولادومن بعدو وضحك عبد الواحد.

حاج الماحي: طيب وكت ماعندو الباشا حيل لي جنس دا مالو ومال القراية أم دق دي؟

عبد البين: الحكم حلو وماف زول بيدور يضيع منو الحكم البتة.

حاج الماحي قال: الوكت داك كان في المماليك وديل بيقولوا عليهم الرقيق الأبيض والانكشارية كانوا الأترك بيجوبوهمأولاد صغار ويدخلوهم معسكرات يدربوهم ويعلموهم أنو أبوكم وأمكم وأهلكم الجيش بس، عشان كدا كانوا بحاربوا حرب جد لصالح الترك في أي مكان.

واصل وقال: أها قول كدا محمد علياالألباني عايز جيش وحتات الرقيق الأبيض في تركمستان وأفغانستان وطاجكستان وسيستان، كلها في يد الدولة العثمانية، وما بيقدر يجيبهم وأماكنهم بعيدة منو ولعبتوانكشفت فكر في السودانيين ود الجاب سيرة الجهادية.

قال عبد الواحد:ماف حل غير سودانستان، وفكاها ضحكة هو المعاهو.

وواصل وقال: قام الخديوي محمد علياباشا رسل ولدو إسماعيل ونسيبو الدفتردار، دا قبلو كان وصل القاهرة المك بشير ود العقيد الجعلي اللي عامل شكلة مع مك الجعليين المك نمر، وكانت عيون الباشا قالت إنو سنار والمسبعات راكوبة وواقعة عايزة البدفرها بس.

الباشا اتشجع ورسل جيشو عشان الرجال أولاً والدهب تانياً.

(3)

الباشـا وصى قـوادو عايزكـم تجيبـوا لي الشـباب الأقويـاء القادريـن عـلى الحـرب وصغـار السـن لـلي القاهـرة أجندهـم في الجيـش، وكلوآمـال إنـو يكـون منهـم قـوة فظيعـة ومحاربـة يقـدر يحقـق بيهـا أهدافـو السياسـية.

قـال عبـد الواحـد: القبضوهـم مـن الرجـال رسـلوهم للباشـاذاتهم مـا نفـع معاهـم الجـو ولا مـصر.

الباشا كتب وقال: تواصلو في جمع الرجال وتخلوهم في الحاميات السودانية.

واصـل عبـد الواحـد وقـال: وجـزء منهـم في مـا بعـد حـارب في المكسـيك ويوغندا وغيرهـا مـن معـارك الباشـا الهوائيةوالجنونية.

بعـد ماتـم توزيـع الجنـود السـود في الحاميـات كان مـا بدوهـم المرتبـات بي سـهولة وزمنهـم كلـو حـرب ومضاربـة وكتـال، جـزء منهـم كان في حاميـة كسـلا قـام اتمـرد، ودي حكوتنـا الليلـة، قصـص التمـرد بتاعـت الجهاديـة، ودي قصـة ثـورة الجهاديـة السـود في سنة 1865م.

(4)

في سـنة 1865م كان في الحاميـة بتاعـت كسـلا 4000 عسـكري مـن الجهاديـة مـن الدينـكا والنويـر والفـور والمولديـن وكان مديـر كسـلا إبراهيـم بـك أدهـم، وكان راجـل صعـب عايـز الجهاديـة طـوالي في حالـة شـغل وحـرب ومشـت سـتة شـهور مـا صرفـوا ولا ريـال وزمنهـم كلـو كتـال.

واصـل عبـد الواحـد: ومـاكان دا سـبب التمـرد براهـو، لكـن الباشـا كان صعـب معاهـم وبيتعامـل معهـم بي طريقـة مـا كويسـة، وكانـت معاهـم برضـو قـوة صغـيرة مـن الباشـبوزق في حاميـة كسـلا، والجهاديـة لمـن لقـوا مـاف فائـدة قالـوا عايزيـن

قروشـهم، الباشـا كان بعايـن ليهـم بي دونيـة وشـايفهم مجرد عبيـد، وكـت مـا تجي القـروش يديهـم مرتباتهـم وماعندهـم حـق يظاهـرو.

عبد البين: والله الباشا بالغ العساكر عساكرو تاني التفرز فوق شنو؟

واصـل عبـد الواحـد وقـال: أهـا الجهاديـة اتمـردوا عـلى الباشـا وشـالوا سـلاحهم وبقـت حرابـة.

إبراهيـم بـك آدم حاكـم كسـلا قـال: الجهاديـة يأدبوهـم الباشـبوزق وقامـوا الجهاديـة اتحصنوا في جبـل سبدرات المشـهورجنب كسـلا، وقعـت بيناتـم وقائـع ومـا قـدروا الباشـبوزق يحسـموا التمـرد لأنـو الجهاديـة أهـل الأرض وشـجعان وكتـار.

فقـام الباشـا اتكلـم مـع السـيد الحسـن ود السـيد الميرغني، ودا كان زعيـم الختمية، وعنـدو كلمـة في كسـلا عشـان يتكلـم معاهـم، وبرضـو الحكومـة اتكلمـت مـع قائـد مشـهور مـن الجهاديـة اسـمو آدم بـك العريفـي، ودا كان محبـوب بـين الجهاديـة، ورتبتـو قائمقـام في الوكـت داك.

الأعيـان وآدم بـك العريفـي مشـوا للجهاديـة وأقنعوهـم إنـو يوقفـوا الحرابـة الجهاديـة، وافقـوا بي شرط يرجعـوا خدمتهـم ومـاف زول يتحاكـم، ويدوهـم قروشـهم كاملـة.

عبد البين: كلام كويس وشروط كويسة مع الحكومة.

قـال عبـد الواحـد: الوفـد جـاء راجـع كسـلا والباشـا وافـق عـلى الشروط وجـوا راجعـين للحاميـة ومحـل معسـكراتهم القديمـة لكـن الحكومـة خانـت وعدهـا وقبضتهـم ودخلتـم السـجون، وأعدمـت قياداتهـم وعـدد مـن العسـاكر، وفصلـت جـزء كبـير منهـم، ورجعـت عـدد منهـم للخدمـة بي شروط مهينـة.

حـاج الماحـي: ياهـو شـغل حكومـة الـترك الغـش والخديعـة عشـان كـدا قامـوا عليهـا كل النـاس.

عبد الواحد: الحكومة أعدمت قيادات الجهادية وأشهرهم الصاغ محمد بك أبا حظلك والصاغ بشيربك السوداني، ودا كان بي أمر الحكمدار جعفر باشا مظهر اللي كان حكمدار عام السودان وقتها، الحادثة عرفت في تاريخنا بي اسم ثورة الجهادية السود في كسلا.

(5)

بعدها وقعت حادثة تمرد الجهادية السود في الاستوائية على الدكتور أمين باشا الألماني،أمين لمن الباشا اتعصر وسقطت الخرطوم في يد الأنصار، وبقى ماعندواتصالبي العالم قداموا العدو، والأنصار جابوا قوة في الاستوائية بقت عملياتهم نشطة قرر الانسحاب من الحاميات في الاستوائية.

قامقال أمين باشا: ننسحب من جنوب السودان وكان جاهوا الرحالة الإنجليزي إستانلي عشان عارف الشوارع يمررهم بي بحيرة فيكتوريا، ومنها لي يوغندا ومنها لي ممباسا، ومن هناك بي البواخر للسويس.

الباشا أمين مدير الاستوائية طلع أمرو بانسحاب الجيش وإخلاء الاستوائية كلها، المشكلة أنو الجيش كان من الجهادية يعني من جنوب السودان وديل الأكترية ودي بلدهم يمشوا مصر يسوو شنو.

عبد الواحد قال: الجهادية رفضوا الانسحاب من بلدهم وشالوا السلاح ولمن قبضوا أمين باشا وقرروا ماف زول ينسحب، برضو كان في قائد منهم اسمو سليم أغا مطر من قواد الجهادية خشة في النص، وبعد مجابدة فكوا الباشا، وانسحب الدكتور أمين والعايزين يمرقوا معاهوا، وبقي الجهادية في مناطقهم بحاربوا، لحدي ما اتفرتقو وبقوا مواطنين.

حاج الماحي: يعني البشوات بيشغلوهم بي مزاجهم ويلوموهم لما يتمردوا عليهم والله غايتو الترك ديل أولاد زقدة.

عبد الواحد قال: بعد قيام المهدية وانتصاراتها انضم ليها عدد من الجهادية سواء أكانوا ضباط ولا قيادات، وكان كمان بقايا جيش الزبير ود رحمة ولا العساكر في حكومة الترك زي الشايقي الأمير العطا أصول وحمدان أبو عنجة والنور عنقر والأسماء كتيرةياخ، المهم بقو جزء من جيوش المهدية.

حاج الماحي: العسكرية والحرابة كانت شغلة لي ناس كتار وما بهمهم بحاربوا مع منو المهم دي عيشتهم.

واصل عبد الواحد وقال: في المهدية برضو اتمردوا في الأبيض وقام عامل المهدية حاربهم،انسحبوا الجهادية لي جبال النوبة، وهناك وقعت حرابة كتلو فيها عامل الأبيض، لحدي ما رسل ليهم الخليفة عبد الله التعايشي الأمير حمدان أبوعنحةوكتلهم واتفرقوا في جبال النوبة.

قال عبد البين: لكن مجموعة كبيرة منهم حاربوا في كرري في جيش الكارة والملازمين.

عبد الواحد: أيوة كانو حملة الأسلحة النارية وأكتر الجيوش اللي استشهد رجالها في سهل كرري، والله يرحم كل سوداني، هوي أنا ماش زمن حظر التجوال بتاع كورونا قرب وضحكوا كلهم.

***

مكوكية الشلك والمهدية

مكوكية الشلك والمهدية

(1)

قال عبد الواحدبصوت أجش بعد قحة خفيفة: السودان اللي بحكي ليك عنو دا السودان الكان شايلنا كلنا من حلفا لي نمولي، وكان قدحنا واحد وتاريخنا واحد وحالنا واحد.

صاحبو عبد البين قالهو:الحاج أوعى تكون دي قحة الصينيين ديكا وأدها ضحكة.

عبد الواحد ضحك وقال: ما جبتها أنت بي نخرينك الكبار ديل وزمان أيام شبابك كنت حوام ولواص ما خليت بلد ما عرست منو وتمّ كلامو بي ضحك ومعاهو القاعدين.

عبد البين: تمّ كلامك أصلو ما بتنقدر أصلو ياحاج عبد الواحد ماك موحد ولسانك طويل.

عبد الواحد واصل وقال: الليلة بدور أحكي ليك عن مكوكية الشلك ودي مكوكية قديمة أنا ماعارف كل تفاصيل تاريخا،لكن أول التبادي كان في رث زمن غردون لمن جاء مدير المديرية الاستوائية اسمو كيو كوان،وكان زول مسيطر على بلادو، وعقليتو منفتحة للآخر مازي الزعماء بتاعين قبائل الجنوب اللي حولو.

قال عبد الواحد: الرث كيو كوان بقى صاحب غردون باشا اللي قام أداهو رتبة بك، فبقياسمو كيو كوان بك، ودا أول جنوبي ياخد رتبة بك دي لأنو الحكومة جات متأخرة للجنوب، وكان كل الزعماء معادين للحكومة،أها لمن قامت المهدية وقف كيو بك كوان مع الحكومة، واشترك في حملة الشلالي اللي جات من فشودة لي قدير بي ألف مقاتل من الشلك.

عبد البين: يعني الشلك كانو متحالفين مع لحكومة الترك والله ناس صحي ناس مدنية من زمان.

أها كيو بك كوان كتلو الأنصار وكتلو رجالة من الشلك في معركة قدير، وبعد سيطرة المهدية عينو شلكاوي رث أو مك على الشلك، وأدهو الأنصار اسم عبد الفضيل وطبعاً دا ما اسمو الأصلي، وبقى موالي ليهم لحدي ما جاء بعدو المك عمر.

حاج الماحي: المعنى سموهم الأنصار بي أسماء عربية يعني.

عبد الواحد: أيوة والمك عمر عينو المهدي وبقى أمير ورث على الشلك، وكان قابل المهدي، ولمن جاء حكم الخليفة كان هو الرث، وفي الزمن الفات كان برسل العيوش والزكاة لي بيت المال بي المراكب لي أم درمان وعلاقتو مع المهدي حلوة.

(2)

قال عبد الواحد: في مجاعة 1306 هجرية أرسل الخليفة عبد الله التعايشي باخرتين إلى بلاد الشلك عشان يجيبوا الذرة من الشلك وجباية الزكاة.

الخليفة عبد الله التعايشي رسلهدايا للمك عمر اللي رفض الهدايا اللي كانت من سكر وجواري، ورفض يدفعالعشور والجزية وكلو.

الملك أو الرث عمر قال: إنو الخليفة ملك العرب، وأنا ملك الشلك، وإنه كان مع المهدي، لأنه في مقام نيكام إله الشلك والخليفة زول ساي، وضحك وقهقهالحضور من كلام الملك عمر.

واصل الملك عمر، وقال: إنو الخليفة عندو مجاعة برسل ليهو ألفين أردب عيش على سبيل الهدية.

قال عبد الواحد: الكلام دا قالوا إبراهيم فوزيفي كتابو السودان بين يدي غردون وكتشنربالنص والعايزو يفتش في الكتاب دا.

عبد البين: عافي منو ملك الشلك دا.

حاج الماحي: والخليفة شن قال وسوا.

واصل عبد الواحد وقال: أها الخليفة زعل منو وقال لازم يأدبو ويأدب الشلك ذاتهم، ودي الجابت الهوا للملك عمر، ولي ديار الشلك كلها.

الخليفة عبد الله التعايشي قبال ما يرسل جيشو رسل مبعوث خاص ليهو برضو كان شلكاوي عشان يعقل الملك عمر، وقام الملك عمر مك الشلك بقتل رسول الخليفة، وكان الشلكاوي رسول الخليفة لفترة مقيماً في أم درمان، وأسلم، وبقيمن أنصار المهدي عشان كدا الخليفة رسلو لي أهلو.

الملك عمر غضب منه، وقال ليهو: إنو بقى عميل للخليفة وما مفروض يشيل جوابات العرب، وكتلوا قدام البقارة الجوا مع الشلكاوي،وفكّالبقارة ورجع البقارة اللي مع الشلكاوي وكلموا الخليفة عبد الله التعايشي بي السوا الملك عمررث الشلك، فغضب الخليفة عبد الله التعايشي، وقرر إرسال جردة لتأديب الشلك، وكان بيحكي في الكلام دا إبراهيم فوزي، وهو بيتذكر في الأيام ديك.

(3)

قال عبد الواحد: في سنة 1308 هجرية أمر الخليفة عبد الله التعايشي الأمير الزاكي طمل بالتحرك من القلابات في الحدود مع الحبشة، بعد هدأت الأحوال فيها معاهو جيشو المكون من عشرين ألف راجل مسلحين بالبنادق والمدفعية عشان يقمع ويأدب الشلك اللي اتمردوا وكتلوا رسولو وشقوا عصا الطاعة على الخليفة عبد الله التعايشي.

فوزي بيحكي وهو قاعد في القهوة في حي شعبي في القاهرة بعد عودتو من الخرطوم محرراً من الأسر، وقال: قطعت قوات الأمير الزاكي طمل سهول القضارف وعبرت النيل الأزرق والجزيرة ووصلت طرف فشودة ولمن وصل لقى باخرتين تابعات للأنصار التي وصلت قبلهم ترابط على بعد مسافة من أراضي الشلك وانضموا إليهم للهجوم على فشودة.

(4)

عبد الواحد واصل، وقال: جهز الملك عمر قواته من مقاتلي الشلك لمقاومة الأنصار الذين كانوا على أطرافمدينة فشودة، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين انتصر فيها الأمير الزاكي طمل، وقتل الملك عمر رث الشلك.

قعد الأمير الزاكي طمل في بلاد الشلك ثلاث سنوات ما خلى للتمرد باقيورسل من البقر والشباب من الشلك اللي جندوهم في قوات الجهادية، وغنموا ديار الشلك واتشردوا في الغابات.

قال عبد الواحد طبعاً الشلك عندهم مدنية نظام سياسي قديم وعندو تاريخ،امتصوا الصدمة بتاعت الأنصار، وكان لازم يعينو قيادة تقودهم في الوضع الحرج دا.. طوالي عينو مراكجورية رث للشلك ودي كانت أصعب أيام في حياة الشلك أصحاب الأرض.

الكجورية كانت جامدة بتقود الرجال وتقوم بي غارات شجاعة قلقت بي الأنصار شغالة بي نظرية أضرب وأهرب لاوكمان ما ينوم وتخش الغابات قدر ما يسكوها ما يلموا فيها كلو كلو.

سألو واحد من أصحابو، وقال ليهو: المرا دي أدبت الأنصار في غابات البلد ديك شغالة حرب عصابات.

إبراهيم فوزي قال: الكجورية كانت في فترات متباعدة بتقوم بهجوم على محطات الأمير الزاكي طمل وبقت بعيدة من فشودة وتوغلت في الغابات البعيدة من البحر، الأمير الزاكي طمل ماقدريقبضها لحدي ما اتحرك من فشودة لي أم درمان واستقبل كبطل وفاتح.

قال إبراهيم فوزي: لكن انتهى مصيره في سجن الساير سيئ السمعة في غرفة ضيقة ومات عطش وجوع نتيجة للقوالات ومؤامرات في بلاط الخليفة اللي كان ملان بالدسائس قالها فوزي، وهو يتابع خيط دخان سيجارتو يتسرب في هواء القاهرة.

***

غزو السلطان تيراب لكردفان

غزو السلطان تيراب لكردفان

(1)

ودي من المحكي في تاريخنا وفيها جزء منسي برضو في زمن سلطنة دارفور كان في سلطان قوي وسيد عزيمة وعادل بيحكم سلطنة دارفور وكان محبوب، وفي نفس الوكت كانت مملكة المسبعات في كردفان عليها السلطان هاشم المسبعاوي، ويجمع السلاطين الاتنين ديل صلة قرابة، فالمسبعات أولاد عم لي للفور السلاطين،وعاشت الدولتان في سلام ومحبة بينهما لزمن طويل، والسلطنتان كانتا معاصرتين للسلطنة الزرقاء في السودان النيلي الأوسط.

قال عبد الواحد وهو مواصل في الحكوة: أهااا ملك المسبعات لمن آل لي السلطان هاشم المسبعاوي وكان عاجبو الملك والجيش بتاعو بقى يغير ويهجم على أطراف دولة الفور وما راعي القرابة وحرمة الجوار، وكان جيشو وغارتو كترت لمن بقت مزعجة للسطان تيراب سلطان دارفور.

عبد البين: بسم الله الناس مش أولاد عم.

حاج الماحي كان معاهو زبائن جو الدكان وراخي أضانو لي الونسة وكورك ليهم من جوة: أنا جاي عليكم تعال يا محمود مشي الناس ديل.

السلطان تيراب كتب لي السلطان هاشم المسبعاوي جواب قاليهو: انتهي عن الغارات في أطراف مملكتي وراعي القرابة والناس اللي بتهاجم ديل مسلمين زي وزيك.

والكلام دا حكاهوعبد الواحد لي أصحابو القاعدين معاو في ضل العصرية قدام بيتو اللي فاتح على دكان حاج الماحي.

عبد البين سأل الحاج عبد الواحد وقال: المعنيإنو السلطان هاشم المسبعاوي كان تغيان ومفكر أخش دارفور بالقوة، والله كلام.

عبد الواحد: أي كان عايز ملك دارفور وكردفان في نفس الوكت.

نطّ وقال الحاجالماحي: الكتال فوق شنو والناس أهل وبين أبواتم كانت محنة ومادخل بينهم شيطان؟ والله الحكم صحي فتنة.

(2)

في تونس الخدرا في واحدة من قهاويها القديمة في جماعة متلمين حول راجل كبير في سنو وبحكي عن رحلاتو والبلدان الزارا، وقال عن نفسو: أنا شغال بكتب في كتاب عن رحلاتي وسميتو بإذن الله (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان)، ودا فيهو قصص كتيرة منسيةأنا زرت سلطنة دارفور، ووصلت عاصمتا ولفيت فيها، وعرفت عاداتا وتقاليدا وتاريخا ودي سلطنة عظيمة وكبيرةاستمرت زمن طويل، وفي الوكت داك كان في سلطنة سنار والمسبعات ودارفور.

محمد عمر التونسي قال: السبب الوداني دارفور كنت عايز ألحق أبوي عمر التونسي اللي كان شغال تاجر متجول، وكانت عندو مكانة عند السلاطين والفقهاء والوزراء، ولمن جيت دارفور لقيت سيرة أبوي سمحة عند الناس عشان كدا احترموني والكلام دا كان سنة 1801م زمن السلطان محمد الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد سليل سلاطين الفور.

سألو واحد من القاعدين ياشيخ محمد ود عمر التونسي كتابك دا عمل ضجة لأنو بحكي قصص منسية كتيرة في تاريخ سلطنة الفور في السودان.

رد عليهو الرحالة محمد عمر التونسي: الكلام الكتبتو دا يا شاهدتو ولا حكوهو لي كبارات الفور في الوكت داك.

القاعدين معاهو قالو ليهو أحكي لينا قصة من القصص دي.

قال ليهم: بحكي ليكمقصة غزو السلطان تيراب لمملكة المسبعات ووصولو لحدي أمدرمان على شاطئ النيل الأبيض غرباً.

(3)

عبد الواحد قال: جا في كتاب محمد عمر التونسي السماهو (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان) كلام كتير وقصص عجيبة خلوني أقرأ ليكم منو جواب السلطان تيراب للسلطان هاشم المسبعاوي ونص الجواب أقولو ليكم (إلى ابن العم المكرم السلطان هاشم سلطان كردفان أعزه الله.أما بعد، فإني لا أعلم السبب الذي يحملك على غزو بلادي مع ما هناكمن صلات القربى وعلاقات المودة التي تربطنا، ولم يكن مني ما يكدر صفاءها وأنت تعلم أن هؤلاء الذين تغزوهم هم مسلمون مثلك، يعبدون الله ورسوله، وما من عاقل يفعل ما أنت فاعل، فعند وصول كتابي هذا،أرجو أن تكف عن العداء رفقاً بالرعية، وتذكر أن الظالم ينال جزاء فعله والسلام).

حاج الماحي من جوة دكانو وهو بايع في الزباين كورك لي عبد الواحد: ها ناس أصبرو أنا جاي عليكم شكلو الكلام دا سمح وجديد ما لاقاني قبال دا، قال الكلام دا وهو مارق من دكانو شايل الكرسي بتاعو، ياولد مشي الناس أقولها ليك ألف مرة.

عبد البين: والله إن مشاهم ولا خلاهم ياك موظف معاشات ما تاجر، إن تاجر ما بتجي للقصص، التجار بحبو الكاش وعدم النقاش، وضحكوا على شفقة حاج الماحي.

عبد الواحد واصل وقال: لكن برضو السلطان المسبعاوي ما بطل غاراتو على أطراف سلطنة الفور، والناس بقت تشتكي من عمايل جيش المسبعات عند السلطان تيراب الكان مطول بالو، وما عايز يحارب ود عمو.

(4)

التونسي قال لي جماعتو بي صوت عالي: الحكوهو لي وكتبتو إنو السلطان تيراب لمن قنع من ود عمو جمع جيشو وعتق مية عبد من عبيدو.

وقال السلطان تيراب:للوزراء والأعيان أنهم يعتقواأكبر عدد من العبيد، وخليأكبر العبيدسناًوأقواهم في عاصمتو عشان يحكما وساق أولادو والوزراء وإمام الجامع بتاعو الاسمو الحاج عبد الغني واتحرك على كردفان، ونزل في حلة ريل، والحلة دي في الحدود بين السلطنتين من زمن معروفة.

واصل محمد عمر التونسي، وقال: وعمل السلطان تيراب معسكر كبيرفي شكل زريبة لي جيشو عشان السلطان هاشم يسمع بي تحركو، ويبطل الحرب ويمسك ناسو، ويا دار ما دخلك شر.

حاج الماحي قال لي أصحابو: والله السلطان عاقل وما داير الحرابة ودا عذر كافي ومهلة كويسة، لكن شكلو الفاس وقع في الراس.

ضحك عبد الواحد وواصل كلامو: أي بقى مافي حل غير الحرب، وهجمات السلطان هاشم زادت على دولة الفور.

قال محمد عمر التونسي مكلم جماعتو في تونس الخضراء وقال: وفي يوم من الأيام والسلطان تيراب قاعد في المعسكر سمع صوت النحاس بتاع الحرب بتاعو بدق، فقال في نفسو إنو جيش السلطان هاشم كبس محلو ركب حصانو واتدرق وشال حربتو وسيفو، ووصل محل نحاسو بدق لقى تلاتة من فرسانو هم الدقو النحاس دار بينم كلام دا.

السلطان تيراب قال ليهم: دقيتو النحاس جيش المسبعات هجم علينا ولا شنو؟

رد عليهو واحد من الفرسان وقال: أبونا كبيرنا السلطان أدام الله عزك إنحن قاعدين هنا ونحاس السلطان هاشم أزعجنا، ونحاسنا ساكت ساي خايفين منهم.

(5)

أها التونسي استلم الموضوع وقال لي جماعتو المعاو في القهوه: السلطان تيراب بعد سمع الكلام دا غضب غضب شديد وأديأمر بالهجوم الفوري على جيش المسبعات وبقى هو ماشي في مقدمة جيشو،وما وقف أصلو ماش غضبان ما بتكلم، ولا عايز يقيف من أصلو.

لحدي ما جاهو واحد من قوادو الكبار قال ليهو: أبونا السلطان الله يرعاك وقف ناخد راحة شوية مشينا كتير والرجال وراك تعبت.

لكن السلطان تيراب ما اشتغل بيهو وواصل مشيهو الليل كلو لحدي ما طلع الصباح.

في الصباح جاهو القائد التاني قال ليهو: السلطان المنصور أبونا عظيم دارفور جيشك تعب وجاع ناخد راحة.

السلطان تيراب دخل يدو في كراعو وطلعا ملانة دم وعاين للقائد وما اتكلم وواصل مشيهو لحدي ما جا وكت الضهر والشمش حرت والناس فتروا والسلطان ماش في مشيهووالناس وراهو تعبوا، لكن ما وقفت أصلو.

(6)

الكترابة الشي شنو، دي زعلة فارس ود فراس السلطان زعلورجالو وبقوا في التحانيس.

عفيت منو، قالها عبد البين، وهو بطق يدينو ومتعجب من القصة، ومن عناد السلطان اللي كان حكيم وصابر، لكن لمن زعل ركب راسو دوت.

عبد الواحد واصل، وقال: علياالحرام سلاطين الفور عندهم قوة تحير خلينيا نكملاستمر، وقال السلطان تيراب لمن طلع من معسكرو اللي في قرية ريل خلى ولدو الكبير واسمو إسحق ومعاهو قوة من الجيش عشان يحرس العقاب بتاعو.

واصل وقال عبد الواحد: عمل جيشو في شكل مربع قدامو جيش الدادات وديل شايلين الفؤوس يقطعوا الشجر ويستطلعوا، وفي ميمنتو مقدوم الصعيد بي جيشو، وفي ميسرتو مقدوم الشمال، وخلى في المؤخرة مقدوم الغرب وفي النص كان قلعة السلطان بي تيرانم شايلين الموية والعيش ومعاو الأمراء وأولاد السلاطين والحريم، وديل كان بخدمن مقدوم الشرق.

عبد البين قال: يعني ما خلى وراهو زول رد عليهو حاج الماحي بالزعلة دي ما ظنيتو بخلي زول وراهو.

في الوكت دا جاء عثمان جارو وكورك ليهو السلام عليكم جلسة في الحرم، ردو ليو وعليكم السلام آمين، وقعد اتصنت لي ونستم.

عبد الواحد قال: الجيش دا ماشي وأي زول في طريقو بزوغ منو، ناس الفرقان والحلال بهربو من قدامو حتى الصيد في الخلا من كترتو، وبعض الناس جروا لي السلطان هاشم المسبعاوي، وخبر السلطان تيراب جاي عليهم بقى معروف والبلد جاطت، وأي زول في حسابو إنو السلطان تيراب بفرتق حكم المسبعات عشان كدا الناس اتضايرت.

(7)

أصحاب محمد عمر بقو يسألو فيهو: أها الحصل شنو السلطان هاشم عمل شنو؟ ما كان بتفوشر وبراااهو ولع نارو إنشاء الله اتدفئ بيها.

محمد عمر التونسي قال ليهم: السلطان هاشم من ما عرف جيش السلطان تيراب جاي عليو الجيش بتاعو وناسو اتفرتقو منو، وخلو معاهو عدد قليل من الرجال، بعدا السلطان هاشم هرب بي حاشيتو لي سلطنة سنار، وهناك أدوهو الأمان.

عبد البين قال: يعني السلطان تيراب دخل المسبعات وشالا بدون حرابة.

عبد الواحد قال: أي وكمان السلطان تيراب قال حيلحقو محل ما مشى وناس الحلال والقبائل الجا ماري بيهم سلمو لي وأمنم في مكانم، وهو ماشي في اتجاه الشرق دار صباح لحدي ما دقش أمدرمان، ودي بتقع على بحر أبيض جنب مقرن النيلين.

واصل التونسي وقال: في أمدرمان لاقاهو جيش العبدلاب بي نحاسم وخيولم خشو معاهو في دواس تقيل كتل فيهم سبعين وشال نحاسم الاسمو المنصورة، واتقدم لحدي ما وقفوافي بحر أبيض وكان قصدو يخش سنار.

عبد الواحد واصل وقال: جيش السلطان تيراب لمن شاف النيل الأبيض ملان موية وكت الدميرة قالوامك كبرت فولة؟ ضحك الجماعة المعاو بصوت عالي

عثمان قال لي عبد الواحد: انت قصصك دي بتجيبا من وين؟

رد عليو عبد البين وقال: يازول الحاج عبد الواحد قال الكلام دا في كتاب محمد عمر التونسي الاسمو تشحيذ الأذهان ولا ما كدا ياحاج عبد الواحد؟

رد عليو وقال: بالحيل تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ودا من كتب أدب الرحلات الوثقت لي تاريخنا والراجل مسلم وعربي ومثقف عشان كدا بيرص الكلام رص، سمح فتش كتابو بتلقى فيهو المنسي عن سلطنة دارفور.

(8)

التونسي قال: السلطان تيراب بعد كتل العبدلاب في أمدرمان اتجهز عشان يهجم على سلطنة سنار، لكن بحر أبيض قدامو محمر ودميرة، وما عندو مراكب، فقعد في أمدرمان شهور بحاول يدبر أمرو عشان يقطع البحر.

نط واحد وقال ما يجيب المراكب ودي عايزة دبارة ولا بصارة؟

قال ليو محمد عمر التونسي: دارفور ما فيها بحر زي النيل وما عندهم مراكب، وما بعرفو ليها، والعبدلاب وجيش سنار كانوا براقبوا في البحر ما خلو مركب تمش عليهم أصلو وبحر أبيض بقى ليهم درقة.

واصل التونسي وقال: قيادات جيش تيراب لمن طول قعادم في أم درمان زهجوا وملوا وما نفع معاهم الجو وداروا بلدم، لكن السلطان كان زعلان لسة وناوي يحددا مع سلطان المسبعات الهارب، إلا البحر بقى ليهو عارض والملل اتسرب لي رجالو قاموا اتكلموا معاو عشان يرجعوا لي بلدم اللي طولوا منها، وبعدت عليهم، وما قادرين يعملو حاجة.

السلطان قال ليهم: والله ما بنرجع بلدنا إلا بي راس السلطان هاشم.

الأعيان والوزراء قالو ليهو: أبونا السلطان طال عزك هاشم المسبعاوي دا طردناو من بلدو ووصلنا لحدي البحر، نرجع نشوف بلدنا البقت بعيدة مننا وأهلنا وعيالنا اللي انقطع خبرم مننا.

لكن السلطان رفض وحلف ما يرجع قدر ما حلفو كان مصر وزعلان وعايز راس السلطان هاشم اللي لموهو الفونج في سنار.

أها قال عبد الواحد: الوزراء والأعيان ومعاهم الأمراء اتفقوا براهم إنو يكتلو السلطان تيراب،لأنو بقى مافيحل تاني اتفقوا مع عليودبرقو، ودا أبو واحدة من نسوان السلطان تيراب وبيخش عليهو، وكان من الأعيان المهمين عند السلطان تيراب.

(9)

التونسي قال لي جماعتو المعاهو في القهوة: السلطان تيراب في اللحظة الأخيرة كلمو واحد من المخلصين ليو بالمؤامرة طوالي نادى الدادات وقبض على ود برقو وحكم عليهو بالإعدام ونفذو طواليفيهو.

أهاا الناس خافوا وبقى مافي زول بتكلم بي حاجة ولا بعارض، لكن السلطان تيراب بقى شكلو ضعيف وبتجيهو مرضة تخليو ما يمرق على الناس زمن طويل وحالتو بقت صعبة، فحملو الأعيان والأمراء والوزراء، وكان بينزف دم جاهو مرض الناسور من طول ركوبو للحصين الحرة وكترة السفر.

شالوا السلطان تيراب وبقوا راجعين على دارفور وكان تعبان ومتألم، لكن صابر وجابر ومحافظ على ثباتو، وما ظهر منو أي كلام بينقص من حقو كزعيم وسلطان قوي.

عبد البين قال بي لهفة: أهايا الحاج عبد الواحد والحصل شنو بعد داك؟

ردا ليو عبد الواحد وقال:لمن حصلو بارا السلطان أدى الروح لي سيدا ومات الله يرحمو شالوهو وحنطو لحدي ما حصلو جبل مرة ودفنوهو في منطقة طرة ودي محل مدافن سلاطين الفور.

التونسي قال: سلطنة دارفور في عهد السلطان تيراب حدودا الشمالية في آبار النطرون، ودي بطلعوا منها العطرون، يعني في جنوبالصحراء الكبرى، وجنوباً حدها بحر الغزال وشرق أو دار صباح زي ما بقولو في دارفور بحر النيل في

أمدرمان وغرب حدها جبل ترجة في أقصى غرب دارفور، ودا بفصل بينا وبين مملكة وداي في تشاد الهسي دي.

وخلف السلطان تيراب أخوهو السلطان عبد الرحمن الملقب بي الرشيد لأنو عادل.

عبد الواحد قال: أما السلطان تيراب الله يرحمو كان فارس وما برجع لي ورا حكم من سنة 1768 لي سنة 1787 يعني 21 سنة، وهو أشهر سلاطين دارفور، وكان عادل وطيب،إلا أنهأصر على شيء ما بتراجع، مات وهو في خيلو ما كان بخاف الله يرحمو.

***

من مذكرات ديم فشودة

من مذكرات ديم فشودة

(1)

قـال عبـد الواحـد لي أصحابـو: لمـن كانـت الحملـة بتاعـت كتشـنر باشـا جايـة متقدمـة على أم درمـان، وهـي بتشـق في الخـلا والـصي في الصحـراء،وبتمـد في السـكة حديـد ودافـرة بي بوارجـا في البحـر.

كان الخليفـة بصلـح في دفاعاتـو ويجمـع في جيشـو عشـان المعركـة الجايـة كانـت معركـة حيـاة أو مـوت بالنسـبة لي دولـة المهديـة في السـودان،وكان بيعمـل على أنـو يحقـق النـصر عـلى جـردة الـترك زي مـا بيقولـو.

كان الخليفـة عبـد الله التعايـشي عنـدو معلومـات عـن تقـدم سـواحين بيـض لي فشـودة في إقليـم أعـالي النيـل في جنـوب السـودان، ورسـل ليهـم أمـيرو النشـيط سـيد صغـير الجعـلي الكليـابي يعنـي مـن أهلـك نـاس كلي.

واصـل وقـال عبـد الواحـد: واشـتبك الأمـير سـيد صغـير مـع النـاس البيـض الـلي احتلـو فاشـودة، وكانـوا متمركزيـن في مبنـي المديريـة القديـم، ودا كان المبنـي الوحيـد، وهوذاتـو عبـارة عـن خرابـة. وفي الوكـت داك كان بعـدو وقعـت كـرري وهـزم الخليفـة عبـد الله التعايـشي ومـرق مـن أم درمـان.

وقبـل كـرري بي شـهرين كان التعايـشي رسـل قـوة صغـيرة على باخـرة ومعاهـا مراكبفيهـا 500 راجـل عشـان يهزمـوا الخواجـات الـلي خشـو فشـودة عنـوة ياهـا بتاعـت سـيد صغـير.

عبد البين قال لي عبد الواحد: المعنى كان كتشنر متقدم من الشمال والفرنسيين من الجنوب والإنجليز لي القضارف والحبش برضو زاحفين ياخ دي ما مشاكل جد الخليفة يعمل شنو طيب؟ أحكي لينا والله لكن دا كلام.

واصل عبد الواحد بدون ما يرد على عبد البين، وقال: في مشرع أم درمان وبعد مرور 8 أيام على كرري يعني يوم عشرة سبتمبر 1898م ولازالت المدينة فيها آثار الحرب وباقي الموت والجرحى والجيش باع الإنجليز شغال دوريات كتيرة وكبيرة بمشط في النيل وأطراف أم درمان، جات باخرة تابعة للخليفة شاقة الإنجليز ماشة مطمئنة قلقت بي لندن والقاهرةوكتشنر ذاتوو، قصتا قصة.

(2)

بعد الحدث بي زمن بعيد إمكن في سنة 1910م في بريطانيا كان الجنرال كيبل قائد بوارج الحملة بتاعت كتشنر اللي كان بيحمل زمن كرريرتبة النقيب في الوكت داك، ومساعدو بيكي كان بي رتبة الملازم، والآن اتلاقوا بعد المعاش في لندن وبقوا براجعوا في ذكريات اشتراكهم في حملة كتشنر باشا سنة 1898م.

في المشرع جات باخرة من اتجاه الجنوب ورافعة راية الأنصار، وشكلها جاية من بعيد والضباط اللي في الدوريات اتبادلوا المعلوماتاللييتخص باخرة الخليفة تتذكرها يا بيكي، ودي كانت باخرة من بواخر الخليفةجات بعد كرري، قالها كيبل لي بيكي.

رد عليهو بيكي: كيف ما بتذكرها؟ دا كان شغل مجانين ما لقت تجي إلا بعد هزيمة الخليفة في كرري.

والسردار كان خلاص احتل ومسك أم درمان.. الكلام دا قالو كابتن كيبل لي مساعدو الملازم بيكي، وهم بتونسو عن عجايب كرري والسودان.

الملازم بيكي ضحك، وقال ليهو: والله كلام، بتذكر أنا كنت عايز أغرقها بي المدفعية، وإنت قلت لينا خلو يدكم في الزناد شكلو الباخرة دي ما عارفة إنو أم درمان سقطت والمهدية انتهت، وكان عدائية عايزة تقصف غرقوهاضحكوا الاتنين.

الكابتن كيبل قال: والله الباخرة المحيرني ماشة مطمئنة لحدي ما حاصرناها بي البوارج الحربية وعلى رأسها البارجة ملك وسلطان والظافر، ومشت عديل للمشرع بتاع الموردةبدون تردد.

أي أي الباخرة كانت جاية من الجنوب على ما أعتقد من فشودة قال بيكي.

قال كيبل: صاح جاية من مشرع الرق، وكان فيها الأمير سيد صغير الجعليتتذكرو الراجل الكبير في السن داك، لكن قوي ونشيطخالص. دا كان رد الكابتن كيبل على العجوز اللي كان مساعدو زمان في حرب النهر في السودان.

قال بيكي: الأمير الدرويش المسكين نزل القيفة من البابور ولقى نفسو محاصر بي العساكر اللي ساقوهو لي ناس قلم المخابرات، ودا بعد ما فتشوا الباخرة ولقوا فيها ورق ومخطوطات دي عبارة عن قصة حملتو اللي كلفوهو بيها في جنوب السودان.

(3)

عبد الواحد وهو بيحكي لي جماعتو:يا جماعة الخير أول ما الإنجليز مسكوا الأمير سيد صغير الجعلي بدوا يسألوا فيهو عن أمرو وجاء من وين؟ ومعاهو منو؟ وسبب جيتو أم درمان في الوكت دا ؟ الإنجليز كانوا عايزين التفاصيل بتاعت حملتو وأسبابها ومشى وين ووراهو جيش وعددو كم، المهم سألوهو سؤال نكير ما خلوا لي جنبة.

رد سيد صغير للإنجليز بأنو كان تاجر قبل المهدية في زمن الترك واشتغل في دارفور وفي الجنوب، وكان طوالي مسافر، لمن جات المهدية كان مواصل تجارتو، وبعدها انضم للمهدية، لكن كان بدون منصب ولا وضع في الوكت داك كلو.

واصل سيد صغير وقال: لحدي ما مرة كان الخليفةبيجهز في جيش يمشي الجنوب، فجابوهو بعض معارفو وقالوا للخليفة الراجل دا بيعرف بلاد الجنوب كويس، وكمانتاجر قديم، وبيعرف مجرى النيل، وليهو مكانة، فلو مشى مع الأنصار بوصلهم محل ما ماشين.

الخليفة قاليهو: كلام سمح ترافق الجيش بتاعي وتوديهو عايزين نجمع العشور والضرائب، وفي نفس الوكت عايز سن الفيل، واصل لي آخر نقطة ممكنة تصلوها.

رد عليهو سيد صغير بأنو في خدمة المهدية ومشى مع الجيش كم مرة، وكانت مشياتو ناجحة وعجبت الخليفة.

سألو واحد من الضباط الإنجليز، وقال ليهو: سمعت بي معركة كرري وهروب الخليفة مهزوم ونهاية حكم الدراويش.

رد سيد صغير قال: لا ما سمعت بيها أنا لي كم شهر برةأم درمان ومقطوع من الدنيا، وجاي للخليفةأرفع ليهو الحصل، وأتمون بي الذخاير والسلاح والرجال،عشان أقضي مهمتي في فشودة.

طيب جاي منوين إنت؟ دا كان سؤال موجه لي الأمير سيد صغير من الضابط البستجوبو فيهو.

رد عليهو سيد صغير: أنا جاي من جنب فشودة في حتة بيقولو ليها مشرع الرق. وكانت إجابات الأمير سيد صغير قدر السؤال.

مشيت لي شنو سالو الضبط الإنجليزي؟

قـال سـيد صغـير: أنـا مشـيت بي أمـر مـن الخليفـة عبـد الله التعايـشي لأنـو جـاء كلام بيقـول في نـاس سـواحين خواجـات ظهـرو في فشـودة، ورسـلني الخليفـة أشـوف خبرهـم وأطردهـم مـن الجهـات ديـك، وأنـا عبـد المأمـور، قـدت الجيـش ومعـاي عـدد مـن الأمـراء ونـاس عندهـم معرفـة بالجنـوب.

أهـا السـواحين ديـل جنسـهم شـنو؟قالها الضابـط الإنجليـزي وهـو عايـز إجابـات واضحـة مـن الأمـير الأسـير.

قـال سـيد صغـير: ماعـارف ليهـم جنـس لكـن خواجـات رافعـين علـم فيهـو ألـوان في شـكل خطـوط ومعاهـم زنـوج مـن غـرب إفريقيـا مـا بتكلمـوا عـربي.

سألو الضابط الإنجليزي ممكن ترسم لينا الراية بتاعهم؟

سيد صغير قال: أي ممكن.

عبـد الواحـد واصـل كلامـو: أهـا الضابـط جـاب ليهـو ورقـة وقلـم وسـيد صغـير رسـم العلـم وسـألهو عـن ألـوان العلـم، فقالهـا كلهـا بالترتيـب، لكـن ماعـارف دا علـم ياتـو بلـد.

الضابـط الإنجليـزي قـال متعجـب لي صاحبـو وزميلـو المعاهـو: هـوي هـاااا ديـل فرنسـيين الحـق الجابـم شـنو في الأراضي بتاعـت بريطانيـا، والله دا كلام غريـب وعجيـب الـزول دا بي صحـو.

واصـل سـيد صغـير، وقـال: أنـا مرقـت مـن أم درمـان وعنـدي 500 راجـل مـن الأنصـار شـايلين بنـادق وحـراب وسـيوف، وماعندنـا مدفـع، لمـن وصلنـا مـشرع الـرق عملـت اسـتطلاع، ولاقيـت مـك الشـلك، قـال السـواحين مـا كتـار ومعاهـم سـود وقاعديـن في مبنـى المديريـة بتاعـت الحكومـة الفاتـت، ورئيسـهم قـال لي إنهـم تابعـين للخديـوي ومتقدمـين عـلى مدينـة أم درمـان عشـان كـدا الشـلك مـا اعترضوهـم واعتبروهـم الحكومـة.

الضابط الإنجليزي قال ليهو: يا سيد صغير أها والحصل شنو واصل؟

سيد صغير قال: أنا طوالي سقت الجيش بتاعي وخشيت معاهم في حرابة من الصباح للضهر كتلو من ناسي وجرحو كم راجل، وأنحن كتلنا فيهم عدد كبير برضو.

وصل كلامو سيد صغير وهوبعاين للضابط الإنجليزي في ود عيونو المهم ماف زول انتصرعلى التاني وبقي الطرفين تعبانين، بعد الضهر أنا حسيت بي أنهم مواصلين في الحرابة وضربت خماسي في سداسي، وقلت أرجعوأنسحب لي مشرع الرق هناك عندي معسكر والسواحين انسحبوا ذاتهم ووقفت الحرابة بينا.

الضابط الإنجليزي قال ليهو: أها والحصل شنو بعد داك، وظهر عليهو النرفزة من كلام الأمير اللي بيدي فيهو بي القطارة، وماكان خايف منو.

قال سيد صغير: لمن رجعت الديم بتاعي في مشرع الرق اتشاورت مع الأمراء والأخوان المعاي أنو نهجم باكر فجر على السواحين ديل، يا أنحن يا هم.

أهاا واصل.. قالها الإنجليزي وهو بعاين للكاتب وبيقول ليهو أكتب أي كلمة بيقولها الزول دا، كلام مهم للغاية، وبيصل لي ونجت والسردار ذاتوووو.

اتلفت على سيد صغير وقاليهو: يا سيد واصل كلامك يا أخونا.

سيد قال: الأمراء قالوا نرجع أم درمان ونجيب دعم عايزين أنصار وبنادق وذخيرة عشان ندقش السواحين وقرروا أمشي أنا للخليفة بي الباخرة، وجيت أم درمان وإنتو مسكتوني، وواقعين فيني أسئلة وأنا بجاوب.

قال الضابط الإنجليزي: تمام وباقي جيشك وين؟

رد عليهو سيد صغيروقال: باقي جيشي ومعاهو عدد من الأمراء قاعدين في مشرع الرق شمال فشودة منتظرني، وما عارف برجع ليهم ولا لا.

(4)

قـال بيكـي: موجـه كلامـو لي قائـدو العجـوز والله أيـام ارتحنـا مـن ركـوب البواخر ومطاردة الدراويش ودخلنا أم درمان فاتحين ودخلنا في شغل الدوريات المسلحة، تتذكر كل مرة تعين مجموعة من الضباط بتاعين البحرية بطلعوا يعملوا استطلاع، وفي مـرة وصلنـا لحـدي الدويـم في بحـر أبيـض في الوكـت داك.

كيبـل قاليهو:بتذكـر كان قلـم المخابـرات كل مـرة يجيـب معلومـات عـن الدراويـش مـرة تجمعـات ومـرة جيـش هاجـم ونطلـع الدوريـات بـلا فائـدة تمـش تمشط، وتجي،أصلو كان في شكلو مصدر بيدي المعلومات دي لي قلم المخابرات، ونتبـالي بيهـا نحنأصلـو مـا ارتحنـا.

ضحـك بيكـي العجـوز وقـال: وقـال بعـد جيـة سـيد صغـير ورفـع الموضـوع لي ونجـت باشـا وونجـت كلـم السـردار عـلى الفـور بي المعلومـات اسـتجوابو للرجـال الـلي مسـكوهم مـع الأمـير سـيد صغـير عرفـو إنـو دي قـوات فرنسـية بتسـابق في الجيـش الإنجليـزي، وكان لازم يحسـموا الموضـوع في أسرع فرصـة.

كيبـل انتهـد، وقـال: أي والله بقينا في اجتماعات طيلة بندرس في الموقف العسكري الـلي ظهـر لينـا فيهـو جيـش فرنسـا في السـودان، فجـأة ومـا كان متوقـع أصلـو.

واصـل كيبـل، وقـال: وبعدهـا قـرر السـردار يمـش ليهـم بعـد وصـول سـيد صغير بي يومـين جـاني أمـر بتجهيـز البـوارج الحربيـة عشـان يصلـو فشـودة، ويشـوفو قصـة الفرنسـيين الـلي جـو في حـوض نهـر النيـل دي شـنو كـمان.

(5)

عبـد الواحـد قـال: أوروبـا في الوكـت كان بينهـم تنافـس وحـروب تقيلـة كل ملـك بيغـزو مملكـة التـاني، ووقـع بينهـم مـوت تقيـل لحـدي ماظهـر خواجـة ألمـاني اسـمو بسـمارك، ودا اتعـين مستشـار في ألمانيـا، وهـو الغـير نظـرة الأوروبيـين للدنيـا.

بسمارك قال للملوك والأمراء والأعيان: هوي انتو فوق شنو بتتشاكلو والدنيا كبيرة العايز ملك ومال وجاه يرسل جيشو أسيا وإفريقيا، لكن قبال ما نمش نحدد مناطق النفوذ عشان ما نتصارع تاني دا كان في اجتماع للملوك والأمراء الخواجات في برلين سنة 1885م.

حاج الماحي خشّ في الموضوع، وقال: المعنى بسمارك هو الجاب لينا الهوا وخلى الخواجات أولاد أم زقدة يجو يقلعوا بلدنا ويشيلوا خيراتها، ماعفيت منو تب.

عبد البين قال: شوف يا حاج الماحي الاستعمار مافيهو خير أصلو، صحي جاب لينا حاجات كنا ما بنعرفهازي السكة حديد وعمل مشاريع وموانئ وفتح مدارس إلا إنو دا كلو عشان يسهل لغف ما يمكن لغفو إلا الاستعمار ذلة ومهانة، وكتلو الناس عشان هم متفوقين علينا، ولّا مش كدا يا حاج عبد الواحد؟لكن ناسك أبان جبباً مرقعة وجراباً ممدودة عدمونا أي حاجة، وهم السبب في جية الاستعمار، وفي نهاية بقو حبابيو وناسو.

عبد الواحد: أي كلامك صاح لكن تسمية استعمار ذاتا غلط كبير لأنو استعمار من عمر يعمر فهو معمر ومستعمر وديل ما عمرو أصلو أي بلد في الدنيا احتلوها ما لاقت إلا الذل والهوان، لكن الصاح دا احتلال عشان نقول أي حاجة صاح ما نلخبط الكلام.

حاج الماحي قاليهو يا الحاج عبد الواحد عمر يعمر يعني كبر، وبقى قدرنا في العمر،يعني تاني ما بيعرس من جديد هوي إنت قاصد شنو؟

الجميع أدوها ضحكة، وقال عبد الواحد: عمر يعمر من التعمير والتنمية وديل عملو تنمية عشان ينهبوا أصلو كان في صراع على الموارد والخيرات عشان ينوا بلدهم وينشفونا ويشغلونا عبيد في بلدنا، الاحتلال ما بتشكر، والبشكرو خاين وبس.

عبد البين قال: واصل ياخ الإنجليز سووا شنو مع زولك الأمير سيد صغير شالو منو الكلام العايزنو كلو حصل شنو ياخ؟

عبد الواحد قال: بعداك الإنجليز دخلوا في اجتماع طويل، فيهو كتشنر ودا الرئيس وونجت وشواطين باشا أقصد سلاطين، وكبار الضباط الوكت داك حكومة احتلال عسكري ما مدنية خالص.

السردار كتشنر باشا استمع لي ونجت باشا ودا كان مدير المخابرات،أعادوا كلام سيد صغير بعد رتبوهو وترجموهو، وبقو بتكلموا في العمل شنو وطلعوا بي قرارات أولا بي التبادي يكلموا القاهرة ولندن بي قصة التدخل الفرنسي في حوض النيل والدبلوماسيين يشوفو شغلهم. وتاني شيء يقوم السردار بي ذات نفسو من الصباح بي البوارج والماتوا في كرري دمهم ما نشف، يقوم يشوف القصة بي نفسو ومعاهو ونجت، ويطرد الفرنسيين من فشودة على اعتبار أنها مديرية من مديريات الخديوي، ودا تدخل سافر فيها قالها عبد الواحد وهو منفعل.

(6)

عبد البين قال: المعنى حاتكون في حرابة بينهم في واطاتنا، والله الخواجات ما بيخجلوا أنا كنت قايل الإنجليز فيهم خير كتير ياخ.

عبد الواحد قاليهو: خير أنت ماف جيش بحتل بلد بعمل فيها خير.

عبد اليبن قاليهو: ياخ كفاية خلصنا من حكم المهدية وشفنا الدنيا فيها شنو.

عبد الواحد قاليهو: الخير في ما اختار الله مافي الخواجات ملك المهدية انتهي واستشهد في كرري عدد كبير من السودانيين بي سلاح الإنجليز، وانجرح عدد كبير من الرجال، والخليفة عبد الله كان الوكت داك في كردفان منسحب من جيش الإنجليز بعد كرري ومعاهو قوة من الأنصار، ولسع ما استقروا في مكان.

عبد الواحد واصل وقال: كتب ونجت باشا في تقرير المخابرات الكلام دا اقرأ ليكم بي ضبانتو:

عندما تلقى معلومات بوصول قوة أوروبية إلى فشودة الخليفة على الفور أرسل حملة للقضاء على الأوروبيين هذه الحملة استقلت باخرتان هما الصافية والتوفيقية وعدد 11 مركباً مع قوة صغيرة قوامها 500 محارب منهم 150 مسلحين ببنادق الرامجتون ويحملون 35 صندوق ذخيرة وعدد 1 مدفع تحت قيادة سيد صغير الجعلي والأمير حسيب أحمد جمالالدين الجعلي والأمير أحمد ود محمود الجعلي والأمير ضو البيت التعايشي والأمير على البيتي التعايشي.

الحملة تحركت من أم درمانفي يوم الجمعة الموافق 29 يوليو وبعد 28 يوماً من الإبحار في النيل وكانوا كل يوم ينزلون ليأخذوا طعاماً وأخشاباً للبواخر، في صباح الثلاثاء 25 أغسطس 1898م وصلت حملةالخليفة إلى فشودة ووجدت أن القوة الأوروبية تحصنت في موقعين في شكل طابية وأطلق الدراويش في الحال النار عليهم. القوة الأوروبية الموجودة في فشودةمسلحة ببنادق ولكن ليس لديها مدفعية وأطلقوا نيراناً كثيفة على قوات الدراويش الذين تراجعوا شمالاً بعد قتل منهم 31رجلاً وجرح منهم 60فرداً.

(7)

كيبل واصل: وهو بيحكي وقال لي بيكي: تتذكر وكت قلت ليك جهزوا البوارج السردار ماش يشوف قصة الفرنسيين ويتحقق منها، وكان رسل تلغراف مستعجل للقاهرة ولندن، وأطلعهم لي الموقف بي صورة عامةوالخطوة اللي عملها.

رد بيكي: بتتذكر يا كمندان فكينا من الأنصار بقينا في الفرنسيين كمان ديك أيام عجيبة ياخ كنا شباب متحمسين.

(8)

كيبل قال: بعد اتجمعت كلالمعلومات اتحرك السردارالسير هيربرت كتشنر باشا من أم درمان يوم 10 سبتمبر ومعاهو خمس بوارج حربية شايلة قوات الكاميرون هاي لاندشير و 2 كتيبة سودانية وبطارية مدفعية مصرية مسلحة برشاشات المكسيم، وأبحرنا لي فشودة في أعالي النيل الأبيض الجنرال ومعانا ونجت باشامدير مخابرات الجيش.

كيبيل: في يوم 15 سبتمبر وصلنا لي معسكر الدراويش الذي يبعد مسافة 650 كيلومتراً جنوب الخرطوم وبعد جرابة صغيرة من الأنصار شلناهم أسرى،وكانت معاهم في باخرتهم الصافية و11 قارباً كبيراً، أغلب قوات الأنصار بمن فيهم سيد صغير أخذوا أسرى جميعاً.

قال بيكي:الموقف الصعب مش كان أننا ندخل ديم الأنصار لأنو أصلا كانت معانا باخرتهم، وكان معانا أسرى منهم اتكلمو معاهم وطمنوهم وأخدناهم بدون مقاومة تقريباً، لكن يا صديقي كيبل الموقف الصعب لمن نحن واقفين في قيفة ديم الأنصار ورسلنا شلكاوي بي جواب للقوة الأوروبية نسألهم عن هويتهم ومتي وصلو أراضي حيازة بريطانيا.

كيبل: قال والله كلامك صاح أتذكر في الصباح جاء مركب معدني صغير فيهو زنوج رافعين علم فرنسا ووقفوا في القيفة، وقالو جايين رسالة من قائدهم لي قائد القوة الإنجليزي.

واصل بيكي وقال: أهاااا لكن وصلنا الرسالة لي السردار طوالي اتحرك بي البوارج نحو فشودة، ولمن دخلنا ظهرت لينا خرابة مباني المديرية القديمة من بعيد، وفيها علم فرنسا اللي أذهلنا كلنا، وواصل كلامو، وقال: قوة فرنسية في مجاهل جنوب السودان يا ربي ديل ماهم في البلد دي وجو بي وين وعايزين شنو.

كيبـل: لمـن نـزل الـسردار حـدث الأغـرب. القـوة الفرنسـية الصغـيرة عزفـت النشـيد الوطنـي الفرنـسي والإنجليـزي، وكان قـوام قـوة الفرنسـيين سـود مـن السـنغال هدومهـم مقطعـة وحالهـم بائـس يفتقـدون للمـرح وبنادقهـم قديمـة مـن كثـرة الاسـتعمال،إضافة إلى عـدم اهتـمام بي النظـام.

اتقـدم الميجـور مارشـند ودا القائـد الفرنـسي وصافـح الجنـرال كتشـنر وونجـت والضبـاط الإنجليـز، ورحـب بيهـم في فشـودة، وعمـل جولـة معاهـم سريعـة بعـد المجامـلات.

ونجـت بتكلـم مـع واحـد مـن ضبـاط الحملـة الفرنسـية وقاليهـو: مرحباًأنـا ونجـت مديـر المخابـرات الحربيـة.

رد عليه الضابط الفرنسي: مرحبا أنا اسمي جيرماني قائد ثاني القوة الفرنسية.

ونجت: كيف حالكم في هذه المنطقة المعزولة من العالم.

ضحك جيرماني: ماشي الحال ياهو أنتو برضو لحقتونا فيها، وضحكا معاً.

في الوكـت الـلي كانـت كـؤوس النبيـذ الفرنـسي بتتـوزع عـلى الحضـور، والسـود بعاينـو في الموقـف العصيـب الـلي كان ظاهـر في عيـون الـكل.

دار حـوار جـاد وسـاخن بـين كتشـنر ومارشـند بعـد الترحيـب، وفيهـو نـوع مـن الدبلوماسـية العسـكرية.

كتشنر قال لي مارشند: مين اللي خلاكم تدخلوا في أراضي حيازة بريطانيا.

مارشند: حكومتنا ياسعادتك دي أوامرها.

كتشنر: أنتم ارتكبتم خطأ وأدعوكم للانسحاب الفوري من فشودة.

مارشند: لن ننسحب إلا بأمر من الحكومة الفرنسية.

كتشنر: أفهم أنكم تقاومون أمرنا اليكم.

مارشند: لن ننسحب حتى لو أدى ذلك إلى موتنا وعلى الرغم من قلة قوتنا إلا أننا نتبع للحكومة الفرنسية ولن ننفذ إلا أوامرها فقط.

كتشنر: وطيب الحل شنو؟

مارشند: أنا غايتو ما منسحب مهما كانت النتيجة اتكلم مع حكومتي على الأقل نمرق بي شرفنا وما يقولوا خافوا.

كتشنر: كويس أنا برفع الأمر للحكومة تتباحث مع حكومتكم وبجيك الأمر سراع.

مارشند: حبابو.. أها إنتو بتقعدوا ولا بتتسجبوا.

كتشنر: نحن حا نفتح قوة ونرفع علمي مصر وبريطانيا.

قال عبد الواحد: الغريب في إنو الفرنسيين هم الساعدو الإنجليز عشان يلقو حتة ناشفة يعملوا فيها معسكر في فشودة، والإنجليز هم اللي دبرو ليهم انسحاب الفرنسيين عن طريق نهر السوباط ومنها للحبشة ومنها إلى جيبوتي، وتم تكريم مارشند وجنوده في فرنسا، وأزمة فشودة كادت تعصف بين قوتين عظميين في الوكت داك.

عبد والواحد قال لي جماعتو ما قلته ليكم الخواجات خلافاتهم في زمن الاحتلال، ولا كان هسع كلو تنافس على مواردنا وكلو شغل مصالح وبس.

***

آخر طلقة وآخر عسكري

معركة كربكان

آخر طلقة وآخر عسكري
معركة الكربكان

(1)

عبد الواحد قاعد بيقرأ في كتاب ما فيهو غلاف وهو متكئ بيقرأ بي صوت عالي وحولو عبد البين وحاج الماحي والحاج مصطفى، وقال: معركة كربكان، هي واحدة من معارك الأنصار ضد الجيش البريطاني وقعت في يوم 10 فبراير 1885،وكانت حملة لي إنقاذ الجنرال غردون المحاصر في الخرطوم تتقدم نحوه، وكان في طابورين، واحد اسمو طابور الصحراء والتاني طابور النهر والمعركة وقعت مع طابور النهر اللي كان مكون من نحو 3000 عسكري بريطانيتحت قيادة الجنرال ويليام إيرل.

وكربكان عبارة عن جبل يشرف ويسيطر على مجرى نهر النيل، وكان الأنصار في قمته وطابور النهر يريدتجاوز خانق كربكان،فوقعت معركة رهيبة خسر الجيش البريطاني 60 قتيلاً، من بينهم الجنرال إيرلقائد طابور النهر.

قال عبد الواحد بعد ماخت كتابو المتهالك الصفحات: كلام عجيب وغريب؟

عبد البين: قال ليهو العجيب شنو؟ ناس في رأس جبل ومعاهم بنادق وناس في البوابير والمراكب الطبيعي أنو ناس راس الجبل يعملوا خسارة في ناس البحر، وين الشجاعة ومعارك الالتحام بتاعت المهدية؟

حاج الماحي رد على عبد البين، وهو منفعل وقال: كيف ماف حاجة ديل الترك أبان برانيط وشايلين سلاح ورجال دي قمة الشجاعة والتكتيك العسكري وقدرة على الحرابة ياخ بس الما بيدوركبيحمر ليك في الضلام.

عبد الواحد أخد كتابو وقعد يقلب في الصفحات وتعابير وشو فيها كلام كتير، وما اشتغل بي المعركة اللي دورت في ضل الدكان في حلتهم.

(2)

في شمال السودان تسري أوصال الحياة في الشريط النيلي الضيق المحاط بي الجروف وأشجار النخيل وتتواصل القرى فيما بينها وتجمعها الأفراح والأتراح والدين واللغة والتقاليد.

في هذه البيئة الصعبة يكافح السكان لكسب لقمة عيشهم فما بين ديار الشايقية في الشمال وديار الرباطاب تقع ديار المناصير، وفي وسط ديار المناصير يقف جبل كربكان كخانق في النيل يكسر الأمواج التي تصافحه كل ثانية منذ زمن طويل، وهذا أكسب المنطقة عمقاً في التاريخ الذي شهد حضارات كثيرة ومتنوعة.

قال الراحل الشاعر مدني تميم أرقي المغني يصف تلك البلاد ويتذكر محبوبته التي سماها باسم شادية، ففي هذه النواحي لا يذكر اسم المحبوبة، فقال:

يوم وداعك شادية.. كان يوما ختر..

صب دمع الفرقة...من العين قطر..

كربكان جات تمشى.. بي طرف البحر

دار تشيل محبوبي.. تخفي من النظر

وعلى أنغام الربابة والدليب والصفقة تتراقص قلوب المحبين تعبيراً عن حنانهم لأرضهم وإخلاصهم لها، فهي في وجدانهم تكبر وتزدهي، إن ابتعدوا عنها أو كانوا فيها.

(3)

أهلنا المناصير ومعاهم الرباطاب في شمال السودان ديل عندهم قصص عجيبة في أيام المهدية والمناصير ناس في حالهم معروفين أنهم مسالمين وحلوين مع جيرانهم والغريب، إلا البيجي ظالم بيلقاهم أقوى من جبالهم، شمالهم وجنوبهم بحر النيل، وهم عايشين على الشريط النيلي وشغالين بي الزراعة والتجارة، وناس في حالهم لمن قامت المهدية ظهرت ليهم قصص خلت الإنجليز يقولوا لازم ينتقموا من المناصير والبجا.. قالها حاج عبد الواحد بي فخر عجيب.

عبد البين: هوي بطل كلامك دا كل السودان حارب الترك وبعدين النتيجة شنو بتاعت المهدية؟ أهو ماتوا في كرري موت الضان.

رد عليهو الماحي: شوف جنس الكلام دا ياهو المقعدنا في الواطة، المهدية دي الشكلت السودان، ولمت الناس، ناسك الترك ديل عصرو الناس حتى بقوا يقولوا مية في التربة ولا ريال طلبة.

عبد البين: ياحاج الماحي إنت قايل الدنيا مهدية؟ دي أيام ولت وانتهت وربنا خلصنا منها ياخ.

عبد الواحد: ضحك وقال ليهم من قمنا السودان مقسوم هلال ومريخ وكل فريق ناسو هم الكويسين، والتانين كعبين، أي حاجة فيها الكعب والكويس،والله بلا جنس التعصب دا ماف حاجة مضيعانا، روقو.

(4)

قال عبد الواحد: القصة دي حصلت لمن كان غردون محاصر في الخرطوم في آخر أيامو وبيكورك للخواجات في لندن وخديوي مصر عشان يرسلوا ليهو حملة عشان تفك حصارو.

حاج الماحي رد عليهو: الشقي غردون دا مات في الخرطوم وشبع موت.

عبد البين: أيوة مات في الخرطوم ما شرد، كان ممكن يشرد زي صاحبك، لكن أبى.

حاج الماحي: الحرب خدعة وفيها الكر والفر وكلو تخطيط، زويلك غردون حفر حفرتو وبقى يقول أنقذوني كان عايز يخلد نفسو بي الكضب والصاح.

عبد الواحد ما اشتغل بي كلامهم، وواصل، وقال: أهأ قاموا رسلوا ليهو حملة إنقاذ كان قائدها ويسلي، ودا من جنرلات الجيش البريطاني، والحملة دي عشان تصل سريع فرزوها لي مجموعتين ناس البحر وناس الصحراء.

واصل وقال: أهاا الأنصار في كربكان لاقوا ناس البحر وكتلوا قائدهم، ودي القصة في كيف كتلو الجنرال ايرل، ودي عايزة قعدة وعدم غلاط وشاي منعنع، وأخدوا ليهم ضحكة.

(5)

عبد الواحد واصل وقال: الإنجليز خلدوا ذكرى معركة كربكان في شمال السودان بي أنهم عملوا لوحة جدارية كبيرة نحاسية فى الجدار الشمالي بتاع كنيسة ليت شيلفيد في بريطانيا تخليداً لي ناسهم الماتو في كربكان يوم 10 نوفمبر 1884م من الضباط والجنود، ورسموا معاها خريطة للمنطقة واعتبروها معركة، وهي كانت في نظر المهدية مناوشات وعملية تأخير تقدم، شفتو كيف؟

حاج الماحي: ينصر دينك وري عبد البين الفرق.

عبد البين ماردّ عليهم، لكن ضحك وضحكوا أصحابو معاهو.

عبد البين قاطعهم: الإنجليز عندهم توثيق وكتابة لي كل الحوادث والمقالب الدخلوا فيها، والتوثيق دا هو الحفظ أمجادهم مش زينا نحن،أدبنا وتأريخنا لسع ما مكتوب، وأغلبو منسي ولا محكي، حكاوي حبوبات ساكت.

حاج الماحي: ياخ أول زول وثق لي أعمالو المهدي نفسو وخلاها في منشورات موجودة، وحققها البروف أبوسليم، وبعدين في كتاب كتبو، كتاب زي إسماعيل الكردفاني وثق لي بداية الثورة في كتابو سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، وكتابو التاني الطراز المنقوش في قتل يوحنا ملك الحبوش.

عبد البين قاطعو: أها والكردفاني شن بقى عليهو، ما أكلتو المرافعين في سجن جزيرة الرجاف في الجنوببي أمر الخليفة عبد الله التعايشي، المهدية كل فرسانهاجازتم بي الشر يا سجن يا إعدام.

عبد الواحد قال وهو عايز يفض الاشتباك: خلونا في قصتنا يا ناس أي نظام سياسي فيهو الشين وفيهو الكويس، ودا غلاط ما بنتهي خلوني أكمل ليكم.

حاج الماحي: ياخ خلاص كمل أنا والله في شوق عشان أعرف الحصل شنو، لكن سؤالي أنو المعركة دي بعد تحرير الخرطوم وموت غردون تاني الإنجليز كانوا عاوزين ينقذوا منو أصلا ما جايين لي غردون والراجل مات وراح شمار في مرقة؟

عبد الواحد: كلامك حلو إلا لو دخلنا كدا وكدا الموضوع بطول خلونا نكمل المعركة دي مؤثرة لأنو فيها المنسي من تاريخنا ذاتوو.

(6)

اعتدل الحاج عبد الواحد وقال: شوفو يا جماعة الخير أمتع كتاب عن المهدية كتبو البروفيسور عبد المحمود أبوشامة دا عالم جليلجمع عدد من الوثائق والمراجع من عدة جهات، وبعد داك سبكها سبكة حلوة وسمى كتابو حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تسلهاي، وجاب فيهو البروف تفاصيل منسية، جزاه الله ألف خير، توثيقو مميز خالص.

حاج الماحي: أهاا شن قال عن يوم كربكان؟

عبد البين: ياخ ما تبل الصبر شوية عارفك عاوز البنفع معاك، وبس وأخدوا ضحكة كلهم.

عبد الواحد استمر، وقال: بعد ما كان طابور النهر اللي قائدو إيرل متقدم بي ثبات في النيل كان لازم يمر من خانق جبلي في كربكان، وزي ماقلت كربكان جبل بيعترض مجرى النيل في بلاد المناصير اللي كان شيخهم عثمان ود القمر اللي كتل الجنرال ستيورات باشا بتاع الباخرة عباس في جزيرة الكون قبالة قرية الهبة.

عبد البين: عرفناه ودا اللي نزلوا عندو الخواجات والباشوات وأداهم الأمان وكتلهم مش ياهو؟

حاج الماحي: يازول روق ديل محاربين والحرب خدعة أمان شنو للإنجليز ديل حدهم السيف وبس.

عبد الواحد: المهم المعركة دي كانت من المعارك الساخنة، الأنصار فوق راس الجبل عددهم أربعين راجل موزعين في تلاتة قمم في جبل كربكان وقدامو جزيرة كربكان والإنجليز في البوابير والمراكب عددهم تلاتة ألف ومسلحين بي المدفعية والبنادق اللي كانت أحدث من بنادق الأنصار.

عبد البين: أكيد بناق الأنصار كانت من الراجمتون وأبو لفتة وخشخشان ودقو فيل، وديل بنادق زمنن فات وغناين مات، شن بسون مع المرتين هنري الجديدة يا ناس؟

حاج الماحي: بي قدمن دا سون حاجة،أسمع القصة ياخ.

عبد الواحد: لمن دخلت قوات طابور البحر في مدى نيران الأنصار، فتحو نار بنادقم العتيقة والقديمة لكن الطلقة كانت بي زول وتعبوا الإنجليز اللي بقوا بيردوا عليهم، لكن الأنصار مستخدمين قمم الجبال التلاته استخدام كويس ساعدهم كتير في تعطيل طابور النهر، ودا كان هدفهم.

حاج الماحي:ما قلت ليك يا عبد البين في شان الله الأخوان عايزين يوقفو حملة الإنقاذ عشان ناس أبو قرجة يخشو الخرطوم.

عبد البين: خلي اللي يكمل وبعداك نشوف آخرتا.

عبد الواحد: الجنرال إيرل أمر بي فتح النار على الجبل حتت النار جاية من القمم وبدأ الإنجليز يضربوا لكن الأنصار كانوا مياخدين وضعية في ساتر عالي، بالتالي الذخيرة بتاعت الإنجليز ما كانت مؤثرة على قوة الأنصار اللي مواصلين ضرب نار بطيء، لكن مؤثر لأنو ذخيرتهم من فوق وبي تنشين عجيب.

(7)

عبد الواحد مسككتابالبروف عبد المحمود أبو شامة الاسمو حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تسلهاي، وقعد يقلب، وقرا ليهم كلام الجنرال ولسلي قائد حملة إنقاذ غردونالليقالوا للجنرال وود القائد العام للجيش: إن إيرل لايصلح إلا لرتبة سيرجنت ميجور. يعني وصفو إنو ما بنفع غير صول. وضحكوا كلهم على سخرية ولسلي على ضابطو إيرلاللي هو قائد طابور النيل في الوكت داك.

لكن كان الجنرال أيرل قائد جيش كبير اتحرك من دنقلا في يوم عيد الميلاد عام 1884م، وكان نائب الجنرال إيرل الكلونيل هنري براكنبراي، لكن ولسلي برضو كان بيسخر منو.

وقرأ ليهم من كتاب أبو شامه إنو الجنرال ولسلي كتب جواب لي مرتو اللي اسمها لويزا إلى كانت قاعدة في لندن والكلام دا يوم 22 ديسمبر 1884م قال ليهابراك، وقاصد براكنبراي، صوته كل يوم يصبح أكثر ضخامة ومؤخرته أكثر تربيعاً وعضلات ساقيه أكثر سمكاً وشعره أقل كثافة وبطنه أكثر اتساعاً ولونه أكثر صفرة. ضحك عبد الواحد والماحي وعبد البين من سخرية ولسلي.

حاج الماحي: ضحك وقال والله ولسلي دا مصيبة وكت عارف ناسو خوازيق زي دا مالو خاتيهم قدام سيوف الأنصار.

عبد البين: ها زول إنت ماعارف الإنجليز ساخرين، الشيء عادي عندهم الخوازيق.

موسى ود حجل دا الأميرقائد مناوشات الكربكان اللي اختارو الأمير عبد الماجد أبو لكيلك، ودا كان أمير في جيش المهدي، ورسل ود حجل عشان يقوم بي مهمة مناوشة وتأخير طابور النهر، وبقى موسى ود حجل ورجالو يتراجعوا جنوباً كل ما يتقدم طابور النهر لحدي ما حصلوا جبال كربكان، الكلام دا قالو عبد الواحد، وهو يتنفس بصوت واضح فيهو نوع من الانفعال.

حاج الماحي قال ليو: والحصل شنو يا حاج عبد الواحد؟ كمل كمل.

لمن اتقدم جيش الإنجليز بدت المناوشات واتخيل إيرل نفسو حيخش في معركة كبيرة وبدا الأنصار يضربوا نار من فوق وبقى في تبادل نيران، قتل فيها إتنين من الضباط، واحد اسمو هورس برا ودا كابتن وملازم كولبرون وديل

كانوا في قوه صغيره معاهم الجنرال إيرل، حاولوايلتفوا ويطلعوا الجبل والقوة الرئيسية في الوكت داك كانت بتضرب في الأنصار عشان تشتت انتباهم عن القوة الصغيرةالكانت دايرة تلتف حول الجبل، وتنهي مقاومة الأنصار.

الأمير موسيأب حجل كان بقول للأنصار أي زول بتكمل ذخيرتو ينزل من الجبل.. قالها عبد الواحد.

واصل عبد الواحد وقال: الرباطاب والمناصير اللهم الأنصار البناوشو كانوا حافظين المنطقة والمزلقانات البنزلو بيها والمنطقة دي كان بسموها الشقوق، يعني ممكن تندسا فيها عادي.

جزء من الأنصار الكملت زخيرتم كانوا نازلين من الجبل لاقتم قوة إيرل الملتفة واشتكبوا معاهم بي يدينم والحراب الصغيرة وقاموا الإنجليز ضربوهم بالرصاص.

وفي الوكت داك ما فضل في قمة الجبل إلا راجلين من الأنصار عندهم طلقه واحدة القوة الملتفةاتقدمت ومعاهم الجنرال إيرل ونايبو براكنبراي وكبير الجراحين ورقيب وعشرة عساكر.

وهم متقدمين شافوا قدامن قطية متهالكة، إيرل مشى عليها وناسو بيحاولوا يبعدوه منها وهو متقدم عليها.

عبد الواحد سكت وبقى بعاين بعيد ومرت لحظات كأنها زمن طويل جداً وسكتو كلهم بيفكروا في الـلي بيحصل.

عبد البين قال ليو: أها الحصل شنو؟ ما تقول لي الاتنين أبين طلقة واحدة عملوها؟ يازول واصل واصل الظاهر الشغلة كتمت.

في الوكت داك إيرل كان ماشي على القطية وبقى ليها قريب وعساكرو ما عايزين يصلوها خايفين منها.

الرقيب المعاهو والقوة الملتفة قال للجنرال إيرل: هناك عدد كبير من الأعداء في القطية وضرب واحد من رجالنا قبال شوية.

ايرل قال ليو: أحرق القطية.

الرقيب قال ليو: لكن ممكن تكون فيها ذخاير تنفجر فينا.

قاليو إيرل: أضرب نار في القطية لو فيها ذخيرة بتقوم وبنعرفا.

الرقيب قال لي واحد من الجنود بي لهجة أمر عسكري: أضرب نار يا عسكري.

العسكري ضرب نار في القطية ما حصلت حاجة لا قامت منها طلقة ولا انفجرت فيها ذخيرة من أصلو.

إيرل قال بي لهجة غضب: أحرقوها، ولعواالعساكر في القطية نار.

عبد الواحد قال: عينك ما تشوف إلا النار ولعت في القطية وواحد من الأنصار الجوة القطية طلع منها جري وإتلقوهو العساكر بي سناكي البنادق وكتلو الأنصاري في الحال وبقوا بعاينو في النارالـلي أكلت تلت القطيةتقريباً.

إيرل اتقدم وهو بقول لي باكنبراي: القطية دي لافيها زول ولاخاتين فيها ذخيرةإنتو جبناءواتقدم عليها وجماعتو ماشين وراو.

في الساعه 12 و45 دقيقة يعني بعد الضهر في يوم 10 فبراير 1885م قامت طلقة من جوة القطية الحرقانة ووقعت في راس الجنرال إيرل الـلي وقع جنازة وسط صخور كربكان القوية،وبقى الجنرال الخامس الكتلو الأنصار والـلي بي سببو الإنجليز قبال كرري انتقمو من البجة والمناصير.

حاج الماحي: الله أكبر ولله الحمد في شان الله شوف جنس الرجالة دي.

سأل عبد البين: اهااا ياسيد الامنتي ليكوالأنصاري الكتلو جرا برضو من القطية

عبد الواحد: الله يرحمو صبر على النار أكلت جسمو، لكن طلقتو الوحيدة اللي هزت بريطانيا كلها وحققت أهدافا.

حاج الماحي:أها والجيش الحصل ليو شنو؟

الجيش اتولى قيادتو براكنبراي اللي بيدلعوا الإنجليز وبقولوا ليو براك وبقى الجنرال براك فيما بعد.

ودي من القصص المنسية في تاريخنا واللي عايزة وقفة عن شجاعة سيد الطلقة الوحيدة اللي بعدها اتغير الكتير من أفكار الإنجليز عن السودانيين.

***

معركة دا روتي

عدو وصديق في البير

معركة داروتي
عدو وصديق في البير

(1)

عبد الواحد الليلة جا بدري وشايل ليو كتاب وقاعد يقرأ بدون ما يتكلم مع زول وناسو بدوا يتلموا واحد واحد.

حاج الماحي: سلام كيفنك يا حاج عبد الواحد؟

عبد الواحد: تمام والله وواصل في قرايتو.

جا من هناك عبد البين بعد سلم قال: يا عبد الواحد كتابك دا عجيب. كتابك دا شنو؟

عبد الواحد قال: دا كتاب الأستاذ إبراهيم يحيى عبد الرحمن العنوانو سلطنة دار مساليت او دار مسرة وبقرأ في قصة السلطان تاج الدين.

حاج الماحي قال ليو السلطان تاج الدين دا منو؟ أول مرةأسمع بيوهو.

عبد البين: إنت سمعت بي منو؟ بلا أنصارك ديل بتعرف منو؟

عبد الواحد قال: دي فرصة عشان أحكي ليكم قصة السلطان تاج الدين الله يرحمو ومعركتين ليهو الأوليكريدنق والتانيةداروتي.

عبد البين قال ليو: عرفنا داروتي كريدنق دي شنو؟

عبد الواحد ضحك وقال ليو كريدنق دي من المنسي من تاريخنا وداروتي من المحكي.

حاج الماحي قال: إتوكلنا على الله أحكي لينا القصة.

عبد الواحد قال: المساليت واحدة من كبريات قبائل دارفور وساكنين في الحدود الحالية مع تشاد وكانوا أنصار المهدي، وفي سنة 1901م بقى السلطان تاج الدين سلطان عليهم، وفي عهدو حصلت قصة التدخل الفرنسي في غرب السودان.

(2)

عبد الواحد قال: عشان نفهم القصة لازم نرجع لي وراء شوية.

بعد مقتل سليمان والزبير باشا على يد جسي قام رابح الزبير ومعاهو مجموعة من جيشو مشو لي وداي وفتحوها وأسسو دولة إسلامية كبيرة، لكن الدولة اصطدمت بالتوسع الفرنسي في غرب إفريقيا، ووقعت بينهم عدة معارك في عدة مواقع، وآخرها كانت معركة مع الجنرال الفرنسي لامي اللي أسس فورت لامي واللي اتحول الليلة اسمها لي إنجمينا عاصمة تشاد.

حاج الماحي: إنجمينا دي كان اسمها فورت لامي؟

عبد الواحد: هي قديمة سموها فورت لامي لأنو وقعت فيها المعركة مع رابح ود الزبير، والمعركة دي بي تاريخ1899/ 4/ 23م، يعني بعد سنة من معركة كرري، وبعد استشهاد رابح الزبير مسك القيادة ولدو فضل الله، وحارب الفرنسيين، وبعد كم شهر برضو استشهد هو ذاتو وسقطت مناطق غرب إفريقيا في يد الفرنسيين.

واصل وقال: في الوكت داك كان في سلطان في أبشي اسمو السلطان دود مرة، وحاول إنو يقاوم الفرنسيين،إلا إنو فشل وهزم بعد جولات كتيرة، وواحد من أسباب هزيمتو إنو كان في عدد من الأمراء بفتكرو إنو الفرنسيين ممكن يساعدوهم، ويصلو لي منصب السلطان،عشان كدا بقى ضهر السلطان دود مرة مكشوف، فهرب لي سلاطين الشرق في دارفور عشان يساعدوهو في الرجوع لي ملكو ودخل في ديار مساليت في زمن السلطان تاج الدين.

(3)

ومسك بعد دود مرة في سلطنة وداي السلطان أصيل ود السلطان محمد شريف في سنة 1910م، ودا العاون الفرنسيين وساعدهم، وقاليهم إنو السلطنات في دارفور تابعة ليهو زي سلطنة الفور والمساليت ودار تاما ودار سلا وغيرها دا اللي خلي الفرنسيين يفكرو في دارفور كلها قالا عبد الواحد.

عبد البين: يعني السلطان أصيل هو الدفر الفرنسيين وطمعهم في دارفور؟

عبد الواحد: اااي السلطان أصيل كان عايز يضمن إنو كل الممالك الجنبو تخضع للفرنسيين، وطوالي قام السلطان أصيل عميل الفرنسيين كتب جوابات لسلاطين دارفور دعاهم للدخول في إمرتو، وقال ليهم إنو هو السلطان الجديد لسلطنة وداي الكلام دا بي إيعاز من الفرنسيين.

فقام كتب لي السلطان عثمان سلطان دار تاما والسلطان بخيت أبوريشةسلطان دار سلا وديل أعلنوا تبعيتهم ليهو وقبلوا بي كلامو.

حاج الماحي: أها عليدينار وتاج الدين قبلو الكلام دا؟

عبد الواحد: يازول عليدنيار سلطان دارفور والسلطان تاج الدين سلطان المساليت والسلطان إدريس سلطان قمر ديل ردوا عليهو رد قوي، فيهو تحذير للسلطان أصيل وللفرنسيين.

وطـوالي عليدينـار كتـب للإنجليـز في الخرطـوم عـن التهديـدات الفرنسـية لي دارفـور، وطلـب منهـم المعاونـة، وكـمان كتـب للقاهـرة وشرح ليهـم الوضـع، والسـلطان تـاج الديـن عمـل مجلس شـورى وجـاب العقـلاء والكبـار وشـاورهم وكلهـم قالـوا مسـاليت بحاربـوا وبـس، في الوكـت داك وصـل ليهـم السـلطان دود مـرة واحتمـي بيهـم وقـرر إنـو يحـارب معاهـم ودار بينهـم الحـوار دا.

دود مرة: أنا ورجالي بنحارب معاكم يا حضرة السلطان.

تـاج الديـن: إنـت ضيفنـا يـا حـضرة السـلطان ومـا بندخـل ضيفنـا حرابـه إنـت تقعـد معـزز مكـرم.

دود مـره: يـا حـضرة السـلطان كلنـا يـد واحـدة عشـان نرجـع الفرنسـيين خلونـا جنـود في جيشـكم.

تاج الدنيا: نحنا بنحارب وقادرين نهزمم.

دود مره سألو: والعمل شنو؟

السـلطان رد عليهـو: أنـا مـا بصافـح ولا بسـلم ولا بتفـق مـع كافـر، أمـا النـصر وأمـا الشـهادة.

دود مرة:ربنا يقويك يا حضرة السطان.

السلطان تاج الدين: أدعو لينا بالنصر ودعتك الله.

عبـد الواحـد قـال: شـغل السـلطان أصيـل المـا كويسشـجع الفرنسـيين إلى كان قائدهـم اسـمو فيقنشـو في أنهـم يتقدمـوا لي دار صبـاح مـن أبـشي عشـان يخشـوا دارفـور، وطلبـوا تعزيـزات جاتهـم سريعـة، ووضـع خطتـو إنـو يخـش سـلطنة سـلطنةوما يديهـم فرصـة إنـو يتوحـدوا فيـما بينهـم عشـان بـسراع يحتـل أراضيهـم.

حاج الماحي: أها الحصل شنو؟

عبد الواحد:في سبتمبر 1909م رفع الفرنسيين علمهم في دار تاما واتقدمت قوة صغيرة من الفرنسيين ونتيجة للخلافات فيما بينهم اضطر السلطان عثمان التاماوي للهروب للشرق إلى السلطان عليدينار في الفاشر، وكدا بقت دار قمر وتاما وسلا وقّعوا معاهدات مع الفرنسيين والمعاهدات دي بي موجبا بيدفعوا الجزية للفرنسيين مقيّمة بالبقر والضان والذرة والعاج.

وما فضل إلا السلطان تاج الدين اللي قرر يقاوم للآخر.

عبد البين: والله راجل.

واصل عبد الواحد وقال: السلطان عليدينار كان يعتمد على دبلوماسية وسلاح القاهرة ولندن في إيقاف التقدم الفرنسي على أراضيه على عكس السلطان تاج الدين الكان معتمد على الله وسواعد رجالو واتحدى الفرنسيين بي صورة واضحة وأعلنا، وما قدم طلبا ليزول عشان يساعدو ويقاتل معاو.

(4)

عبد الواحد قال: فيقنشو القائد والحاكم العسكري الفرنسي قام بزيارة للسلطنات الشرقية لي أبشي، وهي دار تاما ودار قمر ودار مساليت ودار سلا، وكانت معاهو قوات كتيرة بيستعرضها عشان يرهب الزعماء والسلاطين والأعيان، ويحاول يوقف قلبهم، ويقطع أي خطة للمقاومة، ودي بسموها الحرب النفسية ونجحت وقتها.

عبد الواحد قال: قامالفرنسي فيقشنو عشان يأكد سلطة الفرنسيين عليهم، كتب للسلاطين ديل أنو بجي معاو السلطان أصيل،وطلب منهم التجهيز لاستقبالو، وتقديم الضرائب والجزية المفروضة عليهم، فيقنشو عجبتو روحو عشان كدا واثق من قواتو، وإنو ما محتاج لي حرب تاني.

لكـن سـلاطين الـشرق ردو رد حاسـم فهمـو السـلطان أصيـل، وقالـو إنهـم مـا تابعـين لي سـلطنة وداي ولـو اضطـروا يخشـوا حـرب حيخشـوا.

السـلطان أصيـل فهـم الـكلام كويـس وعرفهـا حـرب حـرب لكـن مـا إتكلـم للفرنسـيين واتعلـل بحجـج واهيـة منهـا إنـو عيـان وماقـادر يركـب حصانـو، وبقـى قاعـد في أبشي عاصمتـو، وقـال للقائـد الفرنـسي: السـلاطين ديـل عبيـدي وتابعـين لي وأنـا كتبـت ليهـم يخضعـوا ليـك ويسـلموا، وفعـلا سـلم سـلطان تامـا وبرقـو وسـلا وقمـر البقـى سـلطان دار مسـاليت ودا بسـلم، وإن سـلم عليدينـار بسـلم، أمـشي ليهـم مطمـن.

فيقنشـو الفرنـسي: كويـس إنـك حذرتهـم مـن قـوة الجيـش الفرنـسي وراجعهـم ورسـل ليهـم. أي مغامـرة حيكـون تمنهـا كبـير لازم يجهـزو الضريبـة والجزيـة، وأنـا بتحـرك عليهـم في اليومـين الجايـات.

السـلطان أصيـل قعـد في أبـشي وخـلى القائـد الفرنـسي الكابتـن، فيقنشـو يتقـدم وبقـى مـاشي عـلى ديـار المسـاليت بقـوة عسـكرية فيهـا 582 جنـدي مشـاة و129 فـارس والمسـافة مـا كبـيرة لكـن الدنيـا خريـف والسـفر بيكـون صعـب.

واصـل عبـد الواحـد وقـال: الـكلام دا في نـص الخريـف وإتقـدم عـلى حلـة كريدنـق في يـوم 1910/ 1/ 4م، وكان برسـل الاسـتطلاع، والرسـل لي نـاس الحـلال والقـرى، ويوريهـم بي جيتـو في نـاس حـلال بيقيفـو وبسـلمو، ونـاس حـلال مـا بيسـلموا كلـو كلـو قامـوا جاريـن ووصـل الخبر لي السـلطان تـاج الديـن الـلي بقـي مسـتعد اسـتعداد كويـس.

كريدنق دي وين؟ سأل عبد البين الحاج عبد الواحد.

قـال عبـد الواحـد بعـد جـرا نفسـو واتـكأ: وكردنـق دي شـجرة جميـزة كبـيرة جنـوب وادي كجـا وفيهـا وقعـت المعركـة الأولى بـين الفرنسـيين والسـلطان تـاج الديـن سـلطان المسـاليت.

عبـد البـين: البعرفـو إنـو المسـاليت خاضـوا معركـة واحـدة بـس هـي معركـة داروتي.

عبـد الواحـد كلامـك: صـاااح كل النـاس مفتكروهـا معركـة واحـدة، وبعـض النـاس بيقولـوا معركتـين ونـاس بيقولـوا كردينـق مناوشـات، المهـم إنـو كردينـق معركـة أخـدت زمنهـا واسـمها، ودي مـن المنسي في تاريـخ السـودان، ووقـع فيهـا مـوت مـن الطرفـين، وأخـدت ضحـوة كاملـه كيـف ننسـاها.

(5)

واصـل عبـد الواحـد، وهـو بيراجع في ذاكرتـو، وبيتكلم عن السـلطان تـاح الدين، وقـال بي فخـر وشـجاعة: تـاج الديـن الله يرحمـو مـاكان راجـل دنيـا، والملـك في نظـرو أمانـة، عشـان كـدا مـا كان خايـف زي السـلاطين التانيين اللي كانـوا بيفكروا في ملكهم كلهـم كانـوا بيختلفـوا مـن تـاج الديـن اللي مـا كان بيفكـر أنـو الحكـم في أولادو، ولا مـا يفقـدوا هـو عشـان كدا نحنقـدام شـخصية مميزة في تاريخنـا السياسي والاجتماعي.

حاج الماحي: أها وعمل شنو الشغلة ما كتمت؟

عبـد الواحـد: قبـل يـوم مـن المعركةاسـتدعي السـلطان تـاج الديـن ولـد أخـوه الأمـير محمـد بحـر الديـن المسـلاتي وعينـو ولي عهـد لسـلطنة المسـاليت.

وقال ليهوالسلطان تاج الدين: دي أمانة أبواتك وأنا بقيت زول آخرة.

محمـد بحـر الديـن: منصـور يـا سـلطان منصـور ربنـا ينـصرك ويقدرنـا وراك إن شـاء الله مـن العائديـن بـإذن الله.

وقـام السـلطان تـاج الديـن بي جيشـواللي خلاهـو أربعـة قطاعـات، وكانـت فكـرة حربـو واضحـة في رأسـو، ومـا كان مـتردد ولا مـا عـارف يعمـل شـنو، السـلطان تـاج الديـن ورا كل قائـد مـن قطاعـات الجيـش الأربعـة، يعمـل شـنو، ويحـارب مـن ياتـو اتجـاه، وكان مـن أبـرز القـادة الشرتـاي محمـد بقـو والشرتـاي حسـن أركـو فرشـة.

واستشهد عدد من فرسان المساليت كبير، لكن أثبتوا صحي فراسة السوداني، وعدم خوفو من البنادق وكرروا ملحمة كرري، لكن هنا المساليت انتصروا على عدوهم من الكفار والمحتلين.

(6)

وكانت قوات الكابتن الفرنسي فقنشو ترابط في المنطقة الغربية لسلطنة المساليت في الحدود مع سلطنة وداي ووقعت مناوشات بين الطرفين، ودي أول معركة بين الفرنسيين والمساليت في كريدنق والمعركه الرئيسة وقعت في قرية داروتي ودي من المعارك الكبيرة في غرب السودان الإنجليزي.

السلطان تاج الدين قال لي مجلس الشورى بتاعو: أنا ما بحاور كافر، واللي ما عايز يحارب الكفر أو ما قادر يمشي أنا عفيت ليو.

رد القادة والأعيان المعاو بي ثبات وقوة عجيبة نحن ما الرجال البنفوت سيدنا نحن معاك لي آخر راجل طالما أنك بتخاف فينا الله سبحانه وتعالى.

رد عليهم السلطان تاج الدين: أبشروا أبشروا فرسان الدين الله أكبر منصورين.

هلل وكبر كل الحضور ودي كانت آخر شورة للسلطان تاج الدين.

وبدا يستعرض معاهم خطتو في الهجوم على القوات الفرنسية الغازية ووضعوا فكرتهم.

لكن مراسيل الفرنسييناللسلطان غيرت الخطة.

الكابتن فيقشنو كان بيفتكر أنو مناوشات كريندنق ما حرب لكن تفلتات، وأنو لو استدعى السلطان تاج الدين واعتقلو بحسم الفوضى.

فجاء رسول من الوادي اللي تابعين للسلطان أصيل شايل رسالة للسلطان تاج الدين من الكابتن فيقنشو الفرنسي.

الرسول بتاع الفرنسيين قال: القائد الكابتن فيقشنو طلب حضور السلطان تاج الدين إليه فوراً.

رجال تاج الدين: وصلته الرسالة شكراًأرجع قول ليهو بنرد عليك.

عبد الواحد قال:رجال المساليت بلغوا السلطان اللي رد عليهم بأنو حا يمش للفرنسي الكافر، وما خايف منو، وما بتلبد مهما كانت النتيجة.

رجال المساليت حاولوا يهدوا السلطان وقالوا الحرب خدعة، والكافر عايز يكتلك، ودا زول غدار وما عندو عهد ولا ذمة.

السلطان تاج ادين: وكت طلبني طلب موتو عليالحرام أكتلو، وبيعرف براهو منو السلطان تاج الدين.

(7)

قبل المعركة رسل السلطان رجالو عشان يستطلعوا المنطقة ويعرفوا المداخل والمخارج ونقاط المراقبة بتاعت الجيش الفرنسي ويجيبو تقرير كامل.

وبدت المراسلات بين الطرفين طلب القائد الفرنسي من السلطان تاج الدين أنو يجي ويسلم ويخضع ليهو.

عبد الواحد قال: في الوكت داك قام السلطان تاج الدين وزع رجالو في أطراف حلة داروتي وفوق الشجر والمرتفعات، وحاصر بيها الفرنسيين من تلاتةاتجاهات، وكان المساليت بيتحركوا بي هدوء وخفة ما ظهر ليهم أثر مريب الليل كلو حركوا رجالم.

حـاج الماحـي: ديـل مصاليـط مـا مسـاليت وضحكـوا، رجـال حرابـة وأنصـار مهـدي مـا هينـين.

عبد البين قال: قوم فكنا من القصص دي نحن بنتطور متين؟

عبد الواحد: ياجماعةاستهدوا بالله دا تاريخ وواصل في قصتو.

فقنشـو لاحظ الصبـاح إنـو في نـاس في الجبـال والشـجر حول معسـكرو، وسـأل الضبـاط المعـاو عنهمالنـاس ديـل منـو؟ والجابـم شـنو؟

ردو ليـو: ديـل رجالالسـلطان تـاج الديـن وقالـوا ليـو السـلطان جاييـك زي مـا طلبـت ديـل نـاس الضيافـة والواجـب.

أهـاااا قـول ياسـيد اللمنتي ليك ظهـر قـدام جميـزة كريدنـق مجموعـة مـن الخيـول فيهـا فرسـان شـايلين رايـات ومعاهـم حـرس.

قام فقنشو قال ياتو فيهم السلطان بحر الدين؟ وليه ما جا؟

رد عليـو واحـد مـن الفرسـان: السـلطان تـاج الديـن راجـل كبير ونحـن جينـا ممثلـين ليهـو.

فقنشو القائد الفرنسي غضب وطنطن ورطن.

قام فرسان المساليت سألو المترجم: الخواجة قال شنو؟ المترجم بقى يتمتم.

قام واحد من نص الفرسان وقال: أنا السلطان تاج الدين عايز شنو؟

القائد الفرنسي فقنشو مدّ يدو عشان يصافحو وعايز إتكلم،

لكن تاج الدين قال ليو: أنا ما بصافح كافر ولا بصالح كافر وأنا ما تابع ليك.

قـام الفرنـسي جـرّ بندقيتـو وضـرب طلقـة في اتجـاه السـلطان، لكـن الطلقـة جلـت السـلطان. فقـام السـلطان سـلّ سـيفو وتلـب مـن الحصـان وطعـن القائـد الفرنـسي.

الكلام دا في زمن وجيز ووقع السلطان والقائد الفرنسي في البير، وفي البير السلطان كتل فقنشو واتكسرت الترقوة بتاعت السلطان بي سبب طلقة تانية ضربا القائد الفرنسي في البير، وكانت الطلقة الأولى اللي ضربا فقنشو وجلت السلطان بداية لي معركة داروتي في أبريل1910م.

بدأ رجال المساليت في ضرب النار من كل اتجاه والفرنسيين يردو عليهم وكانت معركة مسخنةانهزم فيها الفرنسيين لأنو قائدهم مات من أول وهلة.

واستشهد عدد كبير من رجال المساليت وغنموا مجموعة كبيرة من الأسلحة والغنائم.

وبعد هروب وانسحاب الفرنسيين شال الفرسان السلطان تاج الدين وهو مكسور الترقوة من جوة البيرلحدي عاصمتو ورسلوا السلاح اللي غنموه للسلطان عليدينار في الفاشر.

وعليدينار كتب للإنجليز في الخرطوم:(إن عبيدي قد نجحوا في وقف وهزم الفرنسيين).

الكلام دا خلى الحكومة الفرنسية تراجع حساباتا وخلى الإنجليز إتوصلو لي اتفاق مع الفرنسيين حول حدود السودان الغربيه.

عبد البين سأل عبد الواحد: إنت يا حاج عبد الواحد أشهر الناس الاستشهدوا من المساليت منو؟

عبد الواحد قال: من أشهر رجال المساليت الاستشهدوا أبو إسحاق ولد السلطان أبكر وأمين عبد الله كشوكه والأرباب بندا ومحمد نيدم وفرشة منجري وباسي كدنشةوعبد الفراج شيخاي وإبراهيم ود أبو من تاما منطقة كبكابيةويحيأبو أضان من اللأرنقةوأحمد ود أبو وأخوه إبراهيم ود أبو.

عبد البين: والجرحى منو؟

رد عبد الواحد: إنجرح في المعركة السلطان تاج الدين إنكسرت الترقوه بتاعتو وأبو كجام.

حاج الماحي قال: إنتو السلطان دا ما كان عندو غناء قبل المعركة؟

رد عبد الواحد: كيييييف ما عندو،أغانيو كتيرة ومشهورة لكن الناس نسوها.

نط الماحي، وقال ليو: عليك الله قول لينا منها واحدة.

عبد الواحد قال: كان السلطان بغني بي فخر واعتزاز: أنا تاج الدين

سيفي طرين

جوادي بدين

نجاهد الكفار نمن المهدي يبين

وواصل عبد الواحد: أزيدك كمان غنن نساوين المساليت وقالن خلي حجر داروتي

كلو عيال قرنجنق بقويتامي

الكفار بقو زي الأبقار

الصبيان كتلم أبو طيرة

وكمان رثاه الشاعر الفيتوري في ملحمة مقتل السلطان تاج الدين وقال:

في الأفق الغربي سحاب أحمر لم يمطر

والشمس هناك مسجونة

تتنزي شوق منذ سنين

والريح تدور كطاحونة

حول خيامك يا تاج الدين

عبد البين قال: الراجل دا فارس وما زول دنيا دافع عن بلادو لكن في النهاية السودان كلو بقى تحت الاحتلال.

عبد الواحد: أي زول بعيش زمنو وبيتعامل بي أخلاقو وعاداتو وقيمو والسلطان الله يرحمو كان خير مثال للسوداني البنغني ليهو زمنا قريب ماهو بعيد

المدافع تزأر تزيد

السوداني الموت عندو عيد

حاج الماحي قال: عليالطلاق لو بغنوها كدا كان الإنجليز لي هسي قاعدين.

وقعدوا كلهم يضحكوا.

***

أميرة فونجاوية في بلاط تقلي

شيلة أم عجايب

أميرة فونجاوية في بلاط تقلي
شيلة أم عجايب

عبد الواحد قال يا أصحابي الليلة عايز أحكي ليكم عن ملوك تقلي الإسلامية، ديواحدة من إشراقات السودان القديم والحديث وفيها تاريخ حافل بالاندماج بين المكون السوداني الزنجي والعربي، وفي النهاية طلعوا لينا مملكة تركت أثر طيب في تاريخنا السوداني ومليانة بي معاني الفضيلة والاجتهاد في نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، دي مملكة تقلي الإسلامية المعروفة لينا كلنا.

عبد البين: والله يا عبد الواحد كلامك الليلة زين أنا قبال فترة براي قلت تاريخ تقلي الإسلامية لازم نديهو هبشةونراجعو لأنو من المنسي، برضو دا مفروض يكون من المحكي للأجيال.

حاج الماحي: تاريخ تقلي معروف، وهي مملكة قديمة وضاربة في القدم وجات المهدية، وهي المنحت المهدية القوةوالمنعة لمن اتحصنوا بيها أنصار المهدي بعد معركة الجزيرة أبا سنة 1881م في النيل الأبيض.

عبد البين: عايز تقول المهدية الظهرت تقلي ولا تقلي الظهرت المهدية يا درويش.

عبد الواحد ضحك وقال: والله دا غلاط الأول الجدادة ولا البيضة ودا جدل بيزنطيوما فيهو إلا ريحة كل واحد متعصب لي فكرتو، الأنصاري والمعادي المهدية، الخلاف حاجة كويسة، لكن لازم يكون عندنا فهم كيف ندير خلافاتنا دي وكيف نتحاور، ودي ناقصانا يا ناس.

حاج الماحي: ماعلينا وأحكي لينا لوقعدنا حا نتغالط لي باكر يا أستاذ.

(2)

قال عبد الواحد: تحديداً قصة الملك جيلي أبوزنتير ودا واحد من مكوك تقلي اللي خالف نهج أبواتو، وبقى طاغية، وفي النهاية أطاحو بيهو كحاكم لي مملكة تقلي الإسلامية اللي كانت منارة من منارات المعرفة في بلدنا دي.

واصل وقال: واحدة من الروايات الشفاهية والمهمة في تاريخ مملكة تقلي الإسلامية بتقول إنو في سنة 1530م وصل لي مناطق جبال تقلي شيخ سائح من أهلنا الجعليين وعجبتو المنطقة، واستاذن أهلها، وقعد معاهم، واتزوج منهم،وخالطهم، والشيخ دا اسمو محمد الجعلي ودا جد ملوك تقلي الجعليين العباسيين المعروفين.

عبد البين: يعني الشيخ محمد الجعلي جاء البلد ديك مع قيام دولة الفونج في سنار ودولة الفور في إقليم دارفور.

عبد الواحد: أيوة جاء تحديداً مع ظهور السلطنات السودانية، وقعد مع النوبة، واتزوج منهم وعمل خلوة ومسجد وبقى داعية للإسلام، ودخل على يدو ناس كتار لدين الله، وجاب منهم الأولاد والبنات اللي بقو مكوك تقلي.

حاج الماحي: ما شاء الله، مافي معلومات عنو أكتر يا عبد الواحد؟

عبد الواحد: كل المعلومات المتاحة عنو أنو جاء سائح زيو وزي الفقراء ورجال الدين في الوكت داك، كان الواحد لمن يحفظ القرآن ويدلي بيقرأ الفقه والميراث، ويتعلم بعداك بيدوهو الإذن، يمش بعيد ينشر الدين، ويفتح محلو يعلم الناس أمور دينهم وحياتهم برضو.

عبد البين: طيب يا حاج عبد الواحد شيخنا محمد الجعلي جاء كيف بي حقو يعني سايق بهايمو وشايل مالو ولا كيف؟

عبد الواحد ضحك، وقال: والله إنت عجيب الراجل ما زول دنيا ولا باشا دا تاكل أمرو على الله، وهو في حالة سياحة، هو فقير لي سيدو اللهويحمدو، وفهم الفقراء للغني أنك أكلت في بطنك، وما لبستو وستر جسمك وما مديتو لي آخرتك.

حاج الماحي: الله حي والدايم الله ديل ما بتهبشو.

عبد الواحد: الشيخ محمد الجعلي جاء معاهو حوارو اسمو أبو حايمة، ودا برضو ما هين ولافيهو الكلمة دي، كان حوار وتلميذ بيتعلم الحكم من الشيخ بتاعو وخادمو وملازمو وحرسو، وهو برضو من الصُلاح اللي ليهم درايةوارتضوا المهانة عشان يعلموا نفوسهم إنو الدنيا حقيرة ذليلة، وحق العبادة يتطلب محو التكبر والعجب والغيرة وكل أمراض القلب، ياهم ديل رجال الآخرة.

واصل عبد الواحد وقال: الشيخ محمد الجعلي وحوارو نزلو في نص جبال تقلي،وهم ما ناس دنيا ولا كانت همهم ولا غاية تطلعهم، وبالتي هي أحسن، خشو في الناس وعاشروهم وحبوهم، وبقت بينهم محبة وإلفة، ولقوا عندهم الكلام الطيب ومرات كتيرة العلاج والهداية ومنهم اتعلموا القرآن والسنة وأمور عبادتهم.

عبد الواحد قال: لمن جاء الشيخ محمد الجعلي وحوارو الشيخ أبو حايمة لي منطقة تقلي كانت الحلال فيها بالعدد وناسها بي بالعدد ذاتهم، وكانت أبرز وأشهر الحلال في الوكت داك حلة الهوي وكراية، وديل لي هسي قاعدات جمب العباسية تقلي.

عبد البين: وطبعاً الشيوخ الجعليين بقو الأئمة وأتزاوجو مع التقلاويين وولدو، وأولادهم بقو الأئمة والمكوك، وأخوالهم الجبلاويين قبلوا بيهم، لأنهم شايلين دمهم ودم الغرباء، وشكّلوا جيل جديد أكيد هو البيحكم ويسود.

عبـد الواحـد: برافـو عليـك لأنـو القبائـل الإفريقيـة قبائـل أموية يعنـي بتعتـبر رابطـة الـدم بـالأم أقـوى مـن أي رابطـة تانيـة، عشـان كـدا زي مـا قلنـا زمـان دي بـلاد الخـال السـودان كلهـا ود البـت هـو البحبـو أكـتر ودي جايـة مـن جذورنـا الأفريقيـة.

حـاج الماحـي: غايتـو مـرات عبـد البـين بيجـدع حاجـات حلـوة، وأنـا أقـول مالـك تاكلـين بيـك البـاب ؟ وضحكواكلهـم بمـرح.

(3)

قـال عبـد الواحـد: لمـن جـا الشـيخ محمـد الجعـلي وتلميـذو الشـيخ أبـو حايمـة لي جبـال تقـلي لقـوا فيهـا نظـام اجتماعـي قبـلي سـائد في الزمـن داك، ومؤكـد في زعيـم هـو السـمح ليهـم بالإقامـة، وبيكـون أداهـم الواطـة عشـان يبنـوا جامعهـم وخلوتهـم وواطـة يزرعوهـا يعيشـوا منهـا ويكونـوا حتـة للدعـوة بتاعتهـم، ومؤكـد أنـو كان زعيـم التقلاويـين بيراقـب أعـمال الشـيوخ ديـل مـن بعيـد لحـدي مـا اطمـأن ليهـم نـاس كويسـين.

عبـد البين: كلام منطقـي بيكـون فعلا بعاين ليهـم لحدي مـا أعجب بي أعمالهم كلها وكلـم المواطنـين، وقـال ليهـم ديـل نـاس آخـرة، ومـا منهـم خـوف، ولا بيجيبـو عوجـة.

عبـد الواحـد قـال: تـزوج الشـيخ محمـد الجعـلي مـن بـت زعيـم التقلاويـين الـلي كان اسـمو كابـر كابـر، وبعـد فـترة قصـيرة جـاب منهـا ولـد سـماهو أبـو جريـد،والولـد دا علمـوا أبوهـو وحـواروومبـادئ اللغـة العربيـة والديـن الإسـلاميوكبر في بيـت علـم ومعرفـة.

كان محبـوب إتعلـم مـع أقرانـو مـن الشـباب الصيـد وفنـون القتـال وأي حاجـه بيتعلماالشـباب في الوكـت داكوبرضوإتعلـم وأتقنلغـة أهـل أمـه ومعـارف أبوهـو الشـيخ وحـوارو، فـكان أبوجريـد جسـراً بـين عالمـين زاد مـن رباطـه وكان قويـا وعنـدو جريـدة واحـدة في يـدو.

قال عبد الواحد: في الوكت داك كان الإسلام قد تسرب في كثير من مناطق جبال النوبة ومنطقة تقلي بفضل همة الشيخ الوافد وحواروبين قبائل التكم والترجوك والكيجاكجية والتقوي، الكيجاكجية كانوا السواد الغالب من السكان الأفارقة في تقلي.

عبد الواحد البعرفو أنو الإسلام انتشر من زمن في المناطق دي يا حاج عبد الواحد؟

عبد الواحد: أيوة وكان في ناس سواح بينشرو الدين الإسلامي في الوكت داك. وواصل عبد الواحد وقال: بعد وفاة كابرزعيم الجبلاويين في تقلي، وهو جد أبو جريد ود الشيخ محمد الجعلي، كان لابد من تعيين وريث بعدو، فاجتمع الأعيان بتاعين تقلي واتفقوا على تعيين أبو جريد مك لي مملكة جبال تقلي، فبقى سلطان عليهم. كان أبو جريد محبوب من الأهالي، ومتعلم ومتدين وعندو شعبية، فلقب بجيلي كنوع من التعظيم والاحترام والتقدير.

فهو حفيد الزعيم الروحي والسلطان القديمكابر كابر وابن الشيخ محمد الجعلي الذي أسهم في نشر الدين الاسلامي في جبال النوبة، لذلك وجد نوع من القبول مكنو من تأسيس سلطنة إسلامية في جبال النوبة.

(4)

حاول بعض المؤرخين تفكيك اسم جيلي، فرجعوهو لي الكلمات العامية (جاء لية) وجمعوها، فكانت جيلي اسم تميزت بيهو مملكة تقلي الإسلامية.

يعيش في تقلي أهل الأرض النوبة ومعاهم الكنانة والبني هلبة والفور والمساليت والفلاتة وأولاد حميد والهوساوالبرقو ومجموعة قبائل الحوازمة، وحدث تصاهر عجيب بينهم، فكانوا كلهم أهل وأسياد رأي تحت لواء مملكة تقلي الإسلامية.

عبـد الواحـد قـال: المرويـات الشـفاهية عـن أول تواصـل بـين أهـل تقـلي والعـالم قديمـة وكتـيرة، لكـن المشـهور والمنشـور منهـا أشـارت الباحثـة في تاريـخ السودانالسيدة جانيـت جـي إيوالـدلي أنـوفي روايـة إسـطورية بتقـول إن الكونيـاب، وهـم عـرب ومسـلمين مـن الفونـج كانـوا يصطـادوا جنـب جبـل تقـلي، فطـاردوا تيتـل، فدخلـوا معـاو لي جبـل لابوجـاب في نـص جبـل تقـلي كانـوا نـاس عـراة غـير مسـلمين، وتواصلـوا الصياديـن مـع زعيمهـم الليأعجـب بيهـم، وكان الكونيـاب يسـكنوا في منطقـة أم دوم، فدخـل الكونيـاب بالتأثـير والقـدوة الحسـنة في الإسـلام، ومـن لابوجـاب خـير والـدة الشـيخ إسـماعيل صاحـب الربابـة، ويطلـق عـلى لابوجاب أيضاًاسـم السـقارنج برضـو. وبعدهـا بمرحلـة وصـل ليهـم الشـيخ محمـد الجعـلي إلى جبـل تقـلي ود الـلي نـشر الإسـلام في الجهـات ديـك كلهـا.

استـمر حكمالمـك جيـلي أبوجريـد مـن مـا بعـد العـام 1630م في أحفـادو لي ظهـور الثـورة المهديـة في العـام 1884-1881مكان المـك آدم أم دبالـو الـلي نـاصر المهديـة، وهـي ضعيفة،وقـدم ليهـا الدعـم المعنـوي والمـادي والحمايـة، وقـد حكـم هـذه المملكـة الإسـلامية تسعتاشر ملـك أو مـك.

استـمر حكـم جيـلي أبوجريـد مـن العـام 1560م وأسـس خلـوة ومسـجد وحكـم إلى أن توفـاه الله،ودفـن في حلـة الهـوي في بيتـو الـلي بقـى مقابـر المكـوك والأكابـر في مملكـة تقـلي الإسـلامية.

وخلـف المـك أبـو جريـد ابنـة صابـو وقـام الملـك صابـو بنقـل العاصمـة مـن حلـة الهـوي إلى حلـة تعـودم والـلي بقـت مدينـة مهمـة ومركـز إسـلامي كبيرومهـم، وكان يسـاعد المـك صابـو أولاده جيـلي عـمارة وجيـلي أبوشـهيرةوحفيدو جيـلي عـون الله ود المـك جيـلي عـمارة ود المـك أبوجريـد ود الشـيح محمـد الجعليوديـل حكمـوا عـلى التوالي،وكلهـم دفنوهـم في حـوش أبـو جريـد في حلـة الهـوي.

قـال عبـد الواحـد مواصـل كلامـو: نظـام الحكـم في مملكـة تقـلي الإسـلامية، كان وراثـي يتـوارث أحفـاد المـك أبـو الجريـد الحكـم، وللمـك معاونـين مهمـين هـم

الجندي والسكراوي، وبيكونوا من أقارب الملك والجندي هو المسؤول عن الجزء الجنوبي من المكوكية والسكراوي هو المسؤول عن الجزء الشمالي من المكوكية، لكن منصب الجندي هو دائماً المقرب والأهم لي مكوك تقلي، وهو صاحب شورة الملك.

(5)

قال عبد الواحد: بعد وفاة الملك جيلي عون الله اتولى المكوكية ولدو الملك جيلي أبو قرون، ودا قالوا حكم من سنة 1640 لي سنة 1665م، وفي زمنو نشأ تعاون بين مملكة سنار ومملكة تقلي.

عبد البين: والسبب بتاع التعاون دا شنو؟

عبد الواحد: عشان كانت تهديدات سلطنة دارفور كبيرة في الوكت داك. وقام الملك جيلي أبوقرون عرس بت السلطان رباط ود بادي، وكانت اسمها شيلة أم عجايبورحلها لي تقلي، ومعاها الحاشية بتاعتها، واستقرت في منطقة حوش بلولة.

واصل وقال عبد الواحد: لكن العلاقة الحلوة انتهت بي معارك بين الفونج وتقلي واضطر التقلاويين لي دفع الجزية لي ملوك سنار.

عبد البين: كلامك يلخبط علاقات كويسة وتاني كمان حرابة السبب شنو يا حاج عبد الواحد؟

عبد الواحد: ودا بعد ما كان في تاجر من سنار جاء ديار الملك أبوقرون مك مملكة تقلي، وكان صاحب السلطان بادي بتاع سنار، وقاموا كدا رجال الملك أبوقرون نهبوا التاجر وكمان اتحدوا الملك بادي ملك سنار.

واصل عبد الواحد وقال: سيّر الملك بادي جيش لي حرب مملكةتقلي،ودورت حرب بينهم لمدة سنة كانوا بيتحاربوا بي النهار وبي الليل بياخدوا راحة، وكان

الملك جيلي أبو قرون بيقوم بيرسل لي جيش الفونج العشاء والموية ويكرمهم كرم شديد، والصباح يقوموا يتداوسوا ويتحاربوا في السهلة، ولمن عرف الملك باد بي الكلام دا خجل، وقال ديل ناس ما بتحاربوا أصلو، ورجعت العلاقات بينهم طيبة للغاية.

وكمان الأميرة أم عجايب الفونجاوية كان عندها ولدين محمد وعمر من الملك جيلي أبو قرون وساهمت في تطبيع العلاقة بين المملكتين، وبقى ولدا الملك محمد مك تقلي، ودا كان من أفضل من حكم تقلي الإسلامية.وبنى الملك محمد عاصمة مملكة تقلي الإسلامية في منطقة تاسي، وعمل في كل حلة من حلال مملكة تقلي جامع وخلوة لي تعليم القرآن، وزار مملكة تقلي في عهدو العلماء وشيوخ الطرق الصوفية، منهم الشيخ حسن ود حسونة والشيخ تاج الدين البهاري، وبقت علاقات العلماء بي تقلي والأسرة الحاكمة فيها حلوة للغاية، ودا الأداها شهرتها في العالم الإسلامي.

(6)

قال عبد الواحد: بعد وفاة الملك محمد ود الملك جيلي أبو قرون تولي المكوكية أخوهو الصغير الملك عمر أبو زنتير، ودا كان طاغية وصعب، ما زي أخوهو، ولا أهلو المكوك القدام.

حاج الماحي: نان كيفن الكلام دا يا عبد الواحد؟

عبد الواحد: كان الملك أبو زنتير صعب، الناس كرهتو وحتى أمو الأميرة شيلة أم عجايب الفونجاوية، وكترت الشكاوي منو وسيرتو بقت بطالة.

عبد البين: أهااا والحصل شنو ؟ والله قصة لكن.

عبد الواحد: كان لابد من التخلص منو،فقامت أمو الأميرة أم عجايب ختت السكين في نص الأكل بتاعو، فلمن قعد وبدأ يأكل ظهرت السكين في نص ماعون أكلو، فغضبغضب شديد واعتبر دي مؤامرة وإهانة ليهو.

واصل عبد الواحد وقال: طوالي اعتقل الملك أبو زنتير حاشيتو اللي في بلاطو، وكتل فيهم 25 راجل، وبدت القلاقل في مملكة تقلي، واستمرت لمن بقت ثورة شعبية ضد الملك أبو زنتير، والمرويات الشفاهية بتقول إنو قامت عليهو ثورة في قصرو أول بي التبادي، واضطر لي إنو يهرب من عاصمتو ويكاتل البعارضوهو.

عبد البين: أها والملك ماعرف الدبر الكلام دا دي أمو عجوبة الخربت سوبا؟

عبد الواحد: طبعاً ما عرف أنو الكلام دا عملتو أموو طلع وبقى بيراسلا بي السر.

واصل عبد الواحد وقال: بعدها تولى ود أخوهو المكوكية واسمو إسماعيل جيلي، ودا كان صغير، لكن الناس حبوهو خالص، لأنو متواضع.

(7)

قال عبد الواحد: من دهاء المرا دي حنكتها كانت ما عايزاهو يموت، ويكتلو، لأنو ولدا، وفي نفس الوكت تتخلص منو ما يضيع ملك أهلو، فقامت احتالت عليهو.

حاج الماحي: والله ياها عجوبة المنسية اللي ما سمعنا بيها ذاتها.

قال عبد الواحد: في الوكت داك الملك أبو زنتير بيحارب في رجال الملك إسماعيل الجديد، فرسلت ليهو أمو إنو يمشي لي سنار، ويستعين بي الملك بتاعها اللي اتولى الحكم فيها أخوها خال الملك أبو زنتير مك مملكة تقلي المخلوع.

عبد البين: كيفن الكلام دا ترسلو يتقوى بي أخوها ضد ولد ولدا اللي عينتو مك؟ ياخ دي لخبطتت كل الدنيا.

عبد الواحد: أصبر يا عبد البين وأسمع باقي المؤامرة كويس. وفي نفس الوكت رسلت لي سلطان سنار أخوها بادي الأحمر، في الوكت داك أنو

يمسكالملك عمر أبو زنتير، وما يخليهو يجي لي تقلي راجع تاني، واستراح الناس مـن شرو كـدا.

حاج الماحي: المرا دي مكارة وضحكوا كلهم.

(8)

ولمن وصل الملك أبو زنتير لي سنار لقي الملك بادي الأحمر عندو تمرد قاجي وعامل زيطة وزمبيلطة في أطراف مملكتو. وكل ما يرسل ليهو جيش يرجع ما بحسم التمرد دا.

فقام الملك بادي الأحمر قال: ماف غير ود أختي الملك عمر أبو زنتير أشغلو بي التمرد دا، إن كتلوهو ارتحنا منو وإذا انتصر يا داب اتعذبنا.

قال عبد الواحد: ولقى أنو الملك أبو زنتير أحسن زول ممكن يقود جيشو،فرسلو للتمرد عشان ينجز المهمة.

قال الملك بادي الأحمر للملك أبو زنتير: قومأحسم التمرد وبعدها بساعدكوبرجع ليك ملكك في تقلي.

فوافق الملك أبو زنتير على المهمة، وسافر بي جيش الفونج، وانهمك في حرب طويلة في النهاية انتصر وحسم فوضي التمرد.

وجاء راجع لي سنار وقال مخاطب الملك بادي الأحمر:سيدي أنا أوفيت بوعدي وأطلب منكم إنو توفي بي وعدك يا ملك سنار وحامي الديار.

لكن الملك الأحمر قال لي أبو زنتير: أنا عند وعدي أمش لي مملكتك والدعم وراك جيوش جرارة.

الملك أبو زنتير: حاضر يا مولاي الملك بادي الأحمر.

(9)

قبال ما يمرق من سنار الملك بادي جهز جيوش قوية، وقال ديل يرجعو الملك عمر لي حكمو في تقلي، وعين قوة فيها حراسة عشان توصلو سالم.

وطوالي الملك الأحمر قال لي الوفد المرافق لي الملك أبو زنتير: غرقوا المركب في نص بحر أبيض. وفعلا غرقوها وغرق الملك أبو زنتير في الدميرة.

عبد الواحد: وعاشت تقلي الإسلامية كمملكة خالدة عرفت معاني التسامح والإخاء لحدي ما جات المهدية، وكانوا وقود ليها، وإن كان في ناس عارضوا المهدية وضربتهم، وانتهى حكم الأشراف العباسيين في مملكة تقلي، لكن لايزال أسلافهم هم المكوك وأهل الشورى والحل والربط في الجبال الشرقية من جبال النوبة ولا تزال الخلاوي شاهدة على عظمة إنسان تلك المنطقة.

***

راجل أبو حراز

الشيخ موسى الأزرق

راجل أبو حراز
الشيخ موسى الأزرق

(1)

قال عبد الواحد: عايز أحكي ليكم عن قصة الشيخ أبو حراز، وهو اسمو بالكامل الشيخ موسى الأزرق، ودا من الأعلام في بلدنا، وصاحب سيرة ورجل عالم وفقيه مشهور الناس بيعرفو أسامي الحلال المنسوبة ليهو، لكن تفاصيل قصتو من المنسي من تاريخنا السوداني.

حاج الماحي: طيب أحكي عنو وكلمنا.

قال عبد الواحد البحكي ليكم دامن تاريخ آل أبو حراز ودا كتاب غير منشور عنوانه: «راجل أبي حراز.. أصوله وفروعه»،كتبو حفيدو المرحوم محمد البكري السيد أحمد الشهير بـ «محمد العالم».

واصل وقال عبد الواحد: أول بي التبادي الراجل من السواح والصلاح، وكانت أول خلوة ليهو في الجزيرة تنقسي في الشمالية، وكانت عندو فيها أرض واسعة، بنى مسجد وخلوة.

واصل وقال: وخلوة الشيخ موسى الأزرق كانت أول خلوة اشتغلت على تعليم القرآن بطريقة الخلوة المعروفة لي يوم الليلةفي الجهات ديك.

عبد البين: ماشاء الله ديل أهل التبروقة ما ليهم في الدنيا إلا عمل الخير، الليلة موضوعنا دا مهم ومختلف وما فيهو خلاف كلنا بنحب أهل الله.

عبد الواحد قال: واشتهرت خلوتو وبقيالناس من كل اتجاه بيجوا لي حلة الشيخ ودرس على يدو وفي خلاويهو ناس كتار منهم من عرف بالصلاح وفتحوا خلاوي كتيرة في مناطقهم، وبيعود الفضل للشيخ موسى الأزرق في تعليمهم ونشرو نار القرآنالي استمرت أكتر من تلتمية سنة، يعني لحدي ما جات المهدية في السودان.

حاج الماحي: والخلفو منوفي سجادتو؟

وبعد وفاتو الله يرحمو ويحسن ليهو مسك السجادة وعمارة بيت الشيخ من بعدو أولادو وأحفادو وهم على الترتيب: الشيخ محمد أبوعباية، ثم الشيخ مكي الكبير، ثم الشيخ محمد، ثم الشيخ أحمد ثم الشيخ محمد ثم الشيخ أحمد والد الحاج محمد ثم السيد أحمد، وتوفي لي رحمة مولاه السيد أحمد بقرية تلباخة التابعة لمركز الحاج عبداللهبي بحر أزرق في الزمن داك.

واصل عبد الواحد وقال: في فترة حكم الإنجليز واستقرار البلد وبقى القانون هو الحاكم، الحياة اتعقدت شوية واتغيرت كل حاجة، وبقى رب الأسرة مسؤول عن أسرتو ونعرات القبيلة خفت، وحلت القوانين وجهات الاختصاص الرسمية محل العرف والتقاليد في تسيير الحياة العامة، عشان كدا تماسك الأسر المحافظة أخدلو رخوة والحياة فرقت الأسر.

حاج الماحي: المعنى جابت ليها مدنية يعني وضحكوا كلهم.

(2)

عبد البين: دا تطور الحياة فعلاً، زمان بيكون الراجل المسؤول من الأسرة يمسك أولادو وأولاد أخوانو وأخواتو وقرايبو هو المسؤول عنهم يرجعوا ليهو

كلهـم في أي مشـكلة، النظـام دا بناسـب زمـان، لكـن هسـع مـا عمـلي واتجاوزناهـو كسـودانيين.

حـاج الماحـي: هـسي الـكلام دا لـو بقـى ببقـى نـوع مـن العطالـة، مـن زمـان لـة كلنـا بنشـتغل كان أوضاعنـا أحسـن، يشـتغل زول واحـد ويـصرف عـلى كل النـاس لحدي مـا يموتباهمـوم ويمـرض، دي عطالـة، أخـير نشـتغل كلنـا ونتشـايل أحسـن لينـا ولي البلـد.

عبـد البين: والله بتحـب الغـلاط.. يـاخ كلامـك صـاح خلينـا نشـوف قصـة راجـل أبـو حـراز دا.

عبـد الواحـد قـال: عشـان كـدا لمـا اهتـز نظـام الخلافـة في كل البيـوت الدينيـة المحافظـة في السـودان وفي بيـوت اتفرتقـت عديـل، لكـن أولاد الشـيخ قعـدوا في الواطـة وانتبهـوا لي القصـة دي، ولمـن اجتمعـوا أولاد السـيد أحمـد قـرروا في مـن مـرق عليهـم وعـلى خلافتهـم مـن قرايبهـم، اتفقـوا عـلى أنـو يكـون أخوهـم الكبـير الشـيخ مكـي خليفتـه مـن دون نـزاع ولا خـلاف داخـل الأسـرة.

(3)

في جنـوبي الأبيـض وعـلى بعـد عـدة أميـال يقـع وادي خصيـب اسـمو أب حرازسكنت بجـواره قبائـل البديريـة، عشـان فيهـو المرعـى الطيـب والمويـة السـمحة الوفـيرة، وقامـت قـرى كتـيرة جنـب الـوادي وشـالت اسـمو، وجـات جماعـة مـن المتصوفـة الوافديـن مـن ليبيـا، وبقوايعلمـوا القبائـل ديـك أمـور دينهـم وينـشروا فيهـا طريقتهـم «القادريـة» لمـن بقـى عندهـم نفـوذ عليالقبائـل ديـك وبقـوا معروفـين للـكل.

قـال عبـد الواحـد: ودا خـلّى مديـر كردفـان يخـاف منهـم ويحتـال عليهـم عشـان يضربهـم، قـام مديـر الأبيـض اتهمهـم بالتمـرد عليهـو وطردهـم لي مديريـة سـنار،

وهنـاك اسـتقبلهم مدير سـنار وأكرمهـم وسـكنهم في قطعـة أرض خصبـة جمـب مقـرن الدنـدر بي بحـر أزرق، قعـدوا قعـدوا فيهـا وطابـت ليهـم وسـموها أبوحـراز زي البلـد الـلي هجروهـم منهـا دون خاطرهـم.

حـاج الماحـي: إن أبتـك ديـار فلله ألـف ديـار، شـوف الصُـلاح بعمـرو قلـوب النـاس قبـال الأرض وبتبقـى سـيرتهم وبيفـوت الـلي بعنادهـم.

أهاالقبائـل الـلي في منطقـة أبوحرازبكردفاناحتجـت عـلى خـراب قريتهـم وانطفأنـور القـرآن في بلدهـم، واتهدمـت الخلـوة القـرآن والمسـجد، واسـتنكروا هـذه التهجـير فوعدهـم المديـر بأحيائهـا مـن جديـد بأنـو بجيـب عـالم مـن نـاس دنقـلا عشـان يعيـد نـار العلـم ويعيـد للمناطـق دي للحيـاة.

(4)

عبد الواحد قال: في وكت سابق في زمن التركية كان الشيخ الحاج محمد بطل قصتنا دي الـلي بنحكـي فيهـا مـن السـواح،وكان مـارق في شـأن الله، وفي واحـدة مـن جولاتـو في كردفـان والنـاس بتتلـم حولـو.

قال عبد الواحد: وكان العالم داهو الشيخ الحاج محمد الذي كان في طريق سياحته ماراً بالأبيض، وسمع بما حل بتلك القرية، وقام بزيارتها هو، ومن معه من طلاب ومريدين واستدعاه المدير وكلفه بالمهمة الخطيرة دي إعادة الحياة لأبو حراز.

عبد البين: الشيخ وافق ولا لا لا؟

عبـد الواحـد: أيـوة في فهـم التصـوف عـمار القلـوب أهـم، فكونـو يعمـر قلـوب أهـالي البلـد ديـك، دا واجـب العـالم مـا رفـض العـرض.

واصـل عبـد الواحـد وقـال: سرعـان جـاب ليهـو عـدد مـن مشـايخ القـرآن الكريـم وفتـح الخـلاوى بـكل قريـة قـرى أبحـراز، وبنـى مسـجدكبير وانتعشـت

القرى والحلال وسرعان ما اجتمع عندو الناس من دنقلا وبارا وغيرا وبقت سوق كبير.

قال عبد الواحد: ظهر ورع الشيخ، وكترت فعاله الطيبة ونفحاته حتى سموهو بأبو حراز ولقبوه براجل أبحراز.

عبد البين: يمين الرجل معروف بي الصلاح.

(5)

عبد الواحد: وكمان راجل أبو حراز دعاهم للشغل والإنتاج يعني دين وعملوراهم تركيب السواقي لأنو المويه كانت متوفرة في الوادي تحت سطح الأرض مباشرة، فكترت الجنائن والبساتين.

واصل عبد الواحد: وتوسعت أبوحراز في عهده حتى عمّر ليهو حلة كاملة من الرقيق يقومون بالزراعة والحراسة، وما إلى ذلك، ووفد إليه الأهل من دنقلا وبارا بتجارتهم وحرفهم وسكنوا معاهو.

عبد البين: أيوة عشان كدا كترو الدناقلة والجوابرة والركابية في الجهات ديك.

عبد الواحد واصل، وقال: الشيخ أبو حراز كان ميال للسياحة في الأرض وتمليك معارفو للناس فبقى ليهو القعاد حار، وكان كتير النزوح متعلق بالحجاز واهتمامو بي أهلو هناك وبي عقاراتهم ومطالبهم، عشان كدا كان مقلق في أبو حراز.

عشان كدا ماكان دائم الإقامة في القرى اللي جابو ليها قدر ونسبوها ليهو، وكمان هو راجل مزواج كتير الطلاق في كل قرية أو مدينة جاء فيهاعرس فيها أو كان له بيت.

عبد البين: هلا هلا الرجل ما خواف ولا موحد زي صاحبي، وهو بغمز على اتجاه عبد الواحد وضحكوا كلهم.

واصل عبد الواحد وقال: ينسبون له بنات من تلك الزيجات انقطع أترن بعد المهدية، وعندو الأولاد الرجال من أربع زوجات فقط، واحدة جعلية والتانية ركابية والتالتة من بارا والرابعة من الصواردة.

(6)

قال عبد الواحد: قام الشيخ أبو حراز بترحيل مرتو الجعليةوابنها السيد أحمد إلى هذه القرية وخلّى بيتها اللي في شندي ملان بي الرقيق وأهلو، وكان يقصد من ترحيل أسرتو أنو يطمئن أهلو اللي استقرو في حلة أبو حراز بي أنو حا يرجع اليهم مرة تانية، وبقى يمشي ويجي لي أبو حراز، ثم توفيت زوجتو المذكورة وخلت وراها ابنها السيد أحمد وثلاث بنات.

حاج الماحي: يعني الشيخ أبو حراز من السواح والاستقرار ما حقو ودا السبب البيخلي يكون كتير السفر والتجوال.

ثم تزوج بعائشة أم الشيخ وهي مصرية صاردية ثم ذهب لبارا وتزوج فيها بأم المكي، وله كما تقدم في دنقلا أخرى هي أم عبدالله وعبدالرحيم وطيبة وفاطمة، أما زوجاتواللي ولدن ليهو البنات في مناطق مختلفة انقطعت أخبارهن بسبب المهدية.

عبد البين: المعنى الكلام دا كلو قبل المهدية.

حاج الماحي: شيخنا دا من قبيل بيأذن في مالطا ما قال ليك قبال المهدية، الكلام دا زمن حكم الترك الأعوج.

(7)

ومات مدير كردفان الذي عينه إمام لتلك القرى، وقد كانالحكام يحترمونه ولا سيما بعد ظهور كرامة له رد الله بها أموالاً كثيرة نهبت من خزينة المديرية بالأبيض.

قال عبد الواحد: في القصة منسوبة للشيخ بنقلها ليكم زي ما هي بتقول: أنوفي حرامية مسلحين بالبنادق هجموا بالليل على خزنة المديرية، وكتلوا الحراس وشالوا منها تلاتة أكياس كبيرة من جلد البقر مليانة بي الدهب الخالص قدروهو بمئات الأرطال، واختفوا ومالقوا ليهم أي أثر.

حاج الماحي: أها والحصل شنو؟

عبد الواحد: جن جنون مدير كردفان واتهم أهل الأبيض وأنذرهم إن ماطلعوا ليهو الحرامية خلال تلاتةيوم فبيقوم يصادر أموالهم كلها ويرسلها لي الباشا في مصر، وتبرأ أهل الأبيض من هذه السرقة.

واصل عبد الواحد وقال: ناس الأبيض قالوا للمدير بنعرف راجل صالح في أبو حراز إمكن ربنا يستجيب لي دعاه، وكان المدير ذاتوو بيعتقد في الصالحين، طواليرسل ليهو قوة، واهتم الشيخبالموضوع.

لمن وقف الشيخ قدام المدير حكى ليهو المدير وطلب منو الفاتحة في استرداد أموال الحكومة المسروقة.

الشيخ أبوحراز قال: سوف نسأل الله أنا ومن معي من الفقراء.

وقال ليهو الشيخ أبو حراز: نحنمابنلتزم برد المال المفقود، ولكن لا نعتقد أن الله لا يستجيب لنا.

وقال له الشيخ أبوحراز: شرطنا ما تجمع أموال من أهل الأبيض ولا تفرض عليهم ضرائب، حتى نفرغ من سؤال الله بالطريقة التي نعرفها.

فقال المدير: عندك أسبوعين بس.

ورجع الشيخ لي أبو حراز، وابتهل هو والفقراالمعاهو لي الله بقروا من الأوراد معتكفين في المسجد ثلاثة يومصايمين وقايمين.

قال عبد الواحد: وربنا سبحانه تعالى استجاب ليهم، لأنوالحراميةرجعوا بالليل وختوا الأكياس قدام الخزنة وهربوا وماشالوا منها شيء.

عبد البين: يازول الحرامية رجعوا الدهب؟ والله ربنا أكرم مولانا كرم كبير دي من الكرامات.

واصل وقال عبد الواحد: وحس بيهم الحراس وحاولوا يقبضوا عليهم، لكن ماقدروا عشان الحرامية قدروا يهربوا، ورجع الحرس وكلموا المدير قبال طلوع الفجر، وأمر بضرب المدافع فرحان بي رجوع المال للخزنة.

ومرقت مدينة الأبيض عن بكرة أبيها في الصباح الباكر تبارك للمدير ومشيدة بي دعواتالراجل المؤمن دا، ورسل المدير سرية كاملة من الجنود المسلحين والمستعدين دائماً تحت إمرة الحاج محمد في أبو حراز،وأداهو خيول، وأسند ليهوإدارةالمنطقة ديك.

حاج الماحب: المعنى مولانا بقى تحت أمرو جيش، لكن ديل أهل السجادة ما بيهتمو بي كلام الدنيا دا.

عبد الواحد قال: أيوه ما اهتم بي السلطة خالص وبعد فترة قدر المدير إنو يقبض الحرامية واعترفوا ليهو بجريمتهم، وبقيالحاج محمد مشهور،ولكن وماكان راضي واعتبرا فتنة واختبار.

عبد الواحد: ومرق للحجاز للحج وزيارة الأهل بعد ما زار دنقلا، واطمأن على أهلو وسير خلاوى القرآن.

عبد البين: يعني سافر للحجاز؟

عبد الواحد: لمن وصل الحجاز كلفوا السيد أحمد بن إدريس وهو صاحبو وأستأذوأنو يمشي لي محمد عليباشا في مصر، ومعاو رسالة خطية، يأمرو فيها بي الإفراج عن الجعليين المأسورين عندو في حادثة حرق إسماعيل باشا،الحادث القام بيو الملك نمر، ولمن وصل لي محمد عليباشا هو والوفد المرافق ليو وقدم ليهو الرسالة استلمها منو وأمر بي قراءتها سكت مدةطويلة وقال سمعاً وطاعة لي السيد أحمد بن إدريس، سنأمر بفك سراح الجعليين.

ومن مصر رجع للسودان وزار أصهارو في شندي شايل البشارة بفك سراح أهلهم، ورجع لي أبوحراز وكلمهم إنو أخد وعد من السيد أحمد بن إدريس بي زيارة أبوحراز. اعتذر السيد أحمد بن إدريس عن الزيارة بسبب المرض، ولكنورسل تلميذو السيد محمد عثمان الميرغني اللي كان موضع التجلة والإكرام من مدينة الأبيض كلها، وقام الشيخ المذكور بتعريف الناس بيهو وساقو لي بارا ولقيإكرام منقطع النظير، وشافوا منو كرامات كثيرة زادت تعلقهم وحبهم ليهو، وتوطدت العلاقات بينو وبين بارا لأنو اتزوج من أسرة زوجة الحاج محمد «أم المكي»تزوج أخت أم المكي،وولدت ليهو ولد، وهو السيد الحسن الميرغني.

وكدا بقيالسيد محمد عثمان عديل صديقهو في الطريق. وأعلن السيد محمد عثمان طريقتو وأخذ منو كثيرين، منهم الشيخ إسماعيل الولي، وهو في النسب ولد أخو الحاج محمد من جهة الرحم، أبوهو عبدالله والد الشيخ إسماعيل ووالدة الحاج محمد أختين، وحصلت للشيخ إسماعيل فتوحات ونفحات، ورحلووصى ولدو السيد أحمد أنو يكون سند للشيخ إسماعيل ووصى الشيخ إسماعيل أنو يكون للسيد أحمد زي ما كان هو ليهو أبو وعائل،ورجعلي مصر واستقر في بيتو مدة ما قصيرة، وسافر للحجاز وبعد رجع لي دنقلا ومات في جزيرة تنقسي في ليلة الأحد وقت صلاة العشاء الموافق تلاتةرمضان عام 1283 هجرية.

وكانـت مـدة إقامتـو في أبـو حـراز سـت سـنوات، ومـا كان في دخيلـة نفسـو راضي عـن أبـو حـراز عشـانفيها إندايـات وكتـل وسرقاتوظلـم، ووصى ابنـو السـيد أحمـد أنـو يهاجـر منهـا لي بـارا أو دنقـلا أو دراو في مـصر في الوكـت المناسـبإذاماقدر يصلحالنـاس ديـل، ومـا أثـر فيهـم العلـم والقـرآن ولا القـدوة الحسـنة.

وبقـى السيد أحمـد قيـماً عـلى القـرى ديـك،وكان السـيد محمـد أحمـد المهـدي قبـل قيامـو بالثـورة المهديـة بيـزورو في أبـو حـراز عشـان صلـة الرحـم لأنـو أم جـدو وأم الحـاج محمـد أبـو حـراز أختـين.

وكان المهـدي رجـل ورع متصـوف عنـدو تلاميـذ كتيريـن، وكانـوا بلفـوا معاهـو، وكان بلقـى الكـرم مـن كل قـرى أبـو حـراز ويحملوهـو بالهدايـا، ولمـن فكـر في قيامـو بالمهديـة كتـب لي السـيد أحمـد،وزارو للمـرة الأخـيرة في أبـو حـراز، وأخـذ منـو عهـد بي مسـاندتو وتأييـدو لمـن يعلـن المهديـة.

وقامـت الثـورة المهديـة وكانـت أبوحـراز مـن أول القـرى الفتحوهـا الأنصـار،وبدا منهـا الغـزو عـلى كردفـان حسـب المخطـط، وخـرج السـيد أحمـد وكل أفـراد أسرتـو لي مقابلـة المهـدي خـارج مدينـة الأبيـض، وقابلوهـو مقابلـة كريمـة، وطلـب المهـدي منـو أنـو يكـون قـاضي، ولكنـو اعتـذر بي سـبب تقـدم سـنو ورشـح أخوهـو مـن أبـوه الشـيخ المكـي وأخوهـو مـن خالـو أحمـد ود عليللقضـاء والمهـدي قبلهـم،وبعـد أيـام جاءالشـيخ المكـي عـلى رأس جماعـة رافـع رايـة المهـدي،وعانقـو المهـدي وعانقـو الخليفـة عنـاق حـار، وقـال الخليفـة للمهـدي دا شـيخنا الـلي كان بعلمنـا العلـم لمـن جانـا مـن مسـيد ود عيسـى وعينـو المهـدي قـاضي في الحـال، وقدمـو يصـلي بيهـم إمـام،وكان أول قـاضٍ في المهديـة يصـلي بي الإمـام المهـدي.

(8)

عبد الواحد قال: وجاء أحمد ود عليوعينو المهدي قاضي بقى قاضي قضاة المهدية،وسموهو القاضي أحمد، واختلف معاهو الخليفة بعد فتره وسجنو لحدي ما مات،وهو صابر بدون أكل أو شراب شهر كامل. ودا كان في آخر المهدية.

واصل وقال: وبقيام المهدية لم يستطعالسيد أحمد الذهابالسفر إلى الحجاز، وبعد ما انتهت المهدية سافر للحج وزيارة أهلو، ولقى كتيرين منهم ماتوا وقد ضاعت بعض الضيع وتحولت ملكية المنازل ظلماً وعدواناً إلى غيرهم، ولقيالبعض على قيد الحياة، وأغلبهم نساء ورقيق، وقد آلت بعض العقارات لبعض أصدقاء العائلة، بل إن أهم المنازل بمكة والمدينة سجلت في أيام المهدية بأسماء أصدقاء الحاج محمد من تلاميذ السيد أحمد بن إدريسوضاعت على أسرتو تركة عظيمة وكل شيء هالك إلا وجه الله. بل كان السيد أحمد نفسه غير ميال لامتلاك الضيع والعقارات وتنازل عن كل ممتلكات الأسرة بي أبو حراز لأصحابو وأصهارو، ومنزلو الواسع اللي بنتو ليهو المهدية وسقفتو ليهو بي سقوفات السراي اللي تحطمت، واتنازل عنو طواعية منه لحارسه عند دخول الإنجليز، فسجله هذا الحارس بي اسمو مقابل مبلغ تافه استحال للشيخ إسماعيل السيد أحمد.

***

قائمة المصادر والمراجع

1. عبد المحمود أبوشامة حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تسلهاي
2. البشير أحمد محي الدين معجم أعلام السودان من 1821 إلى 1956م الدار البيضاء للطباعة والنشر أم درمان 2020م
3. البشير أحمد محي الدين تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان التقرير رقم 60 دار رفيقي للطباعة والنشر القاهرة 2020
4. محمد أحمد الجابري، في شان الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله دار الفكر العربي 1947
5. سيرة الإعدام السياسي في التركية والمهدية
6. محمد صالح ضرار، أمير الشرقالدار السودانية للكتب الخرطوم

***

الفهرس